إقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

"قضايا العقيدة في سورة الإسراء وأثرها على الفرد والمجتمع"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:	**اسم الطالبة: روانـد عزات محمد الضابوس**
Signature:	**التوقيـع:**
Date:	**التاريخ: ١٨/١١/٢٠١٥م**

الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم العقيدة و المذاهب المعاصرة



قضايا العقيدة في سورة الإسراء وأثرها على الفرد والمجتمع

Issues of Faith In Suret Al-Isra And Its Impact On The Individual And Society

إعداد الطالبة
رواند عزات محمد الضابوس

إشراف الدكتور
عماد الدين عبد الله الشنطي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول علي درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة

The Islamic University - Gaza



مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم .... Ref
ج س غ/35/

التاريخ .... Date
2015/09/02

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **روائد عزات محمد الضابوس** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

قضايا العقيدة في سورة الإسراء وأثرها على الفرد والمجتمع

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأربعاء 18 ذو القعدة 1436هـ، الموافق 2015/09/02م الساعة العاشرة صباحاً بمبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. عماد الدين عبد الله الشنطي	**مشرفاً و رئيساً**	....
أ.د. جابر زايد السميري	**مناقشاً داخلياً**	....
د. عبد الرحمن يوسف الجمل	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم العقيدة الإسلامية.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف على المناعمة

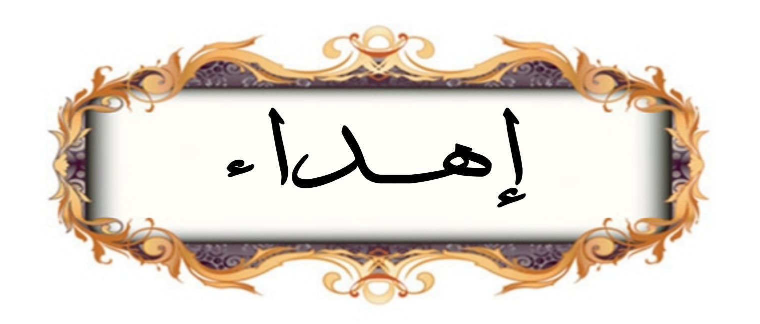
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

(الإسراء: ٩)

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ



- إلى حامل مشعل النور أفضل الخلق: محمد ﷺ... إيمانًا وتسليمًا وتصديقًا...
- إلى الروحين الطاهرتين: والدي العزيز. .. وأختي الحبيبة... رحمهما الله...
- إلى رمز العطاء التي ما ادخرت جهدًا في تربيتنا على الفضيلة: أمي الغالية حفظها الله...
- إلى رفيق الدرب صاحب الهمة الذي كان لي سندًا ودعمًا: زوجي الغالي...
- إلى فلذات كبدي وشق نفسي: أبنائي، وبناتي؛ حفظهم الله...
- إلى الغوالي: إخواني وأخواتي الأحبة، الذين بهم ومعهم كان المسير...
- إلى الأكرم منا جميعًا: إلى الشهداء في سبيل الله، وأخص بالذكر الأخت الحبيبة زميلة العمل وزميلة الدراسة في برنامج الماجستير والتي اغتالتها يد الغدر والعدوان في الحرب الأخيرة على غزة، الشهيدة: نهاد خليل حمودة...
- إلى زملائي وزميلاتي بكلية الدعوة الإسلامية: إدارة، ومحاضرين...
- إلى طلاب العلم ومحبيه في كل مكان...

إليهم جميعًا أهدي هذا الجهد المتواضع...



لا ريب أن توفيق الله تعالى هو السبب الجوهري والحقيقي في إنجاز هذا البحث، لذلك فإنني أشكر الله وأحمده حمدًا يليق بعظمته وجلاله على توفيقه لي، فهي هداية التوفيق للعلم الشرعي الذي يحبه الله ويرضاه لعباده المؤمنين.

وامتثالًا لقول نبينا محمد ﷺ: «**لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**» [1]؛ فإني أتقدم بالشكر والثناء والعرفان لفضيلة الدكتور: عماد الدين عبد الله الشنطي –حفظه الله ورعاه– الذي أشرف على هذه الرسالة، فكان له الفضل بعد الله ﷻ في إتمامها، وبذل الجهد في نصحي وإرشادي وتوجيهي لما فيه الصواب، فكان له الأثر الكبير في تقويم الرسالة وإخراجها على هذه الصورة، فأسأل الله تعالى له الأجر العظيم، والتوفيق والسداد لما يحبه الله ويرضاه، وأن يجزيه تعالى عني خير الجزاء.

والشكر موصول للأستاذين الفاضلين:

فضيلة الأستاذ الدكتور/ جابر زايد السميري حفظه الله

وفضيلة الدكتور/ عبد الرحمن يوسف الجمل حفظه الله

اللذين تفضلا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة، وإبداء الإرشادات والتوجيهات التي تثري البحث وتزيده متانة ورصانة.

كما أتقدم بفائق الشكر والتقدير والامتنان لكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، ممثلة بأساتذتها الكرام، وأخص بالذكر أساتذتنا الكرام في "قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة"، الذين كان للجميع منهم دور كبير في تحبيب العلم الشرعي لنا، وقاموا بتزويدنا من العلم النافع الشئ الكثير، فأسأل الله لهم التوفيق والسداد.

كما وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الدكتور: جميل محمد عدوان –حفظه الله ورعاه–لما بذله من جهد في تدقيق صفحات البحث، وضبط قواعده اللغوية، فجزاه الله خير الجزاء.

والشكر موصول إلى الأستاذة الفاضلة: رتيبة المصري –حفظها الله ورعاها– التي قامت بترجمة ملخص هذا البحث إلى اللغة الإنجليزية، فجزاها الله خير الجزاء.

وأخيرًا: أشكر كل من قدم لي نصيحة، أو عونًا من زملائي وزميلاتي في كلية الدعوة الإسلامية بفرعيها في الوسطى والشمال.

---

(١) سنن أبي داود ـ باب في شكر المعروف ـ ح رقم : ٤٨١١(٢٥٥/٤) وقال الشيخ الألباني: صحيح.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أما بعد :

فان الله تعالى أرسل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل بعد أن ضلت البشرية و انحرفت عن طريق التوحيد فكان من رحمة الله عز وجل أن يرسل رسولاً مؤيداً بالمعجزة الخالدة القرآن الكريم و الكتاب المبين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، قال تعالى : ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ**﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣]، و قال :﴿**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾ [الإسراء: ٩]، ومما لا شك فيه أن العقيدة أصل الإسلام وبناؤه الشامخ، وهذا ما دفع الأنبياء عليهم السلام أن يهتموا اهتماماً كبيراً في ترسيخ مبادئها في نفوس الناس، فالعقيدة ليست مجرد قواعد مجردة، ولكنها قواعد مرتبطة بالسلوك والأخلاق والعمل وقد نلمس هذا في القرآن من خلال التلازم بين العقيدة والشريعة والأخلاق فكان لزاماً أن نهتم بهذه العقيدة من أجل أن تنعكس على السلوك الفردي والجماعي في مجتمعاتنا الإسلامية وذلك بالرجوع للقرآن والسنة لننهل من نبعهما الصافي هذه العقيدة الصحيحة، فاخترت سورة الإسراء لما لمسته في آياتها من ترسيخ للعقيدة وتعميق للإيمان وأركانه في النفس البشرية والمجتمع الإسلامي، فوقفت من خلال البحث على بعض قضايا العقيدة من منظور السلف من خلال سورة الإسراء، وقضايا أخرى لمست أهميتها من خلال السورة .

أهمية البحث :

١- اشتمال سورة الإسراء على ركائز العقيدة من مثل الوحدانية والرسالة والبعث .

٢- التذكير بمعجزة الإسراء والمعراج التي تدلل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

٣- حاجة الأمة الإسلامية إلى من يبث فيها الدعم النفسي من خلال إثبات حتمية زوال دولة يهود.

٤- التوحد تحت راية الإسلام .

٥- تحقيق النصر وإقامة الدين من أجل الاستعداد لليوم الأخر.

٦- استكمالاً لسلسة دراسة قضايا العقيدة في سور القران الكريم.

أسباب اختيار البحث:

١- ما تحمله السورة من مواضيع هامة في العقيدة

٢- تضرب السورة مثالاً واضحاً لانتصار العقيدة على الشرك واليهود .

٣- تضرب السورة مثالا واضحاً للتوحيد الخالص.

٤- تشابه الكثير من مضامين السورة وواقعنا الذي نعيش فيه في هذه الأيام .

أهداف البحث:

١- ربط أهداف السورة بالواقع والاستفادة منها .

٢- الوقوف على قضايا العقيدة ومقاصدها التي تتضمنها السورة .

٣- بيان أحوال بني إسرائيل والتحذير من مكرهم .

٤- بيان زوال دولة يهود.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي باعتباره أنسب المناهج لمثل هذه الموضوعات.

طريقة البحث :

١- عزو الآيات إلى موضعها في القران بذكر اسم السورة ورقم الآية وتمييز الآيات بوضعها بين هلالين .

٢- الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم البحث و عزوها إلى مظانها الحديثية ونقل حكم العلماء عليها عدا ما ورد في الصحيحين وتمييز الأحاديث النبوية بين هلالين.

٣- توثيق بيانات المراجع المعتمد عليها في البحث وذلك بالإكتفاء بذكر اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة وإحالة باقي معلومات الكتاب إلى فهرس المصادر والمراجع .

٤- الرجوع إلى المصادر الأصلية بالإضافة إلى الكتب الحديثة ومواقع الانترنت والتزام الدقة في العزو والتوثيق .

٥- بيان معنى الكلمات الغريبة وذلك بشرحها في الهامش .

٦- ترجمة بعض الأعلام والشخصيات المغمورة في البحث .

٧- ذكر أقوال العلماء المعتمدين في المسائل العقدية المذكورة في السورة .

٨- إعداد الفهارس اللازمة وترتيبها على النوح الآتي، الآيات القرآنية، ثم الأحاديث، ثم الأعلام، ثم المصادر والمراجع، وأخيراً الموضوعات .

الدراسات السابقة :

بعد اطلاع الباحثة على الدراسات السابقة وجدت أن هناك رسالة دكتوراة تحمل عنوان "الجوانب الإعتقادية في سورة الإسراء " للباحث عزام نعمان سلهب، وهي دراسة قديمة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، سنة ١٤٠٦هـ، أي قبل حوالي ثلاثن عاماً، ولكن هناك اختلاف بينها وبين دراستي من حيث العناوين الداخلية والمضمون ، فقد أضاف بحثي عناوين جديدة لم يتم بحثها في الدراسة السابقة، منها منهج القرآن في بيان قضايا العقيدة من خلال مناهج دعوية ثلاث، وفيها الحديث عن المقاصد والآثار على الفرد والمجتمع لقضايا العقيدة في السورة، وفيها الحديث عن وجوه الإعجاز وحصرها في آيات سورة الإسراء فقط، وفيها الحديث عن نهاية دولة يهود بإسهاب .

وهناك دراسات سابقة للسورة ولكنها قاصرة على نقاط ومواضيع بعيدة عن قضايا العقيدة مما يجعل الدراسة تتميز عن تلك الرسائل في أنها تتناول قضايا العقيدة وتتناول أيضا مسألة مهمة وهي حتمية زوال اسرائيل من خلال سورة الإسراء، وهذه هي الرسائل الموجودة في السورة.

١- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة الحجر والنحل والإسراء ورقمها ٤٠٢٢." الجامعة الإسلامية، غزة، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن " للباحث عبد الله سالم سلامة .

٢- تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سورة الإسراء والكهف ورقمها ١٥٢٣. البحث: الإسلامية ، غزة ، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن" للباحثة آمال خميس حماد .

خطة البحث :

اشتملت خطة البحث :على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، وخاتمة وفهارس، موزعة على النحو الآتي:

مقدمة وتشتمل على : أهمية الموضوع، وأهداف البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة وخطة البحث.

التمهيد

تعريف بالسورة

أولاً: التسمية.

ثانياً : سبب نزول السورة .

ثالثاً : موضوع السورة وفضائلها .

رابعا: مقاصد أسماء السورة.

الفصل الأول

التوحيد في سورة الإسراء .

المبحث الأول : توحيد الربوبية في سورة الإسراء.

المطلب الأول : معنى التوحيد لغةً و اصطلاحاً.

المطلب الثاني : منهج القران الكريم في بيان توحيد الربوبية من خلال السورة .

المطلب الثالث : مقاصد وآثار توحيد الربوبية على الفرد والمجتمع من خلال السورة.

المبحث الثاني : توحيد الألوهية في سورة الإسراء .

المطلب الأول : معنى توحيد الألوهية لغةً و اصطلاحاً .

المطلب الثاني : منهج القران الكريم في بيان توحيد الألوهية من خلال السورة .

المطلب الثالث : مخاطر الشرك و مآل المشركين من خلال السورة .

المطلب الرابع : مقاصد وآثار توحيد الألوهية على الفرد والمجتمع من خلال السورة .

المبحث الثالث : توحيد الأسماء و الصفات في سورة الإسراء .

المطلب الأول : تعريف توحيد الأسماء و الصفات لغةً و اصطلاحاً .

المطلب الثاني : أسماء الله تعالى الواردة في السورة وأثر كل منها على الفرد والمجتمع.

المطلب الثالث : صفات الله تعالى الواردة في السورة وأثر كل منها على الفرد والمجتمع.

المطلب الرابع : المقاصد والآثار العامة لتوحيد الأسماء و الصفات على الفرد والمجتمع

الفصل الثاني

النبوات في سورة الإسراء

الفصل الثالث

السمعيات (الغيبيات) في سورة الإسراء

المبحث الأول : اليوم الآخر من خلال سورة الإسراء .

المطلب الأول : التعريف باليوم الآخر وبيان أسمائه الواردة في السورة .

المطلب الثاني : حتمية الموت ومصير الروح بعده .

المطلب الثالث : البعث وحشر الأجساد

المطلب الرابع: العرض وصحائف الأعمال و الحساب .

المطلب الخامس: مقاصد وآثار اليوم الآخرعلى الفرد والمجتمع من خلال السورة.

المبحث الثاني : شبهات المنكرين للبعث والرد عليهم من خلال السورة .

المطلب الأول : أصناف المنكرين للبعث .

المطلب الثاني : منهج القرآن الكريم في الرد على منكري البعث من خلال السورة .

المبحث الثالث : قضايا عقائدية أخرى في السورة

المطلب الأول : الملائكة في سورة الإسراء .

المطلب الثاني : القضاء والقدر في سورة الإسراء .

الفصل الرابع

بنو إسرائيل في سورة الإسراء .

المبحث الأول : إفساد بني إسرائيل في سورة الإسراء .

المطلب الأول : المقصود بإفساد بني إسرائيل .

المطلب الثاني : أقوال العلماء في قضية الإفساد و القول الراجح فيها.

المبحث الثاني : نهاية دولة يهود في سورة الإسراء .

المطلب الأول : مراحل و مقومات النصر و التمكين للمسلمين .

المطلب الثاني : نهاية دولة يهود حتمية قرآنية وسنة نبوية وإرهاصات واقعية.

المطلب الثالث : البدائل المرشحة لخلافة دولة يهود .

الخاتمة:

وتضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها خلال هذه الدراسة ثم التوصيات التي ستخدم غرض البحث.

الفهارس، وتشتمل على:

فهرس الآيات الكريمة، وفهرس الأحاديث النبوية الشريفة، وفهرس الكتاب المقدس، وفهرس الأعلام المترجم لهم، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

التمهيد

تعريف بالسورة

ويشتمل على:

أولاً: التسمية.

ثانياً : سبب نزول السورة .

ثالثاُ : موضوع السورة وفضائلها .

التمهيد

التعريف بالسورة

أولاً: تصنيفها بالنسبة للمكي والمدني

تعتبر سورة الإسراء سورة مكية بالإجماع، كما قال نجم الدين التبريزي[١]، وقيل: إلا الآيتين: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾، ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾، وقيل: إلا أربعًا: الآيتين السالفتين، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾، وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾، وزاد مقاتل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾، الآية، وقال قتادة:إلا ثماني آيات أنزلت بالمدينة، وهي من قوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾[٢].

وربما يكون السبب فى منشأ هذه الأقوال أن ظاهر الأحكام التي اشتملت عليها تلك الأقوال يقتضي أن تلك الآيات لا تناسب حالة المسلمين فيما قبل الهجرة، فغلب على ظن أصحاب تلك الأقوال أن تلك الآيات مدنية[٣].

وتُعد سورة الإسراء السورة الخمسين في تعداد نزول سور القرآن، حيث نزلت بعد سورة القصص وقبل سورة يونس، وعدد آياتها مائة وعشر في عد أهل العدد بالمدينة، ومكة، والشام، والبصرة، ومائة وإحدى عشرة في عد أهل الكوفة[٤].

ثانيًا: تسمية السورة ومقاصد أسمائها

صرح الألوسي في تفسيره بأنها سميت بالإسراء[٥]، فقد ذكر في أولها الإسراء بالنبي ﷺ، واختصت بذكر هذه المعجزة الباهرة، التى خص الله بها نبيه ﷺ. والإسراء هو السير ليلاً، وهو مصدر الفعل (أسرى)،يقال: أسريت وسريت إذا سرت ليلاً[٦].

---

(١) هو بشير بن حامد بن سليمان، أبو النعمان نجم الدين الزينبي الهاشمي الطلبي التبريزي البغدادي،(٥٧٠ – ٦٤٦ هـ = ١١٧٤ – ١٢٤٨ م) مفسر من الشافعية، له تصانيف منها: الغنيان في تفسير القرآن. انظر: الأعلام للزركلي: (٥٦/٢).

(٢) البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي:(٧/٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن عاشور:(٦/١٥).

(٤) المصدر السابق:(٧/١٥).

(٥) انظر: روح المعاني ـ للألوسي:(٣/٨).

(٦) انظر: لسان العرب ـ ابن منظور، مادة (س ر ي)، (٣٨٢/١٤).

وسميت سورة بني إسرائيل، وذلك بسبب ماذُكر فيها من أحوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها، وهو استيلاء قوم أولي بأس وهم"الآشوريون"[(١)]عليهم، ثم استيلاء قوم آخرين وهم (الروم) عليهم[(٢)].

فقد افتتحت في أول آية منها بالحديث عن الإسراء إلى المسجد الأقصى، ثم في الآية الثانية مباشرة شرعت في ذكر مرحلة مهمة من مراحلقصة بني إسرائيل، والإخبار عن إفسادهم في الأرض مما لم يذكر في سواها من قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم،بالإضافة إلى بيان نهايتهم التي صاروا إليها، وذلك في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِى إِسْرَاءِيلَ أَلَّا تَتَخِذُوا مِنْ دُونِى وَكِيلًا * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا * وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَاءِيلَ فِى الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:١-٣][(٣)].

وبينت السورة أن جزاء الأمم في ميزان العدل الإلهي يكون بحسب الطاعة أو العصيان، ولا يكون عقاب من الله تعالى لأحد إلا بسبب ما يرتكبه من جرائم وفساد، أو بسبب ما يصدر منه من جحود وإنكار لدعوة الرسل، وخروج عن هدي الله تعالى، فالجزاء عنده تعالى من جنس العمل[(٤)].

وتسمى أيضًا سورة "سبحان"، لأنها افتتحت بهذه الكلمة .

قال البقاعي في وجه التسمية:"سميت سورة سبحان الذي هو علم للتنزيه،لأن من كان على غاية النزاهة عن كل نقص، كان جديرًا بأن لا نعبد إلا إياه، وأن نُعرض عن كل ماسواه؛ لكونه متصفًا بما ذكر"[(٥)].

---

(١) الآشوريون: هم من القبائل السامية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية، إلى شمال بلاد ما بين النهرين، وكانت عاصمتها الأولى مدينة آشور، وهم ينتسبون إلى آشور الابن الثاني لسام بن نوح، انظر: www.discover-syria.com بتاريخ ٢٦/٤/٢٠١٤م. وقد اشتهروا بالقوة والقسوة والجبروت، ومن أشهر إداعاتهم تطوير وسائل الدفاع والحصار وأدوات القتال: انظر: www.dnarab.com بتاريخ ٢٦/١٠/٢٠١١م.

(٢) انظر:التحرير والتنوير_ الطاهر ابن عاشور(١٥/٥)، وروح المعاني _ للآلوسي(٨/٤).

(٣) انظر: في ظلال القرآن _ لسيد قطب :(٤/٢٢١٢) والتفسير المنير _ للزحيلي (١٥/٥).

(٤) التفسير الوسيط _ للزحيلي:(٢/١٣٢٦).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور _ للبقاعي:(١١/٢٨٦).

ثالثًا: سبب نزول السورة

كان نزول هذه السورة الكريمة أو نزول معظمها، في أعقاب حادث الإسراء والمعراج، وذلك لأن السورة تحدثت عن هذا الحدث، كما تحدثت عن شخصية الرسول ﷺ حديثا مستفيضا، وحكت إيذاء المشركين له، وتطاولهم عليه، وتعنتهم معه، كمطالبتهم إياه بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعا، وقد ردت السورة الكريمة على كل ذلك، بما يسلى الرسول ﷺ ويثبته، ويرفع منزلته، ويعلى قدره في تلك الفترة الحرجة من حياته ﷺ وهي الفترة التي أعقبت موت زوجه السيدة خديجةرَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا وموت عمه أبى طالب [١].

فضل السورة

أخرج البخاري بسنده عن ابن مسعودﷺ قال: "بَنو إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفُ، وَمَرْيَمُ، وَطه، وَالأَنْبِيَاءُ: هُنَّ مِنَ العِتَاقِ [٢]الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي [٣]" [٤].

ومراد ابن مسعود أنهن من أول ما تعلم من القرآن، وأن لهن فضلاً؛ لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم[٥]، وهذا يعني أنها مشتركة في قدم النزول، وجميعها سور مكية، وكلها مشتملة على القصص[٦]، ومما يدل على فضلها مداومة النبي ﷺ على قراءتها كل ليلة، فقد أخرج أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا "أن النبي ﷺ كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر" [٧][٨].

وخلاصة القول: إن سورة الإسراء لها فضل عظيم بين سور القرآن، كان ذلك بسبب قدمها، وتعدد موضوعاتها، وتركيزها على جانب العقيدة، وبعضٍ من قواعد السلوك الفردي والجماعي.

---

(١) أنظر: التفسير الوسيط ـ لطنطاوي (٨/ ٢٧٤)

(٢) "(من الْعتاق) بِكَسْر الْعين الْمُهْملَة وَتَخْفِيف التَّاء الْمُثَنَّاة من فَوق: جمع عتيق، وَالْعرب تجْعَل كل شَيْء بلغ الْغَايَة فِي الْجَوْدَة عتيقًا، يُرِيد تَفْضِيل هَذِه السُّورَة لما يتَضَمَّن مفتتح كل مِنْهَا بِأَمْر غَرِيب وَقع فِي الْعَالم خارقًا للْعَادَة، وَهُوَ الْإِسْرَاء وقصة أَصْحَاب الْكَهْف وقصة مَرْيَم وَنَحْوهَا" عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ للعيني: (١٩/ ١٩) .

(٣) ""(هن من تلادي): أَي مِمَّا حفظته قَدِيمًا، والتليد والتالد ضد الطريف، فالتليد: الْقَدِيم، والطريف: المستحدث" كشف المشكل من حديث الصحيحين ـ للجوزي: (١/ ٣١٢) .

(٤) صحيح البخاري ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب تأليف القرآن ـ ح رقم: ٤٩٩٤ـ (٦/١٨٥).

(٥) موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ـ حكمت بن ياسين (٣/٢١٣).

(٦) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/٥).

(٧) صحيح ابن خزيمة ـ جماع أبواب صلاة التطوع بالليل ـ باب إستحباب قراءة بني إسرائيل والزمر كل ليلة ح رقم:١١٦٣ـ (٢/١٩١) قال الشيخ الألباني إسناده صحيح .

(٨) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/٥)

مناسبتها لسورة النحل التي سبقتها

مما بيَّنه العلماء في تفاسيرهم التناسب الواضح بين سورتي الإسراء والنحل، من جهة أن الإسراء جاءت بعد النحل في الترتيب، ومن جهة مضمون آيات كل من السورتين،يتضح ذلك من خلال الأمور الآتية:

١- ذكر الله تعالى في سورة النحل اختلاف اليهود في السبت، وفي الإسراء ذكر شريعة أهل السبت التي شرعها لهم في التوراة [١]، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: "إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل" [٢]

٢- كان ختام سورة النحل قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل:١٢٧-١٢٨]، وقد تضمنت الآية الكريمة وصفًا لمشاعر الضيق والحزن والألم التي ألَّمت بالنبي ﷺ لما قابله من صد للدعوة من أهله وقبيلته، مع إصرار على الكفر والضلال، فجاءت الآيات في سورة الإسراء مناسبة في مواساة النبي ﷺ بهذه الرحلة المباركة، التي انشرح لها صدره، وارتاحت لها نفسه، وكانت بمثابة العزاء الجميل له مما ألمّ به وأصابه من أهله[٣].

٣- اشتملت السورة على ذكر نعم منها خاصة ومنها عامة، واشتملت سورة النحل على نعم كثيرة، ترتب عليها تسميتها بسورة النعم[٤].

٤- ذكرت سورة النحل الحديث عن العسل ودوره في شفاء الناس، وذكرت الإسراء وسيلة أعظم في الشفاء والرحمة للمؤمنين وهو القرآن العظيم[٥].

٥- في سورة النحل ذكر الله تعالى قواعد الاستفادة من المخلوقات الأرضية، وفي سورة الإسراء ذكر قواعد الحياة الاجتماعية بأشكالهاالمختلفة، من بر الوالدين، وإيتاء ذوي القربى والمساكين وأبناء السبيل حقوقهم، من غير تقتير ولا إسراف، وتحريم القتل والزنا، وأكل مال اليتيم، وإيفاء الكيل والميزان بالقسط، والنهي عن التقليد من غير علم[٦].

---

(١) تفسير المراغي- أحمد المراغي :(٣/١٥).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩٥/١٧)
(٣) انظر: التفسير القرآني للتفسير- عبد الكريم الخطيب :(٤٠٧/٨-٤٠٨).
(٤) انظر: روح المعاني ـ للألوسي :(٣/٨).
(٥) انظر: تفسير المراغي ـ أحمد المراغي(٤/١٥)، وروح المعاني ـ للألوسي (٣/٨).
(٦) انظر:التفسير المنير ـ للزحيلي : (٦/١٥).

رابعًا: موضوعات السورة

عالجت سورة الإسراء العقيدة الإسلامية في شتى مظاهرها، وتميزت بتنوع موضوعاتها[1]، حيث تضمنت إشارة إلى حادثة الإسراء النبوي، ومجموعة من الوصايا والأوامر والنواهي والحكم الدينية والأخلاقية والاجتماعية، وفيها استطرادات إلى أحداث بني إسرائيل التاريخية، وإلى قصة آدم وإبليس، وقصة موسى وفرعون في معرض التمثيل والموعظة، وفيها حكاية لمواقف الكفار وعقائدهم وأقوالهم وتعجيزاتهم ومناقشتهم فيها وتسفيههم، وإشارة إلى محاولات الكفار لزحزحة النبي ﷺ عن بعض ما يدعو إليه ومساومته، وإلى بعض أزماته، وتسليته من جهة، ومعاتبته من جهة ثانية، وحكاية لموقف بعض علماء الكتابيين وإيمانهم بالقرآن، وإشادتهم بالقرآن في مواضع عديدة، وتنويه بما فيه من حق وهدى وروحانية وشفاء وإعجاز[2]،ولكن العنصر البارز في كيان السورة ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسولﷺ،وإثبات فضله وفضل ما أنزل عليه[3].

وهذا تفصيل أبرز ما جاء فيها من موضوعات[4]:

١- تضمنت السورة الكلام عن حدث عظيم ومعجزة باهرة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وهي معجزة الإسراء من مكة إلى المسجد الأقصى في جزء من الليل، والتي هي دليل باهر على قدرة الله ﷻ، وتكريم إلهي لنبينا محمدﷺ.

٢- أخبرت السورة عن قصة بني إسرائيل في حالي الصلاح والفساد، ببيان إعزازهم حال الاستقامة وإمدادهم بالأموال والبنين، وبيان تشردهم في الأرض مرتين بسبب عصيانهم وإفسادهم، وتخريب مسجدهم، ثم عودهم إلى الإفساد باستفزازهم النبي ﷺ، وإرادتهم إخراجه من المدينة: **﴿وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها﴾** [الإسراء:٧٦].

٣-بينت السورة بعض الأدلة الكونية على قدرة الله وعظمته ووحدانيته، مثل آية:**﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ...﴾** [الإسراء:١٢].

٤- وضعت هذه السورة أصول الحياة الاجتماعية القائمة على التحلي بالأخلاق الكريمة والآداب الرفيعة، وذلك في الآيات:**﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ...﴾**[الإسراء:٢٣-٣٩].

---

(١) التفسير الواضح ـ محمد الحجازي : (٢/ ٣٤٩)

(٢) التفسير الحديث ـ دروزة محمد عزت (٣/ ٣٥١) بتصرف يسير .

(٣) انظر: فى ظلال القرآن ـ سيد قطب (٢٢٠٨/٤)

(٤) انظر:التفسير المنير ــ الزحيلى(١٥/٦ـ ٨) والتحرير والتنوير ـ الطاهر ابن عاشور (٩/١٥)

٥- نددت السورة بنسبة المشركين البنات إلى الله زاعمين أن الملائكة بنات الله: [الآية:٤٠]، ثم أنكرت عليهم وجود آلهة مع الله [الآيات:٤١-٤٤]، ثم فندت مزاعمهم بإنكار البعث والنشور [الآيات:٤٩-٥٢]، [والآيات:٩٨-٩٩]، كما وحذرت النبي ﷺ من موافقته المشركين في بعض معتقداتهم [الآيات:٧٣-٧٦].

٦- بينت السورة سبب عدم إنزال الأدلة الحسية الدالة على صدق النبي ﷺ [الآية:٥٩]، ومدى تعنت المشركين في إنزال آيات اقترحوها غير القرآن من تفجير الأنهار، وجعل مكة حدائق وبساتين، وإسقاط قطع من السماء، والإتيان بوفود الملائكة، وإيجاد بيت من ذهب، والصعود في السماء [الآيات: ٨٩-٩٧].

٧- أنبأت السورة عن قدسية مهمة القرآن وسمو غاياته:﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]،﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء:٨٢]، وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله [الآية:٨٨]؛ مما يدل على إعجاز هذا القرآن.

٨ـ أعلنت السورة مبدأ تكريم الإنسان بأمر الملائكة بالسجود له وامتناع إبليس [الآيات:٦١-٦٥]، وتكريم بني آدم ورزقهم من الطيبات [الآية:٧٠].

٩- عددت أنواعًا جليلة من نعم الله على عباده: [الآيات:١٢-١٧]، ثم لوم الإنسان على عدم الشكر: ﴿وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ...﴾ [الآية:٨٣]، ومن أخص النعم: هبة الروح والحياة [الآية:٨٥].

١٠- عقدت مقارنة بين من أراد الحياة الدنيا، ومن أراد الحياة الآخرة [الآيات:١٨-٢١].

١١- ذكرت أمر النبي ﷺبإقامة الصلاة والتهجد في الليل [الآيات:٧٨-٧٩]، ودخوله المدينة وخروجه من مكة [الآية:٨٠].

١٢- في السورة إشارة إلى جزء من قصة موسى مع فرعون وبني إسرائيل [الآيات:١٠١-١٠٤].

١٣- بينت السورة حكمة نزول القرآن منجمًا (مفرقًا بحسب الوقائع والحوادث والمناسبات) [الآيات:١٠٥-١٠٦].

١٤- ختمت السورة بتنزيه الله عن الشريك والولد، والناصر والمعين، واتصاف الله بالأسماء الحسنى التي أرشدنا إلى الدعاء بها [الآيات:١١٠-١١١].

والخلاصة:

إن السورة اهتمت اهتمامًا كبيرًابترسيخ أصول العقيدة والدين، شأنها في ذلك شأن كافة السور المكية، من مثل إثبات التوحيد، والرسالة والبعث، وإبراز شخصية الرسول ﷺ وتأييده بالمعجزات الكافية التي تدلل على صدقه، وتفنيد شبهات كثيرة للمشركين .

ولابد من الإشارة إلى أن تنوع موضوعات السورة وكثرتها جعلها تتميز بشخصية مستقلة تختلف عن باقي سور القرآن، ومع هذا التنوع إلا أن غالب موضوعاتها فى العقيدة؛ فكان الهدف الأساس فيها هو التوحيد، ثم جاءت الموضوعات الأخرى لتدعيم الهدف الأساس .

الفصل الأول
التوحيد في سورة الإسراء

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول : توحيد الربوبية في سورة الإسراء .

المبحث الثاني : توحيد الألوهية في سورة الإسراء .

المبحث الثالث : توحيد الأسماء و الصفات في سورة الإسراء .

المبحث الرابع : منهج القران في عرض قضايا العقيدة من خلال السورة .

المبحث الأول

توحيد الربوبية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعريف الربوبية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : منهج القران الكريم في بيان توحيد الربوبية من خلال السورة .

المطلب الثالث : مقاصد وآثار توحيد الربوبية على الفرد والمجتمع من خلال السورة .

المطلب الأول
تعريف الربوبية لغةً واصطلاحًا

تعريف الربوبية لغة

"الرَّبُّ، باللامِ: لا يُطْلَقُ لِغَيْرِ اللَّهِ ﷻ، يقال: الرِّبابَةُ بالكسر، والرُّبُوبِيَّةُ بالضمِّ، وعِلْمٌ رَبُوبِيٌّ، بالفتحِ: نِسْبَةٌ إلى الرَّبِّ وربُّ كُلِّ شَيْءٍ: مالِكُهُ ومُسْتَحِقُّه، أو صاحِبُهُ،والمُتَأَلِّهُ، العارِفُ باللَّهِ ﷻ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾[آل عمران:٧٩](١).

قال ابن فارس:"الرَّاءُ وَالْبَاءُ يَدُلُّ عَلَى أُصُولٍ، فَالْأَوَّلُ إِصْلَاحُ الشَّيْءِ وَالْقِيَامُ عَلَيْهِ، فَالرَّبُّ: الْمَالِكُ، وَالْخَالِقُ، وَالصَّاحِبُ، وَالرَّبُّ: الْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ"(٢).

والرَّبُّ يُطْلَق فِي اللُّغَةِ عَلَى المالكِ، والسَّيِّدِ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّمِ، والمُنْعِمِ، وَلَا يُطلَق غيرَ مُضافٍ إلّا عَلَى اللَّهِﷻ، وإذا أُطْلِق عَلَى غيرِه أُضِيفَ، فيقال مثلاً: ربّ الدار(٣).

يقول ابن القيم فى تعريفها:"فَاسْمُ الرَّبِّ لَهُ الْجَمْعُ الْجَامِعُ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ رُبُوبِيَّتِهِ، وَكُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَبْدٌ لَهُ فِي قَبْضَتِهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ، فَاجْتَمَعُوا بِصِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ"(٤).

تعريف الربوبية اصطلاحًا

"توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه هو المحيي والمميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، القادر على كل شيء ليس له في ذلك شريك"(٥).

وقال ابن تيمية فى تعريفه: "فَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: أَنَّهُ لَا خَالِقَ إلَّا اللَّهُ، فَلَا يَسْتَقِلُّ شَيْءٌ سِوَاهُ بِإِحْدَاثِ أَمْرٍ مِنْ الْأُمُورِ؛ بَلْ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ"(٦)، وتوحيد الربوبية هو الأساس

---

(١) انظر: القاموس المحيط ـ للفيروزآبادى، (ص:٨٧)، وتاج العروس ـ للزبيدي (٤٦٠/٢)
(٢) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس (٢/ ٣٨١)
(٣) انظر: لسان العرب ـ ابن منظور(٣٩٩/١)
(٤) مدارج السالكين ـ لابن القيم (١/ ٥٨)
(٥) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة ـ محمد الخميس،(ص:٢١٥) ــ وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ـ سليمان بن عبد الله (ص:١)
(٦) مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية (٣٣١/١٠)

لأنواع التوحيد الأخرى، وهو يستلزم توحيد الألوهية، فهو وحده لا يُدخِل صاحبه في الإسلام؛ ولذلك قاتل الرسول ﷺ المشركين مع أنهم كانوا يقرون بأن الله سبحانه –وحده– هو الخالق الرازق، المحيي والمميت، المتصرف بالأمر كله،وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك فقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف:٨٧][١].

أنواع ربوبية الله على خلقه

ربوبية الله على خلقه نوعان:

١. ربوبية عامة شاملة لجميع المخلوقات: برها وفاجرها بما فى ذلك الحيوانات، لا يخرج عنها أحد، وهي أنه تعالى المنفرد بخلقها ورزقها وهو وحده الذى يدبر أمرها.
٢. وربوبية خاصة: وهي خاصة بأولياء الله وأصفيائه، وهي تربيته لهم بهدايتهم للدين والإيمان، وتعليمهم العلوم النافعة، وتكميلهم بالأخلاق الجميلة، ودفعه عنهم الأخلاق الرذيلة[٢].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره مبينًاهذين النوعين: "وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة، وخاصة.فالعامة: هي خلقه للمخلوقين ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.والخاصة: تربيته لأوليائه فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له ويكملهم ويدفع عنهم كل ما يحيل بينهم وبينه، وحقيقة معناها:تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، وإن هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة"[٣].

وهى تشتمل على التوفيق لكل خير،وذلك كما فى ربوبيته تعالى لموسى وهارون،قال تعالى:﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ [الأعراف:١٢٢]، وقد كانت ربوبية موسى وهارون لهما اختصاصًا زائدًا على الربوبية العامة للخلق؛ فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية وتربية أكمل من غيره[٤].

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ـ سليمان بن عبد الله (ص:١٨)
(٢) انظر:الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة ـ عبد الرزاق البدر، (ص: ٦٨ـ ٦٩)
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ للسعدي، (ص:٢٧٢)
(٤) مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية (٥/ ١٠٥)

وترى الباحثة أن من أمثلة الربوبية الخاصة:هدايته تعالى لعباده بتحبيبه الإسلام لهم، وشرح صدورهم لتعاليمه، كما قال تعالى:﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

يقول الشيخ السعدي فى تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى –مبينًا لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله–: إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذًا به، غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومَنَّ عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق"(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن ـ للسعدي (ص: ٢٧٢)

المطلب الثاني

منهج القرآن الكريم في بيان توحيد الربوبية من خلال السورة

لقد جاء القرآن بالتوحيد، وبين جميع أنواعه، ذلك أن التوحيد أساس الدين، والقاعدة الصلبة التي يقوم عليها بناؤه الشامخ، لذلك نجد أن القرآن الكريم سلك إلى تقريره وتوضحيه طرقًا شتى ووسائل متنوعة، ومسالك متعددة، وهي:

المسلك الأول: تقرير التوحيد بدليل الخلق والقدرة على البعث

أولاً: الاستدلال بخلق السماوات والأرض لإثبات الربوبية

وقد اتضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء:٩٩]، لقد خلق الله السماوات والأرض، وهي أكبر من خلق الناس، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[غافر:٥٧][(١)]، ومما يدلل على قدرته تعالى أنه خلق السماوات والأرض وابتدعها من غير شيء، ومن غير مادة، وأقامها تعالى بقدرته البالغة، والقادر على هذا الأمر العظيم لا يمتنع عليه إعادة الناس خلقًا جديدًا بعد أن يتحولوا إلى عظام ورفات[(٢)].قال الإمام الشوكاني:"وَالْمَعْنَى: قَدْ عَلِمُوا بِدَلِيلِ الْعَقْلِ أَنَّ من قدر على خلق السموات وَالْأَرْضِ فَهُوَ قَادِر عَلَى خَلْقِ أَمْثَالِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَشَدِّ خَلْقًا مِنْهُنَّ، كَمَا قَالَ:﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات:٢٧]"[(٣)].

فبينت الآية أن الخلق والإحياء والإماتة والإعادة،جميعها من ربوبية الله على خلقه،وهو تعالى وحده المتفرد بها،فدل ذلك دلالة كبيرة على توحيد الربوبية.

ثانيًا: الاستدلال بدليل خلق الإنسان وبعثه على ربوبية الخالق

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[الإسراء:٤٩-٥١].

---

(١) انظر:تفسير القرآن العظيم ـ لابن كثير،(١٢٣/٥).

(٢) انظر:التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ١٧٥)، و انظر:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبوالسعود العمادي، (٥/ ١٩٧)

(٣) فتح القدير ـ للشوكاني، (٣/ ٣١٠)

فالآيات تبين كمال قدرته تعالى في البعث، كما هي قدرته في الخلق لأول مرة، فالله تعالى قادر لذاته، وعالم لذاته، فلا يبطل علمه وقدرته مطلقًا، فالقادر على الابتداء يجب أن يبقى قادرًا على الإعادة، والإعادة هي فرع من خلق الله تعالى للمخلوقات كافة، فعلى أي كيفية كانوا سواء عظامًا أو رفاتًا، أو حجارة أو حديدًا، فالله تعالى قادر على إعادتهم كما فطرهم وخلقهم أول مرة(١).

وهذا استدلال يقنع كل ذي عقل سليم(٢)، وهو يدلل دلالة كبيرة على ربوبية الله تعالى على خلقه.

المسلك الثاني: نصب الآيات الكونية

فالله تعالى خلق الكون باتساق وجمال وكمال، وفيه كل ما يحتاجه البشر في إعمارهم للأرض، والآيات الكونية تدلل دلالة واضحة على توحيد الربوبية وتبينه وتوضحه، ومن هذه الآيات:

أولاً: تعاقب الليل والنهار

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ...﴾[الإسراء:١٢].

قال الإمام الطبري في تفسيرهلهذه الآية:"يقول الله تعالى ذكره: ومن نعمه عليكم أيها الناس، مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار، فإظلامه علامة الليل، وإضاءته علامة النهار، لتسكنوا في هذا، وتتصرفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها، وابتداء دخولها، وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾[الإسراء:١٢]،ثم يقول تعالى: وكل شيء بيَّناه بيانًا شافيًا لكم أيها الناس؛ لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نعمه، وتخلصوا له العبادة، دون الآلهة والأوثان(٣)، وهذه الآية من أعظم الآيات التي امتن الله بها على خلقه، فالمخالفة بين الليل والنهار، تُبين أن لكل منهما وظيفة خاصة به لا تناسب الآخر، فالليل للسكن والاستقرار، والسر في ذلك ظلمته، ففي الليل تهدأ الأعصاب، ويشعر الإنسان بالراحة والاستقرار لعدم وجود الأشعة والضوء، والنهار للمعاش والأعمال بأنواعها، والحكمة من النهار تكمن في نوره، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[المؤمنون:٨٠](٤).

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٤٦٣/١٧)، و انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي: (٣٥٢/٢٠).
(٢) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم – محمد طنطاوي – (٤٣٨/٨).
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٣٩٥/١٧).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم– ابن كثير (٤٩/٥)، وتفسير الشعراوي ـ محمد متولي الشعراوي (٨٤٠٠/١٤).

إن هذه الآيات لتدل دلالة واضحة على الخالق ﷻ، بأنه مدبر أمرها بنظام دقيق محكم، لا يصيبه خلل، فسبحان الله رب العالمين، لذلك فنحن مأمورون من الله تعالى بالنظر والتفكر في هذه الآيات العظام.

ثانيًا: تسبيح كل من في الكون لله تعالى

قال تعالى: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾[الإسراء:٤٤].

ومعناها: أن السماوات السبع والأرض ومن فيهن من المخلوقات تقدس وتنزه الله تعالى عما يقول المشركون، ويشهدون له جميعًا بالربوبية والألوهية، وما من شيء إلا يسبح الله تعالى، ويشهد على وجود الخالق ﷻ(١).

قال الشيخ الشعراوي في تفسيره: "فتسبيح الله هو حيثية الإيمان به كإله، وإلا لو أشبهناه في شيء ما استحق أن يكون إلهًا، والتسبيح: هو التنزيه، وهذا ثابت لله تعالى قبل أن يوجد من خلقه من يُنزّهه"(٢).

المسلك الثالث: تقرير التوحيد عن طريق التذكير بنعم الله تعالى

فالله تعالى هو المنعم على عباده بأصناف النعم المختلفة التي يستحق على إثرها إفراده بالتعظيم والتقديس، وقد تم من خلال التعريف بالسورة سابقًا بيان مناسبة سورة الإسراء لما قبلها، وهي سورة النحل، وكيف أن سورة النحل سميت بسورة النعم لذكرها أنواعًا كثيرة من النعم، وذَكرت أيضًا سورة الإسراء الكثير من النعم التي تبين وجوب توحيد الله تعالى في ربوبيته، وسيتم سرد هذه النعم لتكتمل الفكرة:

أولا: نعم الله تعالى على سيدنا محمدﷺ

١- أنعم الله تعالى على عبده محمد ﷺ بنعمة الإسراء والمعراج، وأراه من آياته الكبرى، وأظهر كرامته وفضله عند اللهﷻ، وواساه بهذه المعجزة العظيمة، قال تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[الإسراء:١].

---

(١) انظر: الوسيط ـ للزحيلي (١٣٥١/٢).
(٢) تفسير الشعراوي ـ محمد متولي الشعراوي (٨٥٥٨/١٤) .

٢- أنزل الله تعالى على نبيه القرآن الكريم، وجعل فيه الشفاء والرحمة، فقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[الإسراء:٨٢]. اختلف أهل العلم في معنى كونه شفاء على قولين، الأول: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وذهاب الريب وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه، والثاني: أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقي والتعوذ ونحو ذلك، ثم ذكر سبحانه أنه رحمة للمؤمنين لما فيه من العلوم النافعة المشتملة على ما فيه صلاح الدين والدنيا، ولما في تلاوته وتدبره من الأجر العظيم الذي يكون سببًا لرحمة الله سبحانه ومغفرته ورضوانه[1]. وترى الباحثة أن القرآن العظيم شفاء لكافة أنواع الأمراض الظاهرة والباطنة .

٣- من نعمه تعالى على رسوله الكريم أن أبطل كيد المشركين لمَّا هموا بإخراجه من مكة، فلم يخرج تنفيذًا لكيدهم، وإنما خرج بنفسه بعد ذلك تنفيذًا لأمر ربه ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٧٦].

ثانيًا: نعم خاصة ببني إسرائيل

١- ذكرهم الله تعالى بإنعامه عليهم حين أمدهم بالأموال والبنين، وجعلهم أكثر نفيرًا، لكنهم لم يرعوا حق هذه النعم، بل عصوا الله تعالى وأفسدوا في الأرض. قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[الإسراء:٦].

٢- ذكر بني إسرائيل بإنقاذهم من جبروت فرعون حينما أراد استئصالهم، فأنجاهم وأغرقه وقومه، وأسكنهم الأرض ليتنعموا فيها، قال تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[الإسراء:١٠٣-١٠٤].

ثالثًا: نعم عامة لجميع البشر

١- وهو فضل الله ورزقه كل أحد من خلقه، فإن الله تعالى لا يمسكه عن أحد مهما كانت درجة الجحود والكفران عنده، فالخالق ﷻ يُمد بالعطاء كل عباده، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[الإسراء:٢٠]، ومما ورد في تفسير هذه الآية أن هذا العطاء فائض على البر في الدنيا والآخرة، وعلى الفاجر في الدنيا فقط، حتى وإن

---

(١) انظر: فتح القدير ـ الشوكاني ـ (٣/٣٠٠).

وُجد منه ما يقتضي حظر العطاء، وهو الفجور والعصيان والكفر، بمعنى أن الله يُمد الجميع بمقومات الحياة، من أراد العاجلة، ومن أراد الآخرة[١].

يقول الإمام الشعراوي في تفسيره لهذه الآية: "الله تعالى يمد الجميع بمقومات الحياة، فمنهم من يستخدم هذه المقومات في الطاعة، ومنهم من يستخدمها في المعصية، كما لو أعطيت لرجلين مالاً، فالأول: تصدق بماله، والآخر: شرب بماله خمرًا، إذن، فعطاء الربوبية مدد ينال المؤمن والكافر، والطائع والعاصي، أما عطاء الألوهية المتمثل في منهج الله: افعل ولا تفعل، فهو عطاء خاص للمؤمنين دون غيرهم"[٢].

٢- هيأ الله تعالى للناس وسائل التنقل والحركة في البر والبحر، ليبتغوا من فضله، قال تعالى:﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[الإسراء:٦٦]، ومعنى الآية أن الله تعالى يُسير الفلك على وجه البحر ليبتغي الإنسان من فضل ربه ﷻ في طلب التجارة والعمل والانتفاع بها، فمن رحمته تعالى أن هيأ للإنسان منافع الدنيا ومصالحها، وهي من دلائل التوحيد المستنبطة من الإنعامات في أحوال ركوب البحر[٣].

٣- تكريم بني آدم وحملهم في البر والبحر، وإسباغ كافة أنواع الرزق والطيبات عليهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء:٧٠]، حيث تبين الآية الكريمة أن الكون كله يدور من أجل خدمة الإنسان، آيات كونية عظيمة من شمس وقمر ونجوم وكواكب وبحار وأنهار وأمطار، كلها في خدمة بني آدم مع عدم قدرتهم في السيطرة عليها، وحملهم في البر والبحر، مسخّرًا وسائل النقل المتنوعة لهم، ورزقهم من الطيبات المتنوعة من زروع وثمار ولحوم وألبان، وجعل الكون مليئًا بالمناظر الجميلة الخلابة، إمكانات لا يحظى ويظفر بها غيره من المخلوقات، وتكريم له من الله ﷻ بالعقل، ليفهم كلام الله، ويصل إلى حل للغز الكون، وليهتدي إلى أن له خالقًا مبدعًا[٤].

وكان من مظاهر التكريم للإنسان أن الله تعالى جعل الملائكة يسجدون لآدم ﵇، الذي انبثقت البشرية منه، فهو أبو البشر، فسجدوا له استجابة لأمر الله تعالى، الذي كرم هذا

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٤١٠/١٧)، وروح البيان ـ لإسماعيل حقي (١٤٥/٥).
(٢) تفسير الشعراوي ـ محمد متولي الشعراوي (٨٤٤٠/١٤).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي (٣٧١/٢١).
(٤) انظر: تفسيرالشعراوي ـ متولي الشعراوي (٨٦٨٠/١٤)، والوسيط ـ للزحيلي، (١٣٧٠/٢).

المخلوق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[الإسراء:٦١].

٤- ومن نعم الله تعالى فضله على عباده المتقين، حيث يعصمهم ويحميهم من كيد الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[الإسراء:٦٥].

مما سبق يتبين أن هذه النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى لابد لها من منعم، وهذا المنعم هو الله وحده الواحد الأحد، الفرد الصمد، المتفرد بربوبيته وألوهيته، المستحق وحده بالعبادة والتعظيم والتقديس.

المسلك الرابع: تقرير التوحيد عن طريق إثبات تفرده وتحكمه سبحانه في شؤون الكون والخلائق

فكما أن الله وحده المنعم على عباده بصنوف النعم المختلفة، فهو أيضًا المتصرف في شؤون الكون والخلائق ليتم التدليل على ربوبيته تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾[الإسراء:٦٧].

بينت التفاسير أن الضر الذي يصيب الإنسان هو خوف الغرق في الأهوال التي تصيب البحر من اضطراب وتموج وظواهر طبيعية، والمتحكم بها هو الله تعالى وحده، فلا يجد من ينجيه إلا الله، فهو وحده المتحكم بشؤون الكون والخلائق[١].

وقوله تعالى:﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾[الإسراء:٦٨-٦٩].

ومعناها: هل أمن الإنسان على نفسه بعد ما نجاه الله تعالى وعاد للشرك، أن يخسف الله به مكانه من البر، أو يزلزل الأرض من تحته؟ أو أن يأتي بمطر محمل بالبرد والحجارة؟ هل اعتقد أن الأمر وقف عند هذا الحد؟ فالله تعالى هو المتحكم بشؤون عباده، وهو القادر على أن يأتيهم بعذاب آخر من خسف او زلزال أو تفجير بركان، أو غير ذلك من صنوف العذاب[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ـ للقرطبي (٢٩٢/١٠)

(٢) انظر: الوسيط ـ للزحيلي (١٣٧٠/٢)

المطلب الثالث

مقاصد وآثار توحيد الربوبية على الفرد والمجتمع من خلال السورة

ظهر في السورة عدد من المقاصد والآثار لتوحيد الربوبية، منها:

١- تحقيق توحيد الألوهية لدى الفرد: وذلك أن توحيد الربوبية يفضي إلى توحيد الألوهية في الفطر السليمة، فالله وحده المستحق للحمد، والشكر، والتعظيم، والتقديس، ولا تنبغي العبادة لشيء سواه، لأن كل من البشر مملوك لله، وعبد له، والمملوك هو طوع يد مالكه، ولا ينبغي للعبد أن يعبد غير مالكه، وهذا ما ورد في تفسير قوله تعالى:﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥][١]، وقال تعالى:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، وهو حق لله تعالى على العباد، فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، قال: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ»[٢]. قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ [الإسراء:٢٣]، "أي: أمر أمرًا مبرمًا وأوصى ربك بأن لا تعبدوا إلا إياه، لأن العبادة غاية التعظيم، فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام"[٣]. ومن تفرد بالإنعام والخلق والإيجاد –وجميعها أفعال الله تعالى وحده– يجب أن يُفرد ويُختص بالعبادة والتعظيم والتقديس وحده[٤]، وهذا يتحقق بالنطق أولاً بكلمة التوحيد المتمثلة في قول: لا إله إلا الله، مع المعرفة الحقة لمعناها، والعمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك، وإخلاص القول والعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح[٥].

٢- تحقيق الرضا: فإذا علم المرء أن خالق الكون هو الله، وبالتالي هو المحيي والمميت، والرازق، فيتحقق الرضا بما يقدره الله له، وبما يفرض عليه، فيسعد في دنياه وآخرته.ويجب على العبد الرضا عن الله في تدبيره وحكمه الكوني وحكمه الشرعي، فلا يعارض حكم الله برأي ولا ذوق ولا استحسان، وعليه أن يُحَكّم شرع الله، فما أمره الله بفعله فعله، وما أمره بتركه تركه[٦]. قال

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ـ (٣٩٥/٥).
(٢) صحيح البخاري ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب اسم الفرس والحمار ـ ح رقم:٢٨٥٦ـ(٢٩/٤)
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبو السعود (١٦٦/٥).
(٤) انظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد– محمد الصنعاني ،محمد الشوكاني (ص :٢٥) .
(٥) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد– عبد الرحمن التميمي (ص: ٣٥).
(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ـ عبد الرحمن بن ناصر البراك(ص : ١٢٤)

تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[الأحزاب:٣٦]، وقد استغرق هذا المقصد مجموعة الآيات من (٢٣-٣٨) من قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] إلى قوله: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:٣٨]، وبذلك ينشأ المجتمع وفقاً لشرع الله تعالى .

٣- تحقيق الاطمئنان: إن المرء إذا علم أنه لا رازق له إلا الله، ولا كاشف للضر إلا الله، وأن الأمر كله بيد الله، فلا نافع ولا ضار إلا هو ﷻ، فبذلك يشعر بالاطمئنان والسكينة، ويسعد في حياته، قال تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[الإسراء:٣٠]، مما يؤدي إلى نشأة مجتمع خالي من السحر والشعوذة، مجتمع لا يوكل أفراده أمورهم إلا لله .

٤- تحقيق اليقين بأن الله هو وحده الجدير بصفات الكمال، وأسماء الجلال، وتفرده تعالى بها، وإخلاص العبادة له تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله: "الْإِلَهَ" هُوَ الْمَأْلُوهُ، وَالْمَأْلُوهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ، وَكَوْنُهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ هُوَ بِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنْ الصِّفَاتِ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَحْبُوبَ غَايَةَ الْحُبِّ الْمَخْضُوعَ لَهُ غَايَةَ الْخُضُوعِ؛ وَالْعِبَادَةُ تَتَضَمَّنُ غَايَةَ الْحُبِّ بِغَايَةِ الذُّلِّ"[(١)]،﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:١١٠]، فكلما تقرب العبد إلى الله عز وجل بأسمائه وصفاته كلما زاد إيمانه .

٥- تحقيق اليقين بأن الله وحده المتفرد بالنعم على عباده، فلا منعم على الإنسان غيره، قال تعالى:﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:٢٠].

٦- التحرر من رقِّ المخلوقين، والتعلق بهم والخوف منهم، والعمل من أجلهم؛ فهو تعالى مدبر شؤون العباد وخالقهم ورازقهم، فلا يكون التذلل إلا له، ولا يكون الخوف إلا منه تعالى، وبذلك يتخلص من شرك الربوبية،قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٦٥].

---

(١) مجموع الفتاوى ـ لابن تيمية (١٠/ ٢٤٩)، والفتاوى الكبرى ـ لابن تيمية (٥/ ٢٢٧)

٧- تحقيق اليقين بأن النصر من عند الله تعالى، ويتضح هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[الإسراء:٧]. ففي هذه الآية وعد الله بالنصر والتمكين للمسلمين، فهو وعد حق ويقين، لابد أن يكون راسخًا عند كل مسلم، ويؤيده قول الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال:١٠].

المبحث الثاني

توحيد الألوهية في سورة الإسراء

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول : معنى توحيد الألوهية لغةً و اصطلاحاً .

المطلب الثاني : منهج القران الكريم في بيان توحيد الألوهية من خلال السورة .

المطلب الثالث : مخاطر الشرك و مآل المشركين من خلال السورة .

المطلب الرابع : مقاصد وآثار توحيد الألوهية على الفرد والمجتمع من خلال السورة.

المطلب الأول
معنى توحيد الألوهية لغةً واصطلاحًا

الألوهية لغة

"الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد، فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود"[١].

"تألَّهَ يتألَّه، تألُّهًا، فهو مُتألِّه وتألَّه الشَّخصُ: تنسَّك وتعبَّد"[٢].و"الإله الله ﷻ، وكل ما اتخذ من دونه معبودًا إله عند متخذه، والجمع آلهة"[٣].

وفي ذلك يقول الزمخشري: "والإله من أسماء الأجناس، كالرجل، والفرس، اسمٌ لما يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، كما أن النجم اسم لكل كوكب، ثم غلب على الثريا"[٤].

والإله هو المألوه المعبود، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:و"الْإِلَهُ هُوَ الْمَأْلُوهُ، أَيْ الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُؤَلَّهَ أَيْ يُعْبَدَ، وَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُؤَلَّهَ وَيُعْبَدَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ مِنْ لَدُنْ عَرْشِهِ إلَى قَرَارِ أَرْضِهِ بَاطِلٌ"[٥]،"فالإله: هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابةً وإجلالاًوإكرامًا"[٦].

معنى توحيد الألوهية اصطلاحًا

"توحيد الألوهية: هو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين لله وحده"[٧].

بمعنى: أن يُعبَد الله ﷻ وحده، ولا يُشرَك معه في عبادته أحد من خلقه؛ لأنه وحده المستحق لأن يعبد، وهو مبني على إخلاص العمل كله، والتوجه به لله ﷻ وحده دون سواه، سواء كان هذا العمل من أعمال القلوب أم من أعمال الجوارح"[٨].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس(١/ ١٢٧)
(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ـ أحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (١١٣/١)
(٣) لسان العرب ـ ابن منظور (١٣/ ٤٦٧)
(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ـ للزمخشري، (٦/١)
(٥) مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية (١/ ٢٢)
(٦) المصدر السابق : (١٣/ ٢٠٢)
(٧) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة ـ محمد الخميس، (ص : ٢٤٥)
(٨) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ـ عثمان ضميرية ، (٢٣٣/١)

ومن المهم في توحيد الإلهية أن تصرف جميع العبادات لله تعالى، والإخلاص له فيها، وذلك يشمل العبادات بأنواعها، سواء كانت عبادات قلبية كالحب والخوف والإخلاص، والتوكل والصبر والتعظيم، والرضا والتسليم،أو كانت عبادات قولية كالدعاء والذكر والتسمية والاستعاذة والاستغاثة، والحلف والتوسل والشفاعة وغير ذلك، أو كانت عبادات بدنية عملية مثل الصلاة من سجود وركوع(١).

(١) انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ـ حمود بن أحمد الرحيلي،(١/ ٩٣)

المطلب الثاني

منهج القرآن الكريم في بيان توحيد الألوهية من خلال السورة

المنهج هو عبارة عن مجموعة من الطرق والأساليب والمسالك التي سلكها القرآن في بيان توحيد الألوهية، وهي الأمر بتوحيد الألوهية مباشرة، ومناقشة شبهات المشركين والرد عليهم، وبيان العبادة الصحيحة التي ينبغي أن يكون المسلم عليها، وبيان ما أعده الله تعالى للمؤمنين من الفوز بالنعيم المقيم في الجنة، وبيان الصورة القائمة للعذاب الأليم في النار لكل من يخالف التوحيد[1].

وستبين الباحثة هذه المسالك بشواهدها من خلال السورة:

١- المسلك الأول:الأمر بتوحيد الألوهية مباشرة في السورة الكريمة، حيث قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، فقد بينت الآية الكريمة وجوب عبادة الله وحده، ودلت على منع عبادة غيره، ذلك أن العبادة تعني نهاية التعظيم والتقديس، ولا يليق ذلك إلا بمانح النعم ومعطيها وهو الله الواحد الأحد[2].

٢- المسلك الثاني: مناقشة شبهات المشركين، والرد عليهم، وتقريعهم في نسبتهم الولد والشريك إلى الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء:٤٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢]. وسيأتي بيانها وتفصيلها في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

٣- المسلك الثالث: بيان العبادة الصحيحة التي ينبغي أن يكون المسلم عليها، كما وجهه إلى العمل الصحيح الذي يزيد في إيمانه ويكسبه الثقة فيه، ويثبته على الحق، قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[الإسراء:٧٨-٧٩].وقد روي في تفسير هاتين الآيتين بيان أن الله تعالى ذكر الأمر بالطاعات بعد الإيمان، وجعلت الصلاة أشرف

(١) انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ـ عثمان ضميرية (ص: ٢٣٥ـ ٢٣٦)

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي (٢٠/٣٢١).

الطاعات، فإن من يشتغل بالعبادة وأداء الصلوات يدفع عنه الله تعالى الشر والسوء، وتشهد صلاته ملائكة الليل والنهار[1].

٤- المسلك الرابع: ذكرت السورة الكريمة ما أعده الله تعالى من الفوز بالنعيم المقيم، والثواب في الجنة لمن يحقق هذا التوحيد، ورسمت في المقابل الصورة القائمة للعذاب الأليم المهين لكل من يخالف هذا التوحيد، فقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[الإسراء:١٨-١٩]، وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾[الإسراء:٢٢]، وقوله تعالى فيمن يترك عبادة الله ويسير في طريق الشيطان :﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾[الإسراء:٦٣]، وقوله تعالى فيمن كُتبت له الهداية والإيمان، وفيمن كتب له الضلال: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[الإسراء:٩٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩].

مما سبق يتبين لنا أن السورة الكريمة ركزت بشكل واضح وكبير على توحيد الألوهية، مع بيان حقيقته ومستلزماته ومقتضياته.

(١) انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي (٣٨٢/٢١)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ـ للنسفي (٢٧٢/٢).

المطلب الثالث

مخاطر الشرك ومآل المشركين من خلال السورة

أولًا: تعريف الشرك لغةً

"الشين والراء والكاف؛ أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، وهو أن يكون الشيء بين اثنين، لا ينفرد به أحدهما. يقال: شاركت فلانًا في الشيء؛ إذا صرت شريكه. وأشركت فلانًا؛ إذا جعلته شريكًا لك. ومنه قوله تعالى في قصة موسى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه:٣٢][(١)].

وفى اللسان: الشرك:"الشِرْكة والشَرِكة سواء: مخالطة الشريكين. يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر "[(٢)].

أما تعريف الشرك اصطلاحًا:"فهو أن يتخذ العبد لله ندًّا يسوِّيه به في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته"[(٣)]. ومعنى ذلك أنه جعل شريكًا مع الله في التوحيد، ولذا يكون الشرك ضد التوحيد، كما أن الكفر ضد الإيمان، قال تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] [(٤)].

والشرك ضد التوحيد، وهو نوعان: الأول: شرك أكبر، وهو الذى يلزمنا فى هذا البحث، والآخر: شركٌ أصغر.

"والشرك الأكبر" ينافي التوحيد بالكلية، ويخرج صاحبه من الإسلام، وصاحبه خالد فى النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[النساء:٤٨]، ويُعدّ الشرك أكبر الكبائر. يدلل على ذلك قول رسول الله ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ»[(٥)].

والشرك عظيم لأسباب عظيمة: منها أنه يصرف خالص حق الله تعالى –وهو العبادة– لغيره، أو يصف أحدًا من خلقه بشيء من صفاته التي اختص بها ﷻ، وفيه تنقصٌ لرب العالمين ومساواةٌ لغيره به، قال تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٦-٩٨] [(٦)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس(٣/٢٦٥)

(٢) لسان العرب ـ ابن منظور (١٠/٤٤٩)

(٣) تسهيل العقيدة الإسلامية ـ عبد الله الجبرين، (ص:١٥٠) .

(٤) انظر:الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ـ عبد الله الأثري، (ص:٢٣٥) .

(٥) صحيح البخاري ــ كتاب الإستئذان ـ باب من اتكأ بين يدي أصحابه ـ ح رقم: ٦٢٧٣(٨/٦١) .

(٦) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ـ نخبة من العلماء، (ص:٥٩)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ»[1]، وقد جعل الله تعالى من حقوقه على العباد عدم الإشراك به، ورد فى الصحيحين عن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: "يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد، وما حق العباد على الله ﷻ"؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا"[2].

وقد اهتم القرآن بالشرك، وأخبر أنه محبط للأعمال؛ فلا يأخذ المشرك بالله أجرًا على عمله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥] [3].

والشرك أمّ المساوئ، وكلية الرذائل، ومعمل الموبقات، فهو معصية لا تجدي معها طاعة، ومنقصة لا يجزي عنها كمال، وضعة لا يقوم منها عز، وهو السبب فى انحطاط الأمم، وهو الدليل على ظلمة القلوب وسفه الأحلام وفساد الأخلاق، ولا يجد المرء كهذه النقائص أضر بالاتحاد، وأدر للفوضى، وأذل للشعوب، وكل ذلك نقيض مايحققه التوحيد من تطهير للقلوب وإرشاد للعقول وإقامة للأخلاق، وجميعها أسس تعمل على ضمان السيادة وحمل منارة المدنية الطاهرة، ولأدل على ذلك من حياة العرب قبل بعثة المصطفى ﷺ مقارنةً بحياتهم بعد البعثة، ففيها الدلالة الواضحة على ذلك[4].

وقد تحدثت الآيات فى السورة الكريمة عن الشرك، وبينت مآل المشركين، فقال تعالى:﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً﴾[الإسراء:٢٢]، فقد بينت الآية الكريمة أصول تنظيم المجتمع المسلم وهو التوحيد الذى يعتبر أساس الإيمان،بل إن التوحيد ونفي الشركاء والأضداد عنه تعالى هو أشرف أجزاء الإيمان[5].

والآية تنهى عن الشرك وتحذرمن عاقبته، والأمر فيها عام، ولكنه وجه إلى المفرد ليحس كل واحد من الأفراد أنه أمر خاص به، صادر إلى شخصه، فالاعتقاد مسألة شخصية مسؤول عنها كل فرد بذاته، والنهى عن الشرك قضية عقدية كبرى، ذلك أن العاقبة التي تنتظر كل فرد يحيد عن التوحيد أن «يقعد» «مذمومًا» بالفعلة الذميمة التي أقدم عليها، «مَخْذُولًا» لا ناصر له،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:{فلا تجعلوا لله أندادًا{ [البقرة:٢٢]، ح رقم: ٧٥٢٠، (١٥٢/٩)

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب اسم الفرس والحمار ـ ح رقم : ٢٨٥٦ـ (٢٩/٤)

(٣) انظر: مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية ـ عبد الله الجبرين ،(ص:٥٩)

(٤) انظر: رسالة الشرك ومظاهره ـ مبارك بن محمد الجزائري ، (ص:٩٠) باختصار

(٥) انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي ،(٣١٩/٢) والتفسير المنير ـ للزحيلي ، (٤٨/١٥)

ومن لا ينصره الله فهو مخذول وإن كثر ناصروه، ولفظ «فَتَقْعُدَ» يصور هيئة المذموم المخذول وقد حط به الخذلان، فالقعود هو أضعف هيئات الإنسان وأكثرها استكانة وعجزًا، فيظل في حالة النبذ والخذلان[1].

والمشرك يجمع على نفسه الذمَّ من الملائكة والمؤمنين، والخِذلانَ من الله تعالى، فذمه يكون من ذوي العقول، إذ من أعظم السخرية أن يتخذ المرء حجرًا أو عودًا ربًّا له يعبده ويتقرب إليه، كما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام:﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾[الصافات:٩٥]، كما أنه يُذم من الله تعالى، وفيه بيان بان الموحدلله يجمع بين المدح والنصرة[2].

ومن لوازم شكر الله تعالى أن نفرده بالعبادة، ولا نشرك به شيئًا، لما يترتب على ذلك من راحة وسعادة في الدنيا والآخرة، يقول الشيخ الشعراوى فى تفسيره: "لأنه سبحانه أعطاك في الدنيا، وأمدّك بالأسباب، وبمقوّمات حياتك، أوجدك من عدم، وأمدك من عُدْمٍ، حتى وإنْ كنت كافرًا، ثم أعدَّ لك في الآخرة الدرجات العالية والنعيم المقيم الذي لا يَفْنى ولا يزول،وهذه هي الحيثيات التي ينبغي عليك بعدها أن تعرفه سبحانه، وتتوجّه إليه، وتلتحم به، وتكون في معيته، ولا تجعل معه سبحانه إلهًا آخر؛ لأنك إنْ فعلتَ فلن تجد من هذا النعيم شيئًا، لن تجد إلا المذمّة والخُذْلان في الدنيا والآخرة، وسوف تُفَاجأ في القيامة بربك الذي دعاك للإيمان به فكفرْتَ:﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ [النور:٣٩]، ساعتها ستندم حين لا ينفعك الندم، بعد أن ضاعت الفرصة من يديك، يقول تعالى: ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً﴾ [الإسراء:٢٢][3].

ولذا أمر الله تعالى، أي: ألزم وأوجب على البشر عبادة الله، وحده، دون إشراك غيره فيها[4]. قال تعالى: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣]، ولبيان أهمية التوحيد نجد أن الله تعالى قد اختتم الأوامر والنواهي التي تخللتها الآيات من الآية (٢٣ حتى الآية٣٨) من قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣] إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:٣٨]، كما بدأها وذلك بربطها بالله وعقيدة التوحيد والتحذير من الشرك. وبيان أنها من الحكمة التي يهدي إليها القرآن الذي أوحاه الله إلى الرسول:﴿ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾[الإسراء:٣٩]، وهو

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ـ سيد قطب (٢٢٢٠/٤)

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبو السعود (١٦٥/٥)، والتحرير والتنوير- الطاهر ابن عاشور (٦٤/١٥)

(٣) تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي ، (٨٤٤٧/١٤)

(٤) انظر:التفسير الوسيط ـ للزحيلي ، (١٣٣٩/٢)

ختام يشبه الابتداء، فتكون محبوكة الطرفين، وموصولة بالقاعدة الكبرى: قاعدة توحيد الله وعبادته وتقديسه دون سواه، وهي القاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإسلام بناء الحياة وأصول قواعدها[(١)].

وقد كُرر النهى عن الشرك في الآيات للتنبيه على أن التوحيد مبدأُ الأمرِ ومنتهاه، وأنه رأسُ كل حكمةٍ وملاكُها، ومن فقده لم تنفعه علومه وحكمه،حتى ولوحكّ بيافوخه عنان السماء، فيجد نتيجةالشرك في الآخرة: ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾، فيكون ملومًا من جهة نفسِه ومن جهة غيره: ﴿مَّدْحُورًا﴾ مبعَدًا من رحمة الله تعالى، وفيه ازدراءٌ واحتقار للمشرك،وتشبيه له بالخشبة التي تؤخذ باليد وتلقى في النار[(٢)].

ثم انتقلت الآيات الى تنزيهه تعالى عن الشريك والولد في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾[الإسراء:٤٠]. والآية فيها استنكار لفعلة الكفارالذين نسبوا الولد لله ﷻ، بل إنهم نسبوا إليه أردأها، وهُنَّ الإناث، وهم لا يرضونها لأنفسهم، وقد بيَّن الله تعالى هذا المعنى في آيات كثيرة، منها قَوْلُهُ: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[النجم:٢١-٢٢]، وَقَوْلُه: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾[الطور:٣٩][(٣)].

قال الإمام سيد قطب –رحمه الله:"في الآية استفهام للاستنكار والتهكم. استنكار لما يقولون من أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن الولد والصاحبة، كما تعالى عن الشبيه والشريك. وتهكم على نسبة البنات لله وهم يعدُّون البنات أدنى من البنين، ويقتلون البنات خوف الفقر أو العار، ومع هذا يجعلون الملائكة إناثًا، وينسبون هؤلاء الإناث إلى الله! فإذا كان الله هو واهب البنين والبنات، فهل أصفاهم بالبنين المفضلين واتخذ لنفسه الإناث المفضولات؟! وهذا كله على سبيل مجاراتهم في ادعاءاتهم لبيان ما فيها من تفكك وتهافت، وإلا فالقضية كلها مستنكرة من الأساس"[(٤)].

وتستمر الآيات فى تنزيهه تعالى عن الشريك، وإقامة الحجة على المشركين بالدليل العقلى،كما تبين ذلك فى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا *سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٤٢،٤٣]. قال الإمام الشوكاني في تفسير

(١) انظر: فى ظلال القرآن ـ سيد قطب ، (٢٢٢٨/٤)
(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبو السعود ، (١٧٣/٥)
(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ للشنقيطي ، (١٥٧/٣)
(٤) فى ظلال القرآن ـ سيد قطب ، (٢٢٣٠/٤)

الآية:"لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ: وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، سَبِيلًا: طَرِيقًا لِلْمُغَالَبَةِ وَالْمُمَانَعَةِ، كَمَا تَفْعَلُ الْمُلُوكُ مَعَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ مِنَ الْمُقَاتَلَةِ وَالْمُصَاوَلَةِ، وَقِيلَ: معناه: إذا لابتغت الآلهة إلى الله القربة والزّلفى عنده، لأنهم دونه، والمشركون إِنَّمَا اعْتَقَدُوا أَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ. وَالظَّاهِرُ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ، وَمِثْلُ مَعْنَاهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٢]"[١].

(١) فتح القدير ـ للشوكاني ، (٣/ ٢٧٣)

المطلب الرابع

مقاصد وآثار توحيد الألوهية على الفرد والمجتمع من خلال السورة

إن لتوحيد الألوهية مقاصد عظيمة وثمرات كثيرة بالنسبة للفرد والمجتمع، باعتباره أهم أنواع التوحيد، وأول دعوة الرسل عليهم السلام،ذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي مجموعة من مقاصد التوحيد في كتابه:(القول السديد في مقاصد التوحيد)، وسيتم ذكر هذه المقاصد التي ذكرها الشيخ السعدي[١]، ثم استنباط شواهدها من السورة الكريمة.

أولًا: التوحيد هو السبب الأعظم في نيل رضا الله وثوابه، وأسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ،ففي الحديث عن أبي هريرةﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ"[٢]، قال تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا**﴾ [الإسراء:٢٢]، ومن الخذلان الذي يصيب المشرك عدم نيله شفاعة النبي ﷺ.

والآية نهت عن الشرك فى الألوهية والعبادة، وأمرت بالإخلاص فى العبادة لله وحده لاشريك له، مع عدم تصيير الشكر لغيره، لأن من يفعل ذلك يكون مخذولاً مذمومًا[٣]،فإن من يريد بعمله طاعة الله وهم أهل الثواب، فيشترط لحصولهم عليه ثلاثة شروط:أولها: إرادة الآخرة، وثانيها: أن يعمل عملاً ويسعى سعيًا موافقًا لطلب الآخرة، وثالثها: أن يكون مؤمنًا، وأشرف أجزاء الإيمان هو التوحيد ونفى الشريك، الذى يترتب عليه السعادة فى الدنيا والآخرة، والحصول على الثواب العظيم من الله تعالى، ودخول الجنة. وذلك مقصد عظيم يسعى إليه أصحاب العقول السليمة[٤]، قال تعالى : ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**﴾ [الإسراء: ١٩] فالتوحيد يدفع المسلم للطاعة والعبادة والتزام أوامر الله عز وجل.

ثانيًا: التوحيد يمنع الخلود فى النار، حتى ولو كان فى القلب منه أدنى حبة من خردل من إيمان، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا**﴾ [الإسراء:٣٩]، فقد تضمنت الآية بيان أن الموحد الذى لا يشرك بالله ينجو من عذابه، ولا يخلد فى النار إن دخلها؛ ذلك أن التوحيد رأس كل حكمة وملاكها، والموحدلا يكون مدحورًا مطرودًا من رحمة الله، أو ملومًا ينكر

---

(١) انظر:القول السديد في مقاصد التوحيد ـ للسعدي ـ (ص:٢٣ـ ٢٥)

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب العلم ـ باب الحرص على الحديث ـ ح رقم:٩٩ـ (٣١/١)

(٣) انظر:جامع البيان فى تأويل القرآن ـ للطبري(٤١٢/١٧)

(٤) انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي (٣١٩/٢٠)

عليه فعله، فعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١) (٢) .

ثالثًا: التوحيد يسهل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسليه عند المصائب، فالموحد المخلص لله في توحيده تخف عليه الطاعات، لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي لما يخشى من سخط الله وعقابه، لذلك نجد أن الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك في السورة الكريمة اقترنت بمجموعة من الأوامر والنواهي، التي عملت على تنظيم حياة المجتمع الإسلامي، واستغرقت الآيات من قوله تعالى:﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾[الإسراء:٢٣]، إلى قوله تعالى:﴿ **كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا** ﴾[الإسراء:٣٨]

وقد تضمنت هذه الآيات الأمر بمعاملة الوالدين معاملة حسنة، والنهي عن مخاطبتهم بالقول السيء، وخفض الجناح لهما، كما حثت على إعطاء الحقوق لأصحابها كالأقارب والمساكين وأبناء السبيل، ونهت عن الإسراف والتبذير، ودعت إلى الاعتدال في الإنفاق، ونهت عن قتل الأبناء خشية الفقر، وعن القتل بغير حق، والتعدي على مال اليتيم، والخيلاء والتكبر، والتثبت من الحق، ودعت إلى إيفاء الكيل والميزان، ولاشك أن هذه الأمور لا تتحقق كمقاصد إلا بالتوحيد الخالص لله رب العالمين، وترك الشرك، فهي مشدودة إلى عقيدة التوحيد التي يقوم عليها بناء المجتمع(٣)، وبذلك ينشأ مجتمع ملتزم بأوامر الله يخلو من الجريمة والإنحراف .

رابعًا: بالتوحيد يتحقق كمال الرجاء مع كمال الخوف من الله ﷻ، وهي من أركان العبادة التي تتحقق كمقصد من مقاصد توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة، كما قال تعالى: ﴿ **وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾[الإسراء:٥٧](٤). إن هذه الأمور الثلاثة (الخوف، والرجاء، والمحبة) التي هي أركان العبادة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل والمادة في كل خير، فمن تحققت له أحاط به الخير من كل جانب، وترحلت عنه الشرور، ولا يتم ذلك إلا إذا اجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله تعالى وإخلاص الأعمال كلها لله في السر والعلانية، وأن يكون هدفه الأسمى تحقيق مرضاة الله تعالى(٥).

---

(١) سنن أبي داود ـ كتاب الجنائز ـ باب في التلقين ـ ح رقم:٣١١٦ـ (١٩٠/٣) وقال الشيخ الألباني: صحيح .

(٢) انظر:التحرير والتنوير ـ الطاهر ابن عاشور (١٠٦/١٥)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ـ للنسفي(٢٥٨/٢)

(٣) انظر: في ظلال القرآن ـ سيد قطب (٢٢٢٠/٤)

(٤) انظر موقع : http://ar.islamway.net بتاريخ ١٨/٤/٢٠١٤م.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان ـ للسعدي (٤٦٠/١).

خامسًا: التوحيد الخالص يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة، ويدفع الله به العقوبات في الدارين، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا**﴾[الإسراء:٥٨]، وقد ورد في تفسير الإمام الطبري عن قتادة[١] قوله: "إن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها، قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بد، إما أن يهلكها بموت، وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل إذا تركوا أمره، وكذبوا رسله"[٢].والمراد ترك التوحيد الذي جاءت به الرسل.

سادسًا: يحصل للموحد توحيدًا خالصًا الهدى الكامل، والتوفيق لكل أجر وغنيمة، ويكون له حصنًا ومجيرًا من سلطان الشيطان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾[الإسراء:٦٥]، وقد ورد في تفسير هذه الآية أن الله تعالى يقول لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني، فاتبعوا أمري وعصوك يا إبليس، ليس لك عليهم سلطان، فالصالحون من عباد الله الموحدون توحيدًا خالصًا ليس للشيطان عليهم سلطان، ولا يقدر على غوايتهم، فهم دائمو التوكل على الله تعالى والاستعاذة به والاستجارة به من الشيطان، وكفى بالله وكيلاً لمن قام بعبودية الله وحده وتوكل عليه، وأدى ما أمره الله تعالى به[٣].

سابعًا: يغفر الله تعالى بالتوحيد الذنوب، ويكفر به السيئات، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**﴾[الإسراء:١٩]، فقد جُعل الإيمان شرطًا موجبًا للثواب ومغفرة الذنوب، وبذلك يصير السعي مشكورًا والعمل مبرورًا إذا تقدمه التوحيد الخالص لله رب العالمين[٤]، ففي الحديث القدسي عن أنس ﷺ يرفعه: قَالَ:"سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**"[٥].

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، (٦١ - ١١٨ هـ = ٦٨٠ - ٧٣٧ م) مفسر حافظ ضرير أكمه، قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث، رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، مات بواسط في الطاعون. انظر: الأعلام للزركلي (١٨٩/٥)

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٤٧٥/١٧).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٤٩٦/١٧)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ـ للزمخشري (٦٧٨/٢)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ للسعدي (٤٦١/١).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي (٣١٧/٢٠).

(٥) سنن الترمذي ـ أبواب الدعوات ـ باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده ـ ح رقم:٣٥٤٠ـ (٥٤٨/٥) وقال الشيخ الألباني: صحيح .

ثامنًا: التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان، وزينه في قلبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩]، وقد ورد في تفسيرها أن القرآن يهدي للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها، وهي توحيد الله والإيمان برسله والعمل بطاعته، فهو يرشد للسبيل التي هي أقوم، ويهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل، وإلى الطريقة المثلى التي هي الدين القيم المستقيم، والملة الحنيفية السمحة التي تقوم على أساس التوحيد الخالص لله، وأنه الفرد الصمد، صاحب الملك، والعزة والجبروت، المعز المذل، الذي يحيي ويميت[١].

تاسعًا: بالتوحيد يتحقق قبول العمل عند الله تعالى، وذلك عن طريق معرفته بأنه تعالى ذو العظمة والجلال، فإن من لم يوحد المعبود ﷻ، فكل عمله مردود، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء:١٣-١٥].

عاشرًا: بالتوحيد يبني المرء أساسًا سليمًا لحياته، وحياة مجتمعه، ويجعل من التوجه إلى الله تعالى والالتزام بأوامره القاعدة بالنسبة لحياته، وقد استغرقت الآيات من (٢٣-٣٧) الحديث عن ذلك،من قوله تعالى:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[الإسراء:٢٣]، إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[الإسراء:٣٨].

وبعد، فهذه بعض من مقاصد وآثار توحيد الألوهية التي تم استنباطها من السورة الكريمة، والمتتبع للسورة ربما يجد المزيد.

(١) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (٢٨/١٥)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ـ للنسفي (٢٤٧/٢). .

المبحث الثالث

توحيد الأسماء و الصفات في سورة الإسراء

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات لغةً واصطلاحاً .

المطلب الثاني: أسماء الله تعالى الواردة في السورة وأثر كل منها على الفرد والمجتمع.

المطلب الثالث: صفات الله تعالى الواردة في السورة وأثر كل منها على الفرد والمجتمع.

المطلب الرابع: المقاصد والآثار العامة لتوحيد الأسماء والصفات على الفرد والمجتمع

المطلب الأول

تعريف توحيد الأسماء والصفات لغة واصطلاحاً

أولًا: الأسماء لغة

"الأسماء: جمع اسم، وفى اللسان: الاسم مشتق من السمو، وهو الرفعة"(١)، "واسْمُ الشيءِ، بالكسر والضم، وسُمُهُ وسُمَاهُ، أي: العلامة الدالة على الشئ(٢). يقول ابن القيم: "الاسم هو اللفظ الدال على المسمى"(٣).

ثانيًا: الصفة لغة

"وَصَفَ الشئ يصفه وَصْفًا، أي: نَعَتَه، والوَصْفَ والنَّعْتَ مُترادِفانِ"(٤).ووصف الشيء له وعليه وصفًا وصفة: حلاه، وقيل: الوصف المصدر والصفة الحلية من الوصف، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:١١٢]"(٥).

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات

هو العلم والاعتقاد بأن الله ﷻ بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، حيٌّ قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو تعالى منزه عن كل عيب ونقص، له المشيئة النافذة، والحكمة البالغة، سميع، بصير، رؤوف، رحيم، على العرش استوى، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، سبحان الله عما يشركون، وهو تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى(٦).

أو هو: أن يعتقد المسلم إثبات ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ له تعالى من غير تشبيه ولا تكييف ولا تأويل(٧).

أو هو:"إثبات ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفى الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلالاتها واستشعار آثارها ومقتضياتها في الخلق"(٨).

---

(١) تهذيب اللغة ـ محمد بن أحمد الهروي (١٣/ ٧٩)، ولسان العرب ـ ابن منظور (١٤/ ٤٠١)

(٢) القاموس المحيط ـ الفيروز آبادي ، (ص: ١٢٩٦)

(٣) بدائع الفوائد، لابن القيم ، (١/ ١٦)

(٤) تاج العروس ـ للزبيدي ، (٢٤/٤٥٩)

(٥) المحكم والمحيط الأعظم ـ أبو الحسن المرسي (٣٨٣/٨)، ولسان العرب ـ ابن منظور ، (٣٥٦/٩)

(٦) انظر: الرد على شبهات المستعينين بغير الله ـ أحمد بن حمد، (ص:٢٥)

(٧) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ـ أبو عبد الله الأفغاني، (١/ ١١٤)

(٨) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ـ نخبة من العلماء، (ص: ٧٧)

وعلى المسلم أن يتبع المنهج الحق في باب الأسماء والصفات، وهو المنهج المبني على الإيمان الكامل والتصديق الجازم بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل(١).

فلابد -إذن- من اتباع هذا المنهج، من أجل أن يكون إيمان المسلم صحيحًا، ويسلم في دينه. يقول الإمام الطحاوي(٢)-رحمه الله تعالى- موضحًا هذه الحقيقة: "فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ ﷻ ولرسوله ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ"(٣).

ومن أجل إتمام الفائدة سيتم تعريف كل من التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل:

أولاً: معنى التحريف

هو التغيير وإمالة الشيء عن وجهه(٤)، وهو قسمان:

١- تحريف لفظي: وذلك بالزيادة في الكلمة أو النقص، أو تغيير حركة في الكلمة، من مثل قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ويكون بتغيير الحركة بنصب اسم الجلالة اللهَ بدلاً من رفعه، مما يؤدي إلى تغيير المعنى بنفي أن يكون الله تعالى قد خاطب موسى عليه السلام وكلمه.

٢- تحريف معنوي: وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله منه وعلى غير معناه الحقيقي، كمن فسر "اليد" لله تعالى بالقوة أو النعمة. فهذا تفسير باطل، لا يدل عليه الشرع ولا اللغة(٥).

ثانيًا: معنى التعطيل

هو جحد الصفات، بإنكار قيامها بذاته سبحانه، مع نفي ما دلت عليه من صفات الكمال الواجبة له تعالى(٦).

---

(١) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ـ نخبة من العلماء (ص:٧٧)

(٢) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ الطحاوي، (٢٣٩ - ٣٢١ هـ = ٨٥٣ - ٩٣٣ م) أبو جعفر: فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعيّ، ثم تحول حنفيا. انظر الأعلام للزركلي (٢٠٦/١).

(٣) تخريج العقيدة الطحاويةـ أبو جعفر الطحاوي ،(ص:٤٣)

(٤) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف ـ زين الدين محمد ،(ص: ٩٢)

(٥) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ـ نخبة من العلماء، (ص: ٧٧-٧٨)

(٦) انظر: التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية ـ فالح الدوسري، (١/ ٢٧)

يقول ابن القيم: "وَأَصْلُ الشِّرْكِ وَقَاعِدَتُهُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا، هُوَ التَّعْطِيلُ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: تَعْطِيلُ الْمَصْنُوعِ عَنْ صَانِعِهِ وَخَالِقِهِ،وَتَعْطِيلُ الصَّانِعِ سُبْحَانَهُ عَنْ كَمَالِهِ الْمُقَدَّسِ، بِتَعْطِيلِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَتَعْطِيلُ مُعَامَلَتِهِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ"[(١)].

والتعطيل: إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضه،وهو نوعان:

١- تعطيل كلي؛ كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات، والغلاة منهم ينكرون الأسماء أيضًا.

٢- تعطيل جزئي؛ كتعطيل الأشعرية الذين أنكروا بعض الصفات وأثبتوا بعضها. وكان أول من عُرف بالتعطيل من هذه الأمة هو الجعد بن درهم[(٢)(٣)].

ثالثًا: التكييف

هو بيان وتعيين الهيئة التي تكون عليها الصفات، فلا يقال: كيف استوى؟ كيف يده؟ كيف وجهه؟ ونحو ذلك؛ وذلك لأن القول في الصفات كالقول في الذات، يحتذى حذوه ويقاس عليه، فكما أن له ذاتًا ولا نعلم كيفيتها، فكذلك له صفات ولا نعلم كيفيتها؛ فهي مما استأثربه تعالى في علم الغيب عنده، مع إيماننا بحقيقة معناها[(٤)].

رابعًا: التمثيل

هو تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق، فلا يقال: ذات الله مثل ذواتنا أو شبه ذواتنا، ولا يقال في صفاته: إنها مثل صفاتنا أو شبه صفاتنا، بل الواجب على المؤمن أن يلتزم قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١]، و﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم:٦٥]، والمعنى: لا أحد يساميه؛ أي: يشابهه[(٥)].

ومنهج أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات قائم على أسس ثلاثة، هي:

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء ـ لابن القيم،(ص:١٣٠)

(٢) هو الجعد بن درهم، من الموالي: (٠٠٠ – نحو ١١٨ هـ = ٠٠٠ – نحو ٧٣٦ م) مبتدع، له أخبار في الزندقة، سكن الجزيرة الفراتية، وأخذ عنه مروان بن محمد لما ولي الجزيرة، في أيام هشام بن عبد الملك، فنسب إليه، أو كان الجعد مؤدبه في صغره، نسبة إليه، من أقوال العلماء عنه أنه مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر، وهو من القائلين بخلق القرآن. انظر: الأعلام للزركلي ، (٢/ ١٢٠)

(٣) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية ـ محمد بن صالح العثيمين، (ص: ١٨ـ ١٩)

(٤) انظر: التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة ـ أبو عبد الله بن ناصر، (ص:٢٠)

(٥) انظر: المصدر السابق (ص:٢٠)،و انظر: شرح العقيدة الواسطية ـ للهراس، (١/٦٩)

الأول: وصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وقد اتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على النفي المتضمن لإثبات الكمال(١)، قال شيخ الإسلام –رحمه الله: "وَطَرِيقَةُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا: أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولَهُ: مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ: إثْبَاتٌ بِلَا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهٌ بِلَا تَعْطِيلٍ، إثْبَاتُ الصِّفَاتِ، وَنَفْيُ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ":﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، رَدٌّ عَلَى الْمُعَطِّلَةِ، فَقَوْلُهُمْ فِي الصِّفَاتِ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ؛ **أَحَدُهُمَا:** أَنَّ اللَّهَ ﷻ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ مُطْلَقًا كَالسِّنَةِ وَالنَّوْمِ وَالْعَجْزِ وَالْجَهْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، **وثانيهما:** أَنَّهُ تعالى مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا نَقْصَ فِيهَا عَلَى وَجْهِ ما يخصه تعالى بِمَا لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ، فَلَا يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ"(٢).

الثاني: الإكتفاء بما جاء في الكتاب والسنة وعدم الزيادة ولا النقصان .

الثالث: قطع الطمع عن إدراك الكيفية، بمعنى أنهم يُفوّضونَ ويُرجِعون كيفية الصفات إليهﷻ، ولا يبحثون عنها(٣).

وهناك قواعد يعتمد عليها أهل الكتاب والسنة في إثبات الأسماء والصفات، سيتم بيان بعضها للفائدة:

١ – اتفاق في الاسم لا في المسمى

فقد تتفق بعض صفات المخلوقين مع صفات الله في الاسم واللفظ فقط،فإن صفات الله تعالى تختلف عن صفات المخلوقين، فالاتفاق في الأسماء لا يلزم منه الاتفاق في المسميات، فقد سمى الله تعالى نفسه حيًّا، عليمًا، قديرًا، رءوفًا، رحيمًا، عزيزًا، حكيمًا، سميعًا،بصيرًا، ملكًا، مؤمنًا، جبارًا، متكبرًا، وقد سمى بعض عباده بهذه الأسماء، كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢]، وكقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام:٩٥]، ومعلوم أنه لا يماثل السميعُ السميعَ، ولا الحيُّ الحيَّ، فإن صفات الله تعالى هي على ما يليق بجلاله وعظمته،ولا يجوز لأحد أن ينفي صفة منها بحجة أنه ينزه الله تعالى؛ لأنه بزعمه لو أثبت هذه الصفة لكان مشبهًا له

(١) انظر: تقريب التدمرية، للعثيمين (ص:١٧)
(٢) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ـ لابن تيمية، (٥٢٣/٢)
(٢) انظر: عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع ـ للفوزان ،(ص:٦٣) .

بالمخلوقين، مع أنه يثبت له صفة أخرى غيرها، ولا يقول: إن هذه الصفة لله ﷻ تشبه صفة المخلوقين، فالله سبحانه أخبر عن نفسه بصفات مدح فيها نفسه، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، فهل لأحد أن ينفي شيئا من هذه الصفات، الدالة على الكمال والجلال؟[١].

٢- القول فى الصفات كالقول في الذات

الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل الذوات ولا تشبهها، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات ولا تشبهها[٢]، فالصِّفَات والذات من بَاب وَاحِد، فَكَمَا أننا نثبت ذَات الله جلّ وَعلا إِثْبَات وجود وإيمان لَا إِثْبَات كَيْفيَّة مكيفة محددة، فَكَذَلِك نثبت لهَذِهِ الذَّات الْكَرِيمَة المقدسة صِفَات إِثْبَات وإيمان وَوُجُود لَا إِثْبَات كَيْفيَّة وتحديد[٣].

ولابد من العلم بأن نصوص الصفات إذا كانت في ظاهرها معلومة لنا باعتبار المعنى، فهي غير معلومة لنا باعتبار الكيفية التي هي عليها[٤].

"وهذه قاعدة عظيمة يناقش بها من ينكر الصفات مع إثباته الذات، فإن إثبات الذات للرب ﷻ محل إجماع الأمة. فإذا قال قائل: لا أثبت الصفات لأن في إثباتها تشبيهًا لله بخلقه، يقال له: أنت تثبت لله ذاتًا حقيقية وتثبت للمخلوقين ذواتًا، أفليس هذا تشبيهًا على قولك!! فإن قال: إنما أثبت ذاتًا لله لا تشبه الذوات ولا يسعه غير هذا. قيل له: يلزمك هذا في باب الصفات، فإن كانت الذات لا تشبه الذوات وهو حق، فكذلك صفات الذات الإلهية لا تشبه الصفات. فإن قال: كيف أثبت صفة لا أعلم كيفيتها. قلنا: له كما تثبت ذاتًا لا تعلم كيفيتها"[٥].

٣- القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر

ومن الأصول المهمة التي ينبغي على المسلم معرفتها: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضٍ، فكما أننا يجب أن نؤمن بأن الله ﷻ عليم، حكيم، حي، قادر...، إلخ، وهذه كلها

(١) انظر : مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ـ عثمان ضميرية ، (ص: ٢٤٠ـ٢٤١) بتصرف .

(٢) انظر: شرح العقيدة السفارينية ـ للعثيمين (١٣٠/١)، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ـ للعثيمين، (٣٩/١) .

(٣) انظر : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ـ محمد الأمين الشنقيطي، (ص: ٣٨) بتصرف .

(٤) انظر : مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ـ د عثمان ضميرية (ص:٢٤١) بتصرف بسيط .

(٥) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ـ نخبة من العلماء، (ص: ٩١) .

صفات حقيقية، أيضا نؤمن بمحبة الله ورضاه، وغضبه وكراهته، على الحقيقة لا المجاز ، فكما أن حياة الله تعالى لا تشبه حياة المخلوقين، وكما أن علم الله سبحانه لا يشبه علم المخلوقين، فكذلك غضب الله ورضاه لا يشبه غضب المخلوقين ورضاهم، وهذا ينطبق على سائر الصفات، فينبغي الإيمان بالصفات كلها على ما يليق به تعالى وبعظمته(١).

ومن القواعد المهمة في أسماء الله تعالى: أن أسماء الله تعالى كلها حسنى، وقد اتضح ذلك من خلال قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الإسراء:١١٠]، قال القرطبي: "الْحُسْنى": فُعْلَى، مُؤَنَّثُ الْأَحْسَنِ، كَالْكُبْرَى تَأْنِيثُ الْأَكْبَرِ"(٢)، ومعنى حسنى أي أنها بالغة في الحسن كمالها، ومعنى ذلك أن الله تعالى لا يسمى باسم يتضمن نقصًا ولو في بعض الأحوال(٣)، وحسنى لأنها بالغة في الحسن غايته، فهي متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه(٤)، وحسنى لأنها دالة على أحسن مسمى وأشرف مدلول وهو الله ﷻ(٥).

جاء في شرح العقيدة السفارينية: "أن أسماء الله تعالى مشتقة، أي أنها تتضمن معاني وأوصافًا، فكل اسم منها يتضمن الصفة التي اشتق منها، حتى اسم (الله) يتضمن صفة وهي الألوهية، فأسماء الله تعالى إذًا أعلام دالة على صفة، ولولا ذلك ما كانت حسنى، لأنها إذا لم تتضمن معنى صارت أسماء جامدة لا معنى لها، وإذا كانت أسماء جامدة لا معنى لها فلا توصف بالحسنة، والله ﷻ وصفها بأنها حسنى أي بالغة في الحسن كماله"(٦)، قال ابن القيم –رحمه الله:"أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات، فهي أسماء، وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظًا لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال"(٧)، وقال –رحمه الله: "أسماؤه كلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنى"(٨).

---

(١) انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ـ عثمان ضميرية ، (ص: ٢٤٢) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ، (٧/ ٣٢٧) .
(٣) انظر: شرح العقيدة السفارينية ـ للعثيمين ، (١/ ١٦٢) .
(٤) انظر: تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد ـ للعثيمين ، (ص: ٢١)
(٥) انظر:أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ـ نخبة من العلماء (ص: ٩٣)
(٦) شرح العقيدة السفارينية ـ للعثيمين (١/ ١٦٣)
(٧) تفسير القرآن الكريم ـ لابن قيم الجوزية ـ (ص: ٣٢)
(٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ـ لابن القيم ، (١/ ١٤٤)

قال السعدي في تفسير قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠] "هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي: له كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علمًا محضًا لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها، وذلك نحو **{العليم}** الدال على أن له علمًا محيطًا عامًّا لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، و**{كالرحيم}** الدال على أن له رحمة عظيمة، واسعة لكل شيء، و**{كالقدير}** الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك، ومن تمام كونها "حسنى" أنه لا يدعى إلا بها، ولذلك قال: {فَادْعُوهُ بِهَا}، وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلاً: اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب عَلَيَّ يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف، ونحو ذلك"[١].

(١) تيسير الكريم الرحمن ـ للسعدي (ص: ٣٠٩)

المطلب الثاني

أسماء الله تعالى الواردة في السورة وأثر كلٍ منها على الفرد والمجتمع

١- "الله"

وهو اسم ثابت لله تعالى في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز،ومنه نثبت صفة الإلهية والألوهية لله تعالى،وقد ورد هذا الإسم في سورة الإسراء عشرَ مرات، منها قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾[الإسراء:٢٢]، وقوله تعالى:﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣]، وقوله: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾[الإسراء:٩٢].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- موضحًا معنى"الله": هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال"(١).

وقد بينت السنة النبوية عظم هذا الاسم وثقل وزنه،في حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ هَذَا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ وَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَيُخْرِجُ لَهُ بِطَاقَةً فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ.قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتَ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتَ الْبِطَاقَةُ، قَالَ: فَلَا يَثْقُلُ اسْمَ اللَّهِ شَيْءٌ»(٢).

وهو الاسم الذي لا يطلق على أحد غيره،فله تعالى تِسْعَةٌ وَتسْعُونَ اسْمًا لَيْسَ فِيهَا مَا لَا يُسمى بِهِ غَيره، إِلَّا اسْم الله تَعَالَى والرحمن وسائرها يُسمى بهَا غَيره ﷻ(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ـ للسعدي (ص: ٩٤٥).

(٢) صحيح ابن حبان مخرجًا ـ باب ذكر البيان بأن الله جل وعلا بتفضله قد يغفر لمن أحب ـ ح رقم:٢٢٥ـ (٤٦١/١) ـ قال الشيخ الألباني: صحيح ، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح .

(٣) انظر: تحريم النظر في كتب الكلام ـ لابن قدامة المقدسي (ص: ٥٧) .

وتُعدّ لام التعريف اللَّازِمَة في اسم الله عوضًا عَن الْهمزَة، فَلم يسمَّ بِهِ غير الله، وَلم يسْتَعْمل قطّ مُنْكرًا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، أَي: هَل تعلم شَيْئًا يُسمى الله(١).

وهو الاسم الوحيد الذي لا تحذف عنه ألف ولام التعريف عند النداء، فيقال: يا الله، وينطق بحروفه كاملة، وهذا لا يكون في الأسماء الأخرى، فيقال مثلاً: يا رحيم، وليس يا الرحيم، وفي ذلك إشارة إلا أن المعرفة ملازمةلله تعالى على الدوام(٢).

واسم الله هُوَ اسْم للموجود الْحقّ الذي يجمع الصفات الإلهية، وهوالمنعوت بنعوت الربوبية والألوهية، المتفرد بالوجود الْحَقِيقِيّ، فَإِن كل مَوْجُود سواهُ هَالك إِلَّا وَجهه الكريم(٣).

وقد قيل أنه اسم الله الأعظم، ولم يتسمّ بهذا الاسم غيره،أما اسم«الإله»، فهويطلق على كل معبود سواء كان معبودًا بحق أو باطل، فيطلق على الله ﷻ وعلى غيره(٤).

وقد تبين أنه المعبود بحق،الذي لا يستحق العبادة سواه، في قوله تعالى:﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾[الإسراء:٢٢] "أي: لا تجعل أيها الإنسان المكلف شريكًا مع الله تعالى في ألوهيته وعبادته، وإنما أفرد له الألوهية والربوبية، فلا إله غيره، ولا رب سواه، ولا معبود بحق إلا هو، فإن جعلت مع الله إلهًا آخر، صرت ملومًا على إشراكك به"(٥).

ومما قاله الخطابي(٦)-رحمه الله- عن هذا الاسم العظيم "الله":"إنه أَشْهَرُ أَسْمَاءِ الربِّ تعالى، وأعْلَاهَا مَحَلاً في الذكْرِ، والدُّعَاءِ؛ وكذَلِكَ جُعِلَ أمامَ سَائِرِ الأَسْماءِ، وَخُصَّتْ بِهِ كَلِمَةُ الإخْلَاصِ، وَوَقَعَتْ بِهِ الشهادةُ؛ فَصَارَ شِعَارَ الإيمَانِ وَهُوَ اسمٌ مَمنوع، لَمْ يَتسمَّ بِهِ أحَد، قَدْ قَبَضَ اللهُ عَنْهُ الألْسُنَ؛ فلم يُدْعَ بِهِ شَيْءٌ سِوَاهُ"(٧).

(١) معنى لا إله إلا الله ـ للزركشي الشافعي ، (ص: ١٠٧) .
(٢) انظر :أسماء الله الحسنى ـ تاج الدين نوفل، (ص:٤٢) .
(٣) انظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ـ للغزالي (ص: ٦١).
(٤) انظر: التفسير المنيرـ للزحيلي (١/ ٥٦) .
(٥) المصدر السابق: (١٥/٥٣) .
(٦) أَبُو سُلَيْمَان حمد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن الْخطاب الْخطابِيّ البستي الإِمَام الْمَشْهُور الْفَقِيه الأديب مُصَنف غَرِيب الحَدِيث ومعالم السّنَن وَغَيرهمَا ولد سنة ٣١٧هـ ببست، أخذ الفقه على مذهب الشافعي ،روى عَنهُ خلق كثير مِنْهُم الْحَاكِم أَبُو عبد الله، في شيوخه وتصانيفه كثرة، تُوفِّي سنة ٣٨٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (١٧/٢٤ـ٢٥) .
(٧) شأن الدعاء ـ للخطابي (ص:٣٠ـ ٣١) .

ومن مقاصد هذا الاسم العظيم وآثاره، أن يتوجه العبد الى تأليه الله ﷻ، فيؤلهه لأنه تعالى المتفرد بأوصاف العظمة والكبرياء، ومتفرد بالعبودية والربوبية، فيتوجه إليه تعالى وينقاد لإرادته ومشيئته، ويبذل كافة جهده من التأله القلبي، والروحي، والقولي، والفعلي[1]، وأن تكون عبادته شاملة للرغبة والرهبة والخوف والرجاء، ولا يتقبل القيم والمفاهيم والتصورات كلها إلا عن الله ﷻ، وهذا هو التوحيد الحقيقي الذي يريده الله تعالى من عباده، وهو التوحيد الذي يعني الاستقامة المنجية من النار، المبشرة له بدخول الجنة:﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف:١٣][2]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩].

يقول الإمام الغزالي :"يَنْبَغِي أَن يكون حَظّ العَبْد من هَذَا الِاسْم التأله، وأعني بِهِ أَن يكون مُسْتَغْرق الْقلب والهمة بِاللَّه ﷻ، لَا يرى غَيره، وَلَا يلْتَفت إِلَى سواهُ، وَلَا يَرْجُو وَلَا يخَاف إِلَّا إِيَّاه، وَكَيف لَا يكون كَذَلِك وَقد فهم من هَذَا الإسم أَنه الْمَوْجُود الْحَقِيقِيّ الْحق، وكل مَا سواهُ فانٍ وهالك وباطل"[3].

٢- الرَّبُّ

ورد لفظ الرب في سورة الإسراء اثنتين وثلاثين مرة، بلفظ: رب، أو ربك، أو ربنا، أو ربهم، أو ربي، أوربكم، أوربه، ومن الآيات التي ورد فيها لفظ الرب في السورة قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:٨]، وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[الإسراء:١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:٢٤]، ومن اسم الرب نأخذ صفة الربوبية، ومما ورد في السنة المباركة أن من أعظم التوسل إلى اللَّه ﷻ بالدعاء هو اسم (الربّ)؛ لقوله تعالى: {هنالك دعا زكريا ربه}، ولم يقل (الله)؛ ولهذا فإن أكثر الأدعية مصدرة بـ (الربّ)؛ لأنّ إجابة الداعي من مقتضى الربوبية؛ فلذلك يتوسل الداعي دائمًا باسم (الرب)، قال النبيﷺ:"يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ"[4][5].

---

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى ـ عبد الرزاق بن محسن البدر، (ص:٧٧)

(٢) انظر: الآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى ـ جمع وترتيب: رياض أدهمي (ص:٢١) .

(٣) المقصد الأسنى ـ للغزالي (ص: ٦٢)

(٤) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ح رقم: ١٠١٥(٧٠٣/٢).

(٥) انظر: تفسير القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ للعثيمين ـ (٢٣٧/١)

والرب هو المالك المتصرف في الخلق[١]، وهو اسم يدل على الإحاطة والخلق والإيجاد والتربية[٢]، والرب مأخوذ من التربية، فهو المربى جميع العالمين بنعمه، فكل العالمين قد رباهم الله بنعمه، وأعدهم لما خلقوا له، وأمدهم برزقه. قال الله تبارك وتعالى في محاورة موسى وفرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[طه:٤٩،٥٠]، فكل أحد من العالمين قد رباه الله ﷻ بنعمه الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى،فالله هو الذي خلق الناس وأعدهم، وأمدهم بالرزق[٣].

وكلمة "ربّ" لا تطلق على المخلوق إلا مقيدة بالإضافة، كأن نقول: زيد رب الدار، وإذا خلت من قيد الإضافة، فتنصرف إلى الله وحده، وإذا أضيفت أل التعريف إلى كلمة "ربّ"؛ فلا تدل إلا على الله ﷻ، فهو الرب وحده لا شريك له[٤]، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ[٥].

وهو الذي يربي أولياءه بالإيمان، فعلى المسلم أن يرضى بالله ربًّا لينال الزلفى ويدخل الجنة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»[٦].

وقد تضمنت كلمة "الربّ" معاني أسماء الله الحسنى،قال ابن القيم –رحمه الله:"فإن الرب هو القادر الخالق البارئ المصور الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد المعطي المانع الضار النافع المقدم المؤخر، الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ويسعد من يشاء ويشقي من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى"[٧].

ومن مقاصد هذا الاسم الشريف وآثاره، أن يعلم العبد أنه تعالى هو القائم على أمور خلقه وتربيتهم وحفظهم، وبناءً على ذلك فعليه أن يُحسن تربية من جعلت تربيته إليه، فيربيه خير التربية، ويقوم بأموره ومصالحه على أكمل وجه، سُئل عبد الله بن عباس عن الرباني– فقال: "هو الذي

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ـ صالح الفوزان، (ص: ٣٥).
(٢) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة ــ محمد الخميس ، (ص: ٢١٢)
(٣) انظر: شرح ثلاثة الأصول، للعثيمين (ص: ٤٦)
(٤) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ـ محمد أحمد ملكاوي (ص٨٦)، و انظر تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير(١/ ١٣١)
(٥) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير(١/١٣١)
(٦) صحيح مسلم ـ كتاب الإمارة ـ باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات ـ ح رقم:١٨٨٤ـ (١٥٠١/٣).
(٧) بدائع الفوائد ـ لابن القيم (٢/ ٢٤٩)

يحقق علم الربوبية ويربي الناس بالعلم على مقدار ما يحتملونه، فيبذل لمواهبهم جوهره ومكنونه، ويبذل لقوامهم ما ينالون به فضل الله ويدركونه، ثم عليه أن يدعو ربه بهذا الاسم العظيم(١).

وإذا أدرك العبد معاني الربوبية، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الأمور كلها بيده تعالى، فإن ذلك يدفعه الي الثبات على توحيد الربوبية، ثم الرقي منه إلى توحيد الألوهية، ويكون راضيًا بالله ربًّا، فيذوق حلاوة الإيمان(٢)، قال رسول الله ﷺ:«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»(٣).

٣-الخبير

ونثبت لله اسم "الخبير"، وقد ورد هذا الاسم في مواضع كثيرة في القرآن،وورد في سورة الإسراء ثلاث مرات، في قوله تعالى: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾ [الإسراء: ١٧] وقوله تعالى:﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾[الإسراء:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾ [الإسراء:٩٦]. ودل عليه من السنة قول النبي ﷺ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:«مَا لَكِ يَا عَائِشُ؟ حَشْيَا رَابِيَةً»٤ قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: «لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»(٥).

والخبير: هو العالم ببواطن الأمور وخفاياها وبما كان وما يكون، ويخبر بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه، الخبير بمصالح الأشياء ومضارها، وهو الذي لا يعزب عن علمه شيء، فما يجري من شيء خفيّ إلا يكون له به علم وخبرة، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا بعلمه(٦).

قال السعدي:"الخبير هو الذي أحاط علمه بالظواهر، والبواطن، والإسرار، والإعلان، والواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء"(٧).

---

(١) انظر: الجامع لأسماء الله الحسنى ـ ابن قيم الجوزية ، القرطبي ، ابن كثير ،العلامة السعدي (ص:١٣٨)
(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى ـ عبد الرزاق البدر(ص:٣٧)
(٣) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ـ ح رقم:٣٤ـ (٦٢/١)
(٤) حَشْيا: وقع عليك الحشا، وهو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه والمحتد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره. وقوله رابية: أي مرتفعة البطن. انظر: شرح النووي على مسلم: (٤٣/٧).
(٥) صحيح مسلم ـ كتاب الجنائز ـ باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء ـ ح رقم:٩٧٤ـ (٦٦٩/٢)
(٦)انظر :العقيدة الإسلامية وأُسسها: للميداني، (ص:١٧٠)
(٧) تيسير الكريم الرحمن ـ للسعدي (ص: ٩٤٥)

وقال الغزالي:"الخبير هُوَ الَّذِي لَا تعزب عَنهُ الْأَخْبَار الْبَاطِنَة، فَلَا يجْرِي فِي الْملك والملكوت شَيْء، وَلَا تتحرك ذرة وَلَا تسكن وَلَا تضطرب نفس وَلَا تطمئِن إِلَّا وَيكون عِنْده خَبَرهَا، وَهُوَ بِمَعْنى الْعَلِيم، وَلَكِن الْعلم إِذا أضيف إِلَى الخفايا الْبَاطِنَة سمي خبْرَة "[1].

ومن مقاصد هذا الاسم الشريف وآثاره عى العبد، أن معرفة العبد بهذا الاسم تدفعه إلى الحرص على معرفة خفايا قلبه من الغش والخيانة، والحرص على الدنيا، والبعد عن الإخلاص، فيعمل بكل جد من أجل التخلص من هذه الرذائل، ومُعاداتها وأخذ الحذر منها[2].

ومن مقاصد هذا الاسم وآثاره أيضًا[3]:

١- أن يكون العبد شديد البحث والفحص عن محاسن الأخلاق والصفات التي تهذب سلوكه.

٢- تحقيق الخوف من الله والحياء منه في كافة الأعمال والأقوال في السر والعلن.

٣- بذل الجهد في معرفة صفات الله وأسمائه، ومعرفة الحلال والحرام الوارد في القرآن والسنة.

٤- الحليم

ورد اسم الحليم في سورة الإسراء مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ [الإسراء:٤٤]، يقول الإمام الطبري -رحمه الله- في تفسيره هذه الآية: ﴿**إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا**﴾ يقول: "إن الله كان حليمًا لا يعجل على خلقه، الذين يخالفون أمره، ويكفرون به، ولولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين يدعون معه الآلهة والأنداد بالعقوبة"[4].

واقتران اسم الحليم في الآية السابقة باسم الغفور له دلالة عظيمة،فالله تعالى يتجاوز عن التائب المنيب إليه مهما عظم ذنبه وإثمه[5].

وورد اسم الحليم في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب:«لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»[6].

---

(١) المقصد الأسنى ـ للغزالي (ص: ١٠٣)

(٢) انظر :المقصد الأسنى ـ للغزالي ، (ص:١٠٣)، والآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى (ص:٧١) .

(٣) انظر: الجامع لأسماء الله الحسنى – (ص:١٢١) .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (١٧/ ٤٥٦)

(٥) انظر : فقه الأسماء الحسنى ـ عبد الرزاق البدر (ص :٢١٢)

(٦) صحيح البخاري ـ كتاب الدعوات ـ باب الدعاء عند الكرب ـ ح٦٣٤٦ رقم :ـ (٧٥/٨)

قال الخطابي:"الحليم يعني أنه ذو الصفْحِ، والأنَاةِ، الذِي لَا يُسْتفز إذا غضب، وَلَا يَسْتَخِفُّهُ جَهْلُ جَاهِلٍ، وَلَا عِصيَانُ عَاصٍ، وَلَا يَسْتحِق الصَافِحُ هذا الاسم مَعَ العجز، إنما الحلِيمُ هُوَ الصفُوحُ مَعَ القُدْرَةِ، المتأني الذِي لَا يَعجَل بِالعقُوبَةِ"(١).

فَكل من لَا يعاجل بالعقوبة سُمي حَلِيمًا،أما قول من قَالَ إِن الْحَلِيم هُوَ من لَا يُعَاقب، فهو قول غير صحيح(٢)، فنحن نعلم أن الله تعالى يمهل العصاة والظالمين، فإذا استمروا في ظلمهم وعصيانهم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود:١٠٢](٣).

وحلمه تعالى طال المشركين الذين نسبوا إليه الشريك والولد(٤)، قال تعالى: ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا**﴾ [الإسراء:٤٠]، وقال كذلك: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾[الإسراء:٤٢،٤٣]، فلم يعذبهم وليس ذلك لعجز منه تعالى، فهو القادر على كل شئ، ولكن أمهلهم لأنه حليم يُحب العفو والصفح، وحلمه طال منكري البعث، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾ [الإسراء:٤٩]، فلم يعذبهم وأمهلهم.

ومن حلمه تعالى أنه يرزق العصاة والكفار مع كثرة معاصيهم وزلاتهم، فمع ما يكون منهم من شرك به سبحانه، ومحاربة لدينه، فيحلم عليهم، ويرزقهم ويعافيهم، ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**أُرَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي، وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا، وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي**"(٥)، قال ابن القيم –رحمه الله: "وهو سبحانه مع هذا الشتم له والتكذيب يرزق الشاتم المكذب، ويدفع عنه ويدعوه إلى جنته، ويقبل توبته إذا تاب إليه، ويبدله بسيئاته حسنات، ويلطف به في جميع أحواله، ويؤهله لإرسال رسله، ويأمرهم بأن يلينوا له القول ويرفقوا به"(٦).

---

(١) شأن الدعاء ـ الخطابي(ص٦٣)

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى ـ للزجاج، (ص: ٤٥)

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب قوله: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ـ ح٤٦٨٦ (٧٤/٦)

(٤) انظر: فقه الأسماء الحسنى ـ عبد الرزاق البدر (ص :٢١٠)

(٥) صحيح البخاري ـ كتاب بدء الخلق ـ باب ما جاء في قول الله:{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم:٢٧] ـ ح رقم:٣١٩٣ـ (١٠٦/٤)

(٦) شفاء العليل لابن القيم (ص :٢٣٨)

ومن مقاصد هذا الاسم وآثاره : أن العبد بعد معرفته أن الله تعالى حليم لا يستفزه غضب، ولا تحمله العجلة على أن يسرع في الانتقام مع قدرته الفائقة على ذلك، فذلك يدفعه أن يكظم الغيظ، وأن يعفو عن الخطيئة التي تصدر من الأهل والأقارب، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٣، ١٣٤]، وعليه ألا يغتر بإمهال الله له ان كان عاصيًا، وعليه أن يسارع بالتوبة والندم واللجوء لله تعالى(١).

نقول: ولله المثل الأعلى أنه يكفي العبد أن يتصف بهذه الصفة، فالحلم من محاسن خصال العباد، وهي صفة غنية عن الشرح.

٥- الغفور

وقد ورد هذا الاسم المبارك في السورة مرتين، مرة مقترنًا باسم الحليم في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤]، ومرة منفردًا دون اقتران في قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٥]، وقد ورد في أحاديث النبى ﷺ منها قوله لأبي بكر رضي الله عنه عندما طلب منه أن يعلمه دعاءً يدعو به في صلاته،فقال له: "قُلِ اللهمُ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا –وَقَالَ قُتَيْبَةُ: كَثِيرًا– وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"(٢).

"الغفور، الغفار"، أي: الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، والغفران والصفح عن عباده من صفاته تعالى، وعفوه ومغفرته من احتياجات العباد، فكما هم محتاجون إلى رحمته وكرمه،فهم محتاجون إلى عفوه ومغفرته(٣).

وهُوَ الذي يَغْفِرُ ذُنُوْبَ عِبَادهِ مَرة بَعْدَ أخْرَى، فكُلَّماْ تكَررَتِ التوْبَةُ بعد وقوع الذنب مِنَ العَبْد تَكَررَتِ المَغْفِرَةُ من الله تعالى، قال المولى ﷻ:﴿وَإِنِّي لَغَفَّار لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثم اهْتَدَى﴾[طه:٨٢](٤)، والغفور بمَعْنى الْغفار، وَلكن بِشَيْء يُنبئ عَن نوع مُبَالَغَة أكثر من المبالغة

(١) انظر:الآثار السلوكية لمعاني أسماء الله ـ جمع وترتيب رياض أدهمي (ص:٧٢-٧٣) .

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب استحباب خفض الصوت بالذكر ـ ح رقم:٢٧٠٥، (٤/٢٠٧٨)

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن ـ للسعدي(ص: ٩٤٦)

(٤) انظر: شأن الدعاء ـ الخطابي (١/ ٥٢)

في الْغفار، فَإِن الغفورمُبَالغَة فِي الْمَغْفِرَة، بِالْإِضَافَة إِلَى مغْفرَة متكررة مرّة بعد أُخْرَى، بِمَعْنى أَنه تَامّ الْمَغْفِرَة والغفران وكاملها، حَتَّى يبلغ أَقْصَى دَرَجَات الْمَغْفِرَة[١]،والغفور هو الذي يستر ذنُوب عباده ويغطيهم بستره[٢].

ومن مقاصد اسم الغفور وآثاره : توجيه العبد إلى ستر ما يجب أن يستره مما يخص إخوانه المسلمين، وأن يتغافل عن القبائح، ويذكر المحاسن، وأن يترفع عن الغيبة والتجسس[٣].

واسم الغفور يدفع العبد إلى مجاهدة النفس، ولزوم الاستغفار، وطلب العفو، والمداومة على التوبة، ورجاء المغفرة من الله تعالى، مع عدم اليأس من رحمته، فهو تعالى عفوٌ غفور، مهما بلغت ذنوب عباده، وهذا يجعل العبد على خير عظيم ما دام في طلب العفو والمغفرة من الله تعالى، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[طه:٨٢][٤].

٦، ٧- الرحمن والرحيم

ورد اسم الرحمن في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:١١٠] وورد اسم الرحيم في السورة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[الإسراء:٦٦]، وهما اسمان مشتقان من صفة الرحمة.

وقد ثبتت صفة الرحمة لله تعالى في أحاديث الرسول ﷺ، منها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[٥].

وقد جمع الله تعالى بين هذين الاسمين في أكثر من موضع في كتابه، منها قوله:﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣]، وذكر ابن القيم فائدة في الجمع بين هذين الاسمين فقال: "الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا

(١) انظر:المقصد الأسنى ـ الغزالي (ص: ١٠٥)
(٢) تفسير أسماء الله الحسنى ـ للزجاج (ص: ٣٨)
(٣) انظر:المقصد الأسنى – للغزالي (ص:٨٠-٨١)
(٤) انظر: فقه الأسماء الحسنى – عبد الرزاق البدر (ص:١٧٢-١٧٣) .
(٥) صحيح مسلم ـ كتاب التوبة ـ باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت ـ حديث رقم(٢٧٥٢) ـ (٤/ ٢١٠٨)

أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾،وقوله: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾، ولم يجيء قط رحمن بهم، فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها"(١).

والرحمن والرحيم اسمان يدلان على اتصاف الرب تبارك وتعالى بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه، التي عم بها جميع الموجودات، بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين من هذه الرحمة بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:١٥٦]، والنعم كلها والإحسان للخلق، من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته(٢).

قال الخطابي: "فالرحمن هوذو الرحْمَةِ الشَامِلَةِ التي وسِعَتِ الخَلْقَ في أَرْزَاقِهم، وأسْبَابِ مَعَاشِهِم، وَمَصَالِحِهِم وكل ما يتعلق بهم، وَعَمَّتِ المُؤْمِنَ، والكَافِرَ، والصالِحَ، والطالِحَ، وأما الرحِيْمُ: فهو خاص بالمؤمنين، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، وَقَدْ سَمّى اللهُ ﷻ الرِّزْقَ، والمَعَاشَ في كِتابِهِ: رَحْمَةً، فقال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِكِ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهم مَعِيْشَتَهُم فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا﴾[الزخرف:٣٢]"(٣).

والرَّحْمَن أخص من الرَّحِيم، وَلذَلِك لَا يُسمى بِهِ غير الله ﷻ، والرحيم قد يُطلق على غَيره، فقد سمى الله تعالى به رسوله الكريم ﷺ، فقال تعالى:﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]، فيلزم من معنى الرحمن أَن يكون الْمَفْهُوم منه نوعًا من الرَّحْمَة التي هِيَ أبعد مما يقدر عليه الْعباد، وَهِي مَا يتَعَلَّق بالسعادة الأخروية، فالرحمن هُوَ العطوف على الْعباد بالإيجاد أَولاً، وبالهداية إِلَى الْإِيمَان وَأَسْبَاب السَّعَادَة ثَانِيًا، وبالإسعاد فِي الْآخِرَة ثَالِثًا، والإنعام بِالنّظرِ إِلَى وَجهه الْكَرِيم رَابِعًا(٤).

ومن مقاصد هذين الاسمين وآثارهما: دفع العبد المؤمن إلى الرحمة والشفقة بعباد الله الغافلين، فيصرفهم عن طريق الغفلة، لنصحهم وإرشادهم، وأن يتألم لحدوث المعاصي منهم، فيعمل بجهده على إزالتها حتى لا يتعرض أصحابها لسخط الله وعذابه، ودفع العبد إلى العطاء والبذل، حيث لا يدع فاقة لمحتاج إلا ويسدها بقدر طاقته، فيعمل على دفع فقره، فإن لم يستطع ذلك فيعينه

---

(١) بدائع الفوائد ـ لابن القيم (١/ ٢٤)
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ـ للسعدي ـ (ص:٩٤٦):
(٣) شأن الدعاء ـ للخطابي(١/ ٣٨)
(٤) انظر:المقصد الأسنى ـ للغزالي (ص: ٦٣)

بالدعاء، وأن يُظهر الحزن لحالهم، فمن لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم[١]، ومن أراد أن يزداد قربًا من رحمة الله فعليه أن يعبد الله كأنه يراه، وأن يرجو عطف الله ولطفه، بعدما رأى آثار الرحمة والرأفة منه تعالى في خلقه[٢].

٨- السميع

وردِ اسم السميع في سورة الإسراء مرة واحدة مقترنًا باسم البصير، في قوله تعالى: **﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الإسراء:١]، أما عن ورود الاسم في السنة فقد ورد في صحيح البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فقال النبي :ﷺ«**أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»[٣]، والسميع هو الذي يسمع جميع الأصوات، باختلاف اللغات وتنوعها[٤].

قال الخطابي:"والسمِيْعُ: بِمَعْنَى السامِعِ، إلا أنهُ أَبْلَغُ فِي الصفَةِ، فهو على وزن فعيل من صيغ المبالغة، فيَسْمَعُ السرَ والنَّجْوَى وهما عنده تعالى سواء، وَقدْ يَكُونُ السَّمَاعُ بِمَعْنَى القَبُولِ وَالإِجَابَةِ،ومنه قول المصلي: "سَمِعَ الله لِمَنْ حَمدَهُ" مَعْنَاهُ: قبِلَ الله حَمْدَ مَنْ حَمدَهُ"[٥].

وهو تعالى يسمع مَا هُوَ أدق وأخفى من السر والنجوى، فيدْرك دَبِيب النملة السَّوْدَاء على الصَّخْرَة الصماء فِي اللَّيْلَة الظلماء، يسمع حمد الحامدين فيجازيهم،وَدُعَاء الداعين فيستجيب لَهُم، وسؤال السائلين فيعطيهم[٦].

والسميع الذى يستوي فى سمعه القول سره وجهره، وسع سمعه الأَصوات كلها، فلا تختلف عليه أَصوات الخلق، ولا تشتبه عليه، ولا ينشغل منها بسمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه كثرة السائلين وإلحاحهم[٧].

ومن مقاصد اسم السميع وآثاره : دفع العبد إلى حفظ لسانه، مع معرفته الحكمة من خلق السمع للإنسان، فالله تعالى لم يخلق له السمع إلا ليسمع كلام الله تعالى، وكتابه المنزل على رسوله ﷺ، فلا يستعمل سمعه إلا فيما يرضي الله ﷻ[٨].

(١) انظر:المقصد الأسنى ـ للغزالي (ص:٦٢)، والآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى ـ (٢٤ـ ٢٥)
(٢) انظر:الجامع لأسماء الله الحسنى ـ إعداد حامد الطاهر (ص:١٤٥)
(٣) صحيح البخاري ـ كتاب الدعوات ـ باب الدعاء إذ علا عقبة ـ ح رقم:٦٣٨٤ـ (٨٢/٨)
(٤) تيسير الكريم الرحمن ـ السعدي (ص:٩٤٦)
(٥) شأن الدعاء ـ الخطابي (ص: ٥٩)
(٦) انظر:المقصد الأسنى ـ للغزالي ، (ص :٩٠)
(٧) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين ـ لابن القيم (ص:١٢٧ـ ١٢٨)
(٨) انظر: المقصد الأسنى – للغزالي، (ص:٩٠–٩١) .

قال ابن القيم –رحمه الله: "وهو سماع الآيات، لا سماع الأبيات، وسماع القرآن، لا سماع مزامير الشيطان، وسماع كلام رب الأرض والسماء، لا سماع قصائد الشعراء، وسماع المراشد، لا سماع القصائد، وسماع الأنبياء والمرسلين، لا سماع المغنين والمطربين،فهذا السماع حاد يحدو القلوب إلى جوار علام الغيوب، وسائق يسوق الأرواح إلى ديار الأفرح، ومحرك يثير ساكن العزمات إلى أعلى المقامات وأرفع الدرجات، ومناد ينادي للإيمان، ودليل يسير بالركب في طريق الجنان"(١).

ومن مقاصده وآثاره أيضًا: المواظبة على ذكر الله وشكره، والإكثار من مناجاته، والتوسل إليه بهذا الاسم العظيم، وهذا ما فعله الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى على لسان ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام:**﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[البقرة:١٢٧](٢).

٩- البصير

ورد اسم البصير في سورة الإسراء أربع مرات، في قوله تعالى:**﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**[الإسراء:١]، وقوله: **﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾** [الإسراء:١٧]، وقوله: **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾**[الإسراء:٣٠]، وقوله تعالى: **﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾**[الإسراء:٩٦].

وورد في السنة في قوله ﷺ: "**إِنَّكْم لا تَدْعُونَ أصَمَّ، ولا غَائِبًا، إنكم تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**"(٣).

والبصير هو الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار السماوات والأرض، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة، والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، وهو تعالى يرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، ويرى جميع النباتات على اختلاف أنواعها، وصغرها، ودقتها(٤).

---

(١) مدارج السالكين –لابن القيم (ص:٤٨١-٤٨٢) .

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى – عبد الرزاق البدر(ص:١٥٤-١٥٥) .

(٣) سبق تخريجه: (ص: ٦٢)

(٤) انظر:تفسير أسماء الله الحسنى ـ للسعدي، (ص ـ ١٧٤)

قال الغزالي: "وهو الَّذِي يُشَاهد وَيرى، حَتَّى لَا يعزب عَنهُ مَا تَحت الثرى، وإبصاره أَيْضًا منزه عَن أَن يكون بحدقة وأجفان، ومقدس عَن أَن يرجع إِلَى انطباع الصُّور والألوان فِي ذَاته، كَمَا ينطبع فِي حدقة الْإِنْسَان، فَإِن ذَلِك من التَّغَيُّر والتأثر الْمُقْتَضِي للحدثان، وَإِذا نزه عَن ذَلِك كَانَ الْبَصَر فِي حَقه عبارَة عَن الصّفة الَّتِي ينْكَشف بهَا كَمَال نعوت المبصرات، وَذَلِكَ أوضح وَأجلى مِمَّا يفهم من إِدْرَاك الْبَصَر الْقَاصِر على ظواهر المرئيات"[١].

ومن مقاصد هذا الاسم وآثاره أنه يدفع العبد إلى اليقين بأن الله خلق له البصر لينظر إلى الآيات والعجائب في ملكوت السماوات والأرض[٢].

واسم البصير يدفع المرء إلى مراقبة الله تعالى في السر والعلن، فيبتعد عن المعاصي، ويهجر ما يُغضب الله ﷻ[٣]. قال ﷺفي بيان حقيقة الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[٤].

ومن مقتضيات اسم البصير وآثاره ، الذل والخضوع لله تعالى، والرضا بما قدره لنا، فهو تعالى بصير بأحوال عباده، خبير بها، بصير بمن يستحق الهداية ممن لا يستحقها، بصير بمن يصلح حاله بالغنى ويناسبه المال الكثير، وبمن يفسد حاله بذلك ولا يناسبه المال الكثير[٥]، وهذا معنى قوله تعالى:﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾[الإسراء:٣٠].

١٠- الوكيل

ورد اسم الوكيل في السورة الكريمة في حقه تعالى مرتين: في قوله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا**﴾[الإسراء:٢]، وقوله: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾[الإسراء:٦٥]. وورد في الُسنة اسم الوكيل في قَوْلِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ»، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: "قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا"[٦].

(١) المقصد الأسنى ـ الغزالي، (ص ـ ٩١)
(٢) انظر:الجامع لأسماء الله الحسنى – إعداد حامد الطاهر(ص:١٤٥) .
(٣) انظر:المقصد الأسنى ـ للغزالي ،(ص:٩٢) .
(٤) صحيح البخاري –كتاب الإيمان –باب سؤال جبريل النبي ﷺ–حديث رقم (٥٠) –(١٩/١) .
(٥) انظر:التفسير المنير ـ للزحيلي ، (٦١/١٥)
(٦) رواه الترمذي في سننه ـ باب ما جاء في شأن الصور ـح رقم:٢٤٣١ (٦٢٠/٤) وقال الشيخ الألباني صحيح.

قال السعدي:"الوكيل: المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، والذي تولى أولياءه، فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور، فمن اتخذه وكيلاً كفاه"(١).

وقال الغزالي:"هُوَ الموكول إِلَيْهِ الْأُمُور، وَلَكِن الموكول إِلَيْهِ يَنْقَسِم إِلَى من يُوكل إِلَيْهِ بعض الْأُمُور، وَذَلِكَ نَاقص، وَإِلَى من يُوكل إِلَيْهِ الْكل، وَلَيْسَ ذَلِك إِلَّا لله ﷻ الذي له الكمال المطلق. والموكول إِلَيْهِ يَنْقَسِم إِلَى من يسْتَحق أَن يكون موكولاً إِلَيْهِ لَا بِذَاتِهِ وَلَكِن بالتفويض وَالتَّوْكِيل؛ فيوصف بالنقص، لِأَنَّهُ فَقير إِلَى التَّفْوِيض وَالتَّوْلِيَة، وَإِلَى من يسْتَحق بِذَاتِهِ أَن تكون الْأُمُور موكولة إِلَيْهِ والقلوب متوكلة عَلَيْهِ، لَا بتولية وتفويض من جِهَة الغير، وَذَلِكَ هُوَ الْوَكِيل الْمُطلق"(٢).

فهو تعالى يستقل بالأمر الموكول إليه، ومنه قول المسلمين:**﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾** [آل عمران:١٧٣]، أيْ: نعم الكفيل بأمورنا والقائم بها، فمن ربوبيته تعالى التكفل برزق العباد، والقيام عليهم، وتولي مصالحهم(٣).

ومن مقاصد هذا الاسم وآثاره ، أنه يجعل العبد يمتثل لأوامر الله، ويأخذ بالأسباب، فهو سبحانه الوكيل المطلق، الذي تتوكل عليه القلوب دون تولية وتفويض من جهة غيره، فذلك يجعل القلب متعلقًا به تعالى، مطمئنًا لقدر الله، قائمًا بالمصالح، غير راكنٍ إلى الأسباب(٤).

ومن مقاصده وآثاره : الإعراض عن الدنيا، والإقبال على الله؛ فمن عرف ان وكيله غنيٌ وفيٌّ توكل عليه، وفوض إليه جميع شؤونه، قال تعالى:**﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [آل عمران:١٢٢](٥).

وعلى العبد أن يعلم أن الله تعالى دعاه إلى التوكل عليه وحده، وجعل ذلك دليل الإيمان، قال تعالى:**﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾**[الشورى:٣٦]، وحذر سبحانه العباد من التوكل على ما سواه، قال تعالى:**﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾**[الإسراء:٢]، وعلى العبد الإخلاص في التوكل عليه سبحانه، فهو فريضة عظيمة من فرائض الله تعالى على عباده، فإن القلب اذا

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى ـ للسعدي (ص:٢٤٤)

(٢) المقصد الأسنى ـ للغزالي (ص:١٢٩)

(٣) انظر: شأن الدعاء ـ الخطابي ـ (ص: ٧٧)

(٤) انظر:المقصد الأسنى– للغزالي (ص:١٢٩)، والآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى – جمع وترتيب رياض أدهمي (ص:١٠٤–١٠٥).

(٥) انظر: الجامع لأسماء الله الحسنى – إعداد حامد الطاهر (ص:٣١٢)

اعتمد على الله تعالى في الأمور الدينية والدنيوية ثقةً به سبحانه بأنه الكفيل الوكيل لا شريك له؛ صحَّ إخلاصه، وقويت معاملته مع الله، وزاد إيمانه، وصلحت أحواله كلها[1].

١١- النصير

ورد اسم النصير في سورة الإسراء مرتين، في قوله تعالى: ﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[الإسراء:٧٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾[الإسراء:٨٠]، وورد اسم النصير في السنة، فكان النبي ﷺ يقول إذا غزا: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَصِيرِي، وَبِكَ أُقَاتِلُ»[2].

والنصيرمعناه:"الذي تولى نصر عباده، وتكفَّل بتأييد أوليائه والدفاع عنهم، والنصر لا يكون إلا منه، ولا يتحقق إلا بمنِّه، فالمنصور من نصره الله، إذ لا ناصر للعباد سواه"[3].

وهو تعالى النصير الذي ينصر عباده المؤمنين،ويعينهم، ويقويهم، قال ﷻ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧]. ونُصرةُ الله للعبد ظاهرة وواضحة من الآيات السابقة، فهو ينصر من ينصره، ويعينه، ويسدّده، ويؤازره[4].

ومن مقاصد هذا الاسم وآثاره ، أن يأخذ المسلم بأسباب القوة، من أجل أن ينصره الله على أعدائه،فالله تعالى لا ينصر عباده إلا اذا جاهدوا أنفسهم على تحقيق الإيمان، والإتيان بمقومات النصر على الأعداء، وما كان تسليط أعدائنا علينا إلا نتيجة للتقصير في حق الله، وكثرة الذنوب[5]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله:"وَحَيْثُ ظَهَرَ الْكُفَّارُ فَإِنَّمَا ذَاكَ لِذُنُوبِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي أَوْجَبَتْ نَقْصَ إيمَانِهِمْ، ثُمَّ إذَا تَابُوا بِتَكْمِيلِ إيمَانِهِمْ؛ نَصَرَهُمُ اللَّهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٩]"[6]، ومما يحتاجه العباد من أجل تحقيق

---

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى – عبد الرزاق البدر(ص:٢٣٩-٢٤٠) .

(٢) رواه الترمذي ـ باب في الدعاء إذا غزا، ح٣٥٨٤ رقم :(٥٧٢/٥) وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) فقه الأسماء الحسنى ـ عبد الرزاق البدر (ص:٢٤٢)

(٤) انظر: الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة ـ سعيد القحطاني (ص :١٤٤ـ ١٤٥)

(٥) انظر: فقه الأسماء الحسنى – عبد الرزاق البدر –(ص:٢٨٣) .

(٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – لابن تيمية، (٤٥٠/٦).

النصر :مجاهدة عدوهم الباطن، ومجاهدة نفوسهم الأمارة بالسوء، فإن لم يفعلوا ذلك فلا نصر لهم[١].

ومن مقاصد هذا الاسم وآثاره أيضًا، أنه يوجه المسلم إلى نصرة أخيه المسلم، سواء كان ظالمًا أم مظلومًا، قال رسول الله ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»[٢].

وقد بيَّن النبي ﷺأن نصر الظالم هو منعه من الظلم، لأنه إذا تُرك على ظلمه ولم يكفه عنه أحد؛ أدَّى ذلك إلى وقوع القصاص عليه، فمنعه من الظلم الذي يُوجب عليه القصاص هو نصر له[٣].

١٢- الشهيد

وردِ اسم الشهيد في السورة مرة واحدة في قوله تعالى:﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا** ﴾ [الإسراء:٩٦]، وورد في السنة في قول الرسول ﷺ في حجة الوداع:«اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»[٤].

والشهيد مَعْنَاهُ قريب من الْعَلِيم مَعَ خُصُوص إضَافَة، فَإِن الله ﷻ عَالم الْغَيْب وَالشَّهَادَة، فالغيب عبارَة عَمَّا بطن، وَالشَّهَادَة عبارَة عَمَّا ظهر، فهو يُشَاهد، فَإِذا اعْتبر الْعلم مُطلقًا فَهُوَ الْعَلِيم، وَإِذا أضيف إِلَى الْغَيْب والأمور الْبَاطِنَة فَهُوَ الْخَبِير، وَإِذا أضيف إِلَى الْأُمُور الظَّاهِرَة فَهُوَ الشَّهِيد، وَقد يعْتَبر مَعَ هَذَا أَن يشْهد على الْخلق يَوْم الْقِيَامَة بِمَا علم وَشَاهد مِنْهُم[٥].

قال الخطابي: "الشهِيْدُ: هُوَ الذي لَا يَغِيْبُ عَنْهُ شيءٌ ولا يخفى. يُقَالُ: شَاهِدٌ وَشهيدٌ كعَالِم، وَعَلِيم. أي: كأنهُ الحَاضِرُ الشاهِدُ الذِي لَا يعْزبُ عَنْه شَيءٌ "[٦].

واسما الله تعالى: الرقيب، والشهيد مترادفان، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي –رحمه الله: "الرقيب والشهيد مترادفان، وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا**

(١) فقه الأسماء الحسنى – عبد الرزاق البدر – (ص:٢٨٣) .
(٢) صحيح البخاري – كتاب المظالم والغصب، باب: "أعِن أخاك ظالمًا أو مظلومًا"، ح رقم:٢٤٤٤، (١٢٨/٣).
(٣) انظر: شرح صحيح البخاري – ابن بطال أبو الحسن علي – (٥٧٢/٦).
(٤) صحيح البخاري ـ كتاب الحج ـ باب الخطبة أيام منى ح رقم:١٧٤١ (١٧٦/٢)
(٥) انظر:المقصد الأسنى ـ أبو حامد الغزالي، (ص١٢٦)
(٦) شأن الدعاء ـ الخطابي (ص:٧٥)

رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[البروج:٩]"[١].

ومن مقاصد هذا الاسم وآثاره : مراقبة الله ﷻ في السر والعلن، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: "ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسم الرقيب الشهيد، فمتى تحقق ذلك وعلِم العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله؛ أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر وهاجس يبغضه الله وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان، فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه تعالى يراه"[٢].

---

(١) الحق الواضح المبين – للسعدي (ص:٥٨). أقول: من المعلوم أنه لا ترادف في اللغة، ولكن هذا الترادف في الاسمين إنما هو ترادف نسبي؛ إذ إن لكل اسم منهما مدلولاً خاصًّا يختلف عن الاسم الآخر.

(٢) المصدر السابق (ص : ٥٨ ، ٥٧) .

المطلب الثالث

صفات الله تعالى الواردة في السورة وأثر كل منها على الفرد والمجتمع

أولاً: البَرَكَةُ والتَبَارُكُ

هي صفةٌ ذاتيةٌ وفعلية لله ﷻ، وهي صفة ثابتةٌ لله تعالى بالكتاب والسنة، ودليلها من الكتاب قوله تعالى: ﴿رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود:٧٣]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ الذِي بِيَدِهِ المُلكُ﴾ [الملك:١]،أما دليلها من السنة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ"[(١)][(٢)].

أما ورودها في سورة الإسراء؛ فقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء:١]. وقد دلَّت الآية على أن البركة من الله جل وعلا، وأن الله جل وعلا هو الذي يبارك[(٣)].

ونصوص القرآن والسنة على أن الأشياء التي أحل الله جل وعلا البركة فيها قد تكون أمكنة أو أزمنة، أومخلوقات آدمية، ومن الأماكن التي باركها الله تعالى بيت الله الحرام، وحول بيت المقدس، كما قال سبحانه: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[(٤)].

قال ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد: "وحقيقة اللفظة: أن البركة كثرة الخير ودوامه، ولا أحد أحق بذلك وصفًا وفعلاً منه تبارك وتعالى، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين"[(٥)].

وقال أيضًا:"البركة نوعان: أحدهما بركة، وهي فعله تبارك وتعالى، والفعل منها بارك، ويتعدى بنفسه تارة وبأداة "على" تارة، وبأداة "في" تارة والمفعول منها مبارك، وهو ما جعل كذلك فكان مباركًا بجعله تعالى، والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الغسل ـ باب من اغتسل عريانًا وحده في الخلوة ، ومن تستر فالتستر أفضل ـ حديث رقم: ٢٧٩ـ (٦٤/١)

(٢) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السَّقَّاف، (ص:٨١ـ ٨٢)

(٣) انظر:التمهيد لشرح كتاب التوحيد ـ للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، (ص: ١٢٠)

(٤) انظر:المصدر السابق (ص: ١٢٤)

(٥) بدائع الفوائد ـ ابن القيم (٢/ ١٨٦)

تبارك، ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له ﷻ، فهو سبحانه المتبارك وعبده ورسوله المبارك، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم:٣١]، فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك، وأما صفة تبارك، فمختصة به كما أطلقها على نفسه بقوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[غافر:٦٤]، وقوله تعالى:﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]، وهي كيفما اطّردت في القرآن جارية عليه مختصة به تعالى لا تطلق على غيره، وجاءت على بناء السعة والمبالغة، كتعالى وتعاظم ونحوهما، فجاء بناء تبارك على بناء تعالى الذي هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذلك تبارك، دال على كمال بركته وعظمته وسعتها"(١).

ومن مقاصد صفة البركة وآثارها: أن يتوجه العبد بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، بأن يبارك له في كل ما أعطاه من علم، أو مال، أو أعمال، وأن يبارك له في عمره وأهله وذريته ومسكنه،وغيرها من الأشياء، بأن ينميها ويُكثر فيها الخير، ويحفظها ويسلمها من كل الآفات(٢)، تأسّيًا بالنبيﷺ الذي دعا الله تعالى بأن يبارك له فيما أعطاه، فكان يقول: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ» (٣).

ثانيًا: صفة الرحمة

وهي صفةٌ ثابتةٌ بالكتاب والسنة، و(الرحمن) و(الرحيم) من أسمائه تعالى(٤). وهما اسمان مشتقان من الرحمة، وهي رحمة تامة وكاملة، تعني إفاضة الخير من الله تعالى على عباده، سواء أكانوا مستحقين لها أم لا، وهي رحمة تعمّ الدنيا والآخرة، وتتناول الضرورات والحاجات(٥).

ودليلها من الكتاب؛ قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:١-٢]، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨].ومن السنة:حديث أَبِي

(١) بدائع الفوائد ـ لابن القيم (٢/١٨٥ـ ١٨٦)، وتيسير العزيز الحميد ـ سليمان بن عبد الوهاب (ص: ٣٢٤)
(٢) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ـ علي بن سلطان محمد، (٣/ ٩٥٠)
(٣) سنن أبي داود ـ أبواب قيام الليل ـ باب القنوت في الوتر ـ ح رقم : ١٤٢٥(٢/٦٣) وقال الشيخ الألباني صحيح .
(٤) انظر: صفات الله ﷻالواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف (ص: ١٧٤)
(٥) انظر: أسماء وصفات الله تعالى المركبة في القرآن الكريم ـ أحمد بن علي (ص:٤)

هُرَيْرَةَﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي"[1][2].

وعن عمر ﷺ قال: «قدِمَ على رسول اللَّه ﷺ بِسَبي هوازنَ؛ فإذا امرأة من السبيِ تسعى، إذْ وجدت صبيًّا في السَّبي، فأخذته فألزقته ببطنِها فأرضعته، فقال النبي ﷺ: "أترَونَ هذه المرأَةَ طارِحةً ولدها في النَّارِ؟!"قلنا: لا واللَّه! فقال: "للَّهُ أَرحمُ بعبادِهِ من هذهِ بولدِها"[3].

وقد وردت صفة الرحمة في سورة الإسراء تسع مرات، منها قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، وقوله: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، وقوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾. والرَّحْمَةَ صِفَةُ كَمَالٍ، وَكافة الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ مَمْلُوءَةٌ بِذِكْرِهَا وَإِطْلَاقِهَا على الله تعالى، وهي صِفَةٌ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ، تَقْتَضِي التَّفْضلَ وَالْإِنْعَامَ[4].

والرحمة عامة وخاصة، أما العامة فتشمل جميع المخلوقات، حتى الكفار، لأن الله قرن الرحمة هذه مع العلم، فكل ما بلغه علم الله، وعلم الله بالغ لكل شيء، فقد بلغته رحمته، فهو تعالى كما يعلم الكافر، يرحمه أيضًا، لكن رحمته للكافر رحمة جسدية بدنية دنيوية قاصرة غاية القصور بالنسبة لرحمة المؤمن، فالذي يرزق الكافر هو الله الذي يرزقه بالطعام والشراب واللباس والمسكن والمنكح وغير ذلك، أما المؤمنون، فرحمتهم رحمة أخص من هذه وأعظم، لأنها رحمة إيمانية دينية دنيوية،يترتب عليها العيش الهنيء والحياة الطيبة، التي يفتقدها الكفار، فحياتهم كحياة البهائم، إذا شبع، روث، وإذا لم يشبع، جلس يصرخ، وهذه هي حياة الكفار إن شبعوا، بطروا؛ وإلا جلسوا يصرخون ولا يستفيدون من دنياهم، أما المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له،وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وقلبه منشرح مطمئن متفق مع القضاء والقدر، لا جزع عند البلاء، ولا بطر عند النعماء، بل هو متوازن مستقيم معتدل،وهذا من رحمته تعالى الخاصة بالمؤمنين[5].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ح رقم:٢٧٥١- (٢١٠٧/٤)
(٢) انظر: صفات الله ﷻالواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف (ص:١٧٥)
(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب ـ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ـ ح رقم: ٥٩٩٩- (٨/٨)
(٤) انظر: لوامع الأنوار البهية ـ السفاريني (٣٢/١- ٣٣)
(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية ـ للعثيمين، (ص: ٢٤٩)

وتتجسد آثار رحمته تعالى في إرسال الرسل، وإنزال الكتب، والبيان والتبيان، الذي جاءت به الكتب السماوية[١]. قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء:١٠٥].

فالقرآن جاء متضمنًا للحق من تبيان براهين الوحدانية والوجود، وحاجة الناس إلى الرسل، والأمر بالعدل ومكارم الأخلاق، والنهي عن الظلم وقبائح الأفعال والأقوال، والأحكام التشريعية والأوامر والنواهي المنظمة لحياة الفرد والجماعة والدولة، وغير ذلك من أصول التشريع الرفيع، وكان من مهام الرسول ﷺ التبشير بالجنة لمن أطاع الله تعالى من المؤمنين، والإنذار من النار لمن عصاه من الكافرين[٢]، وتلك رحمة كبيرة من الله تعالى بعباده، فهو تعالى لا يعذبهم حتى يبعث لهم رسولاً يرشدهم إلى الحق ويبين لهم الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

ومن مقاصد هذه الصفة العظيمة وآثارها: أن من يتحقق ويتبصر بها فعليه أن يكون دائم الالتماس لرحمات الله بالتوجه له بالدعاء، فالدعاء هو مُخ العبادة، وعليه التوسل لله ﷻ بمختلف الأعمال الصالحة والعبادات، لينال من رحمة الله ورأفته به، ويكون أهلاً لحب الله ووده له، ومن آمن بأن الله رحيم رحمن، فعليه أن يتخلق بما تدل عليه هذه الصفة قدر استطاعته، فيكون رحيمًا بخلق الله، مؤيدًا لأرباب الحق، لطيفًا في معاملاته مع الناس، رفيقًا بهم[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ بَرٌّ جَوَادٌ مُحْسِنٌ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُنَاسِبُهُ، فَكُلَّمَا عَظُمَ فَقْرُهُ إلَيْهِ كَانَ أَغْنَى؛ وَكُلَّمَا عَظُمَ ذُلُّهُ لَهُ كَانَ أَعَزَّ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ لِمَا فِيهَا مِنْ أَهْوَائِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ وَتَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ لَهَا تَبْعُدُ عَنْ اللَّهِ، حَتَّى تَصِيرَ مَلْعُونَةً بَعِيدَةً مِنْ الرَّحْمَةِ"[٤].

ثالثًا: صفة العلم

وهي من الصفاتٌ الذاتيةٌ الثابتةٌ لله ﷻ بالكتاب والسنة، ومن أسمائه تعالى: (العليم)[٥]. والدليل عليها من الكتاب قوله تعالى:﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٩٧].ومن السنة حديث الاستخارة: عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ: "إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ،

---

(١) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية ـ أبو أحمد محمد أمان، (ص: ٤٠٦)
(٢) التفسير المنير ـ للزحيلي (١٨٤/١٥)
(٣) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها – للميداني ،(ص:٢٢٠).
(٤) مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية، (٥/ ٢٣٨)، والأسماء والصفات ـ ابن تيمية ، (٢١/١).
(٥) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف ،(ص: ٢٥٥)

ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي –أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ– فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي –أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ– فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ"(١)(٢).

وقد وردت صفة العلم في سورة الإسراء أربع مرات، منها قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٥]،وقوله:﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾[الإسراء:٤٧]، والعلم صفة لله ﷻيدرك بها جميع المعلومات على ما هي عليه، فلا يخفى عليه منها شئ مهما دق وصغر(٣)، وهي صفة ذاتية تبين إحاطة علمه تعالى بالظواهر والبواطن، والسرائر والخفايا، والأمور المتقدمة والمتأخرة(٤).

ويثبت أهل السنة والجماعة لله تعالى صفة العلم، وهذا ما قرره الإسماعيلي(٥)حيث قال: و"يثبتون أن له وجهًا، وسمعًا، وبصرًا، وعلمًا، وقدرةً، وقوةً، وكلامًا، لا على ما يقوله أهل الزيغ من المعتزلة(٦) وغيرهم"(٧).

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الدعوات ـ باب الدعاء عند الاستخارة ـ حديث رقم :٦٣٨٢ (٨/٨١) .

(٢) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف (ص: ٢٥٥) .

(٣) انظر:شرح العقيدة الواسطية ـ للهراس (ص:٩١) .

(٤) انظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية ـ أبو محمد بن محمد، (ص:٤٠)

(٥) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، أبو بكر الإسماعيلي: (٢٩٧ – ٣٧١ هـ = ٩١٠ – ٩٨٢ م)حافظ، من أهل جرجان، عرف بالمروءة والسخاء. قال أحد مترجميه: (جمع بين الفقه والحديث ورياسة الدين والدنيا)، له مؤلفات منها (المعجم)و(الصحيح) و(مسند عمر)، وكلها في الحديث. انظر:الأعلام للزركلي (١/ ٨٦) .

(٦) المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمد المعتزلةعلى العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة، مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة،والمعتزلة أتباع واصل بن عطاء،الذي اعتزل مجلس الحسن البصري بسبب قوله أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين،وقد حرروا مذهبهم في أصول خمسة، هي:العدل،والتوحيد، والوعد والوعيد،والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (ص:٦٤ـ٦٧)

(٧) اعتقاد أئمة الحديث ـ للاسماعيلي (ص:٥٥)

ومن الآيات العظيمة التي تبين صفة العلم:قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[الأنعام:٥٩]، فهذه الآية من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث، وعلمه الكامل بالغيوب كلها التي يُطلع على ما شاء منها من شاء من خلقه، وكثير منها طوى علمه عن الملائكة والمرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين، وهو تعالى يعلم ما في البراري والقفار(١)من الحيوانات والأشجار، والرمال والحصى والتراب، وما في البحار من حيوانات ومعادنها وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها ويشتمل عليه ماؤها، كل ذلك عنده في كتاب مبين، أي في اللوح المحفوظ، وهذا دليل على عظمته ﷻ، ولو أن الخلق اجتمعوا كلهم على أن يحيطوا ببعض صفاته لم يكن لهم قدرة ولا طاقة على ذلك(٢).

ومن مقاصد صفة العلم وآثارها على العبد : أن من لاحظ هذه الصفة لله ﷻ، يتحقق لديه إحاطة الله ﷻ بكل شيء علمًا، وأن علم الله لا يقتصر على الظواهر فحسب، بل هو محيط بالبواطن وبكل ما دقَّ وخفي، ويعلم خواطر الأنفس، مما يكون دافعًا للعبد إلى تحديد منهج لسلوكه في هذه الحياة، لشعوره بأنه محاطٌ من خارجه ومن داخله، بعلم عليم، هو الله الواحد الأحد، فتتحقق عنده أمورٌ ثلاثة:

الأول: أنه لا يخشى أن يضيع عليه أي عمل من أعمال البر، لأنه يعلم أن الله عليمٌ به، وأن من يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرًّا يره.

الثاني: ألا يستهين بأي عمل من أعمال الشر حتى لو كان معنويًا، كالبغض والحسد، وإن لم يكن له أثر في التنفيذ، فيكون على يقين أن من يعمل مثقال ذرة من شر فالله يعلم بها، وسيجازيه عليها.

الثالث: أنه يتضح لديه الفرق الكبير بين علم الله تعالى وعلم المخلوق، فيتصاغر في نفسه، ويتواضع لله مهما بلغ علمه من سعة، ويتجلى له معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥](٣).

ولهذه الصفة آثار عظيمة على العبد، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله: "أطْبَقَ العلماءُ على أن أعظمَ المواعظِ، وأعظمَ الزواجرِ، هو واعظُ المراقبةِ والعلمِ، وَضَرَبَ العلماءُ

(١) هِي "الأَرْض القَفَار الَّتِي لَا شَيْء فِيهَا"، تهذيب اللغة (٣/ ١٧٩)

(٢) انظر:اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث ـ محمد الخميس،(ص:٤١ـ ٤٢)

(٣) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها – للميداني، (ص:١٧٤).

لهذا مثلاً، قالوا: ولله المثلُ الأَعْلَى: لو فَرَضْنَا أن هذا البراحَ من الأرضِ، فيه مَلِكٌ قَتَّالٌ للرجالِ إن انْتُهِكَتْ حرماتُه، سفَّاكٌ للدماءِ إن انتُهكت حرماتُه، ذو قوةٍ وعزةٍ ومَنَعَةٍ، وحولَه جيوشُه، وحولَ هذا الملكِ بناتُه ونساؤُه وجواريه، أَيَخْطُرُ في بالِ أحدٍ أن أولئك الحاضرين مجلسَ هذا الملكِ الجبارِ يقومُ واحدٌ منهم بغمزةِ عَيْنٍ إلى حَرَمِ ذلك الملكِ أَوْ رِيبَةٍ؟ لاَ، وَكَلاَّ، كُلُّهُمْ خاضعونَ، خاشعةٌ عيونُهم، خاشعةٌ جوارحُهم، غايةُ أمانيهم السلامةُ!! ولا شَكَّ أن خالقَ الكونِ –وله المثلُ الأَعْلَى– أعظمُ بَطْشًا، وأشدُّ نَكَالاً إن انْتُهِكَتْ حرماتُه، وَحِمَاهُ في أرضِه مَحَارِمُهُ، ولو قيل لأهلِ بلدٍ: إن أميرَ ذلك البلدِ يَبِيتُ عَالِمًا بِكُلِّ ما يفعلونَه في الليلِ من الخسائسِ والدسائسِ؛ لَبَاتُوا مُتَأَدِّبِينَ، لا يفعلونَ إلا شيئًا طَيِّبًا!! وهذا خالقُ السماواتِ والأرضِ، الْمَلِكُ الجبارُ، يُخْبِرُهُمْ في آياتِ كتابِه، لاَ تكادُ تَقْلِبُ ورقةً واحدةً من أوراقِ المصحفِ الكريمِ إلا وجدتَ فيها هذا الواعظَ الأكبرَ والزاجرَ الأعظمَ: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، فَيَنْبَغِي علينَا جميعًا أن نعتبرَ بهذا الزاجرِ الأكبرِ، والواعظِ الأعظمِ، وأن لا نَتَنَاسَاهُ؛ لئلاَّ نُهْلِكَ أنفسَنا"[1].

رابعًا: صفة الخلق والفطر

الْخَلْقُ: صفةٌ من صفات الله ﷻ الفعلية الثابتة بالكتاب والسنة، وهي مأخوذة أيضًا من اسميه (الخالق) و(الخلاَّق)، وتعتبر هذه الصفة من صفات الذات وصفات الفعل معًا[2].

وقدوردت هذه الصفة لله ﷻ في القرآن مرات عديدة، تارة بالفعل (خَلَقَ)، أو بمصدره، وتارة باسمه (الخالق) أو (الخلاَّق)، ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[الحجر:٨٦].ودلت عليها السنة النبوية في أحاديث كثيرة منها: حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا:"**قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْشَعِيرَةً**"[3][4].

ووردت صفة الخلق في سورة الإسراء ثلاث مرات، في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:٦١]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى

(١) العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ ـ للشنقيطي ، (٣٩٢/١- ٣٩٣)
(٢) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف ـ (ص: ١٥٤)
(٣) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات:٩٦]، حديث رقم: ٧٥٥٩- (١٦١/٩)
(٤) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف (ص: ١٥٥)

الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:٩٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠]،"والخالِقُ: هُوَ المبدِعُ للْخلقِ، والمُخْترِعُ لَهُ عَلَى غَيْر مِثالٍ سابَق"(١).

وصفة الخلق ذاتية من حيث الأصل، وفعلية من حيث النوع والآحاد، فالله ﷻ يخلق ما يشاء بالنوع، ويخلق ما يشاء بالآحاد، فالإنسان مثلاً مخلوق بالنوع وبالآحاد، من حيث كل إنسان على حدة، فخلق الله للإنسان من حيث هو، يعتبر واحدًا بالنوع، وخلق الله للإنسان باعتبار كل فرد يعتبر واحدًا بالشخص، أي بالآحاد،أما من حيث الفعل لله ﷻ الذي هو صفة الخلق، فإن الله لم يزل ولا يزال خلاقًا، فهي من الصفات الذاتية التي لا تنفك عنه تعالى(٢).

فالله تعالى الخالق، وكل ما سواه مخلوق، مربوب له، بيده الخلق، فلا خالق غيره، وجميع السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما، وحركات أهلها، وسكناتهم وأرزاقهم وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم كلها مخلوقات له، محدثة كائنة بعد أن لم تكن، وهو تعالى الخالق ذلك كله، فمنه مبدأها وإليه منتهاها(٣).

والخلق يطلق ويراد به أمران:

أحدهما: إيجاد الشئ وإبداعه على غير مثال سابق له، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى *وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[الأعلى:٢-٣]، والثاني: بمعنى التقدير، ومنه قول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ... ـض القوم يخلق ثم لا يفري

أي: أنت إذا قدَّرت أمرًا أمضيته، وغيرك يقدر ثم لا يمضي الشئ الذي قدره، ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]، فمعنى الخلق في نعوت الآدميين التقدير، أما الخلق الذي مراده إبداع الشئ وإيجاده على غير مثال سابق له، فهو مما تفرد به الخالق ﷻ(٤).

أما صفة الفطر فهي من صفاته الفعلية، فهو تعالى فَطَرَ الخلق، وهو فاطر السماوات والأرض، وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى:﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٧](٥).

---

(١) شأن الدعاء ـ الخطابي (ص : ٤٩)
(٢) انظر: شرح العقيدة السفارينية – للعثيمين (١/ ٢٨٢)
(٣) انظر:الجامع لأسماء الله الحسنى ـ إعداد حامد الطاهر (ص:١١٥)
(٤) انظر:فقه الأسماء الحسنى –عبد الرزاق البدر (ص ١٠٨ ، ١٠٩)
(٥) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف (ص: ٢٧١. ٢٧٢)

ودليلها من السنة:«اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(١)، و"الفَطْرُ: الابْتداء والاختِراع"(٢).

وقد وردت صفة الفطر في سورة الإسراء مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء:٥١].

قال أبو سليمان الخطابي:"الفاطر:هو الذي فطر الخلق، أي:ابتدأ خلقهم، كقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء:٥١]، ومن هذا قولهم: فطر ناب البعير، وهو أول ما يطلع، وعن ابن عباس ﷺ:لم أكن أعلم معنى فاطر السماوات والأرض حتى اختصم أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يريد استحدثت حفرها"(٣).

وهناك أربعة أشياء فطرها الخالق ﷻ بيده، دل على ذلك ما ورد عن عبد الله بن عمر قال: "خَلَقَ اللَّهُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: الْعَرْشَ، وَالْقَلَمَ، وَآدَمَ، وَجَنَّةَ عَدْنٍ، ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ، فَكَانَ"(٤).

ومن مقاصد هذه الصفة أن اسم الله "الخالق" يلفت المرء إلى الدلائل العظيمة التي تدلل على المولى ﷻ، فهو تعالى الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة، وصمم أجزاءها في مقادير محكمة، مبرأة من النقص في تكوينها، وأبدعها على غير مثال سابق، وصورها في أجمل صورة، وأكملها بحسب الغاية التي أعدّ كل مخلوق لها، إن من تأمل ذلك وأبصره يزداد إيمانه بالله تعالى كلما ازداد تأملاً وتفكرًا(٥).

ومن مقاصد هذه الصفة أيضًا وجوب التوجه إلى الله ﷻ بالعبادة والتقديس والتعظيم، وتنزيهه تعالى عما لا يليق به، فهو تعالى خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه(٦).

---

(١) صحيح مسلم:كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ـ حديث رقم:٧٧٠، ص(١/ ٥٣٤)

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ــ لابن الأثير ، (٣/ ٤٥٧)

(٣) الجامع لأسماء الله الحسنى ـ إعداد:حامد أحمد الطاهرـ (ص:٢٢٠)

(٤) مختصر العلو للعلي العظيم ـ للذهبي، حكم الألباني على هذا الأثر بأن إسناده جيد.

(٥) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها – للميداني (ص : ٢٠٩) .

(٦) انظر: فقه الأسماء الحسنى – عبد الرزاق البدر(ص : ١٠٩) .

وترى الباحثة أن من يتأمل صفة الفطر لله ﷻ، فعليه أن يجتهد في بقاء فطرته نقية صافية، متمسكة بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، غير منحرفة عن الطريق المستقيم.

خامسًا: صفة الرزق

وصفة الرزق صفةٌ فعليةٌ ثابتةٌ لله ﷻ بالكتاب والسنة، و(الرزَّاق) و(الرَّازق) من أسمائه تعالى. وقد دل عليها من القرآن آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّبًا﴾[النحل:١١٤]، ومن السنة:عَنْ أَنَسٍ قَالَ: غَلَا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ «إِنَّ اللَّهَ هُوَ المُسَعِّرُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الرَّزَّاقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ"[(١)][(٢)].

ووردت صفة الرزق في سورة الإسراء ثلاثَ مرات، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠)﴾، وقوله تعالى:﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١)﴾، وقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)﴾.

قال الهرَّاس[(٣)]:"ومن أسمائه سبحانه: (الرزَّاقُ)، وهو مبالغة من (رازق)؛ للدلالة على الكثرة، مأخوذ من الرَّزْق -بفتح الراء- الذي هو المصدر، وأما الرِّزق -بكسرها- فهو لعباده الذين لا تنقطع عنهم أمداده وفواضله طرفة عين، والرزق كالخلق، اسم لنفس الشيء الذي يرزق الله به العبد؛ فمعنى الرزَّاق: الكثير الرزق، صفةٌ من صفات الفعل، وهو شأن من شؤون ربوبيته ﷻ، لا يصح أن ينسب إلى غيره، فلا يسمى غيره رازقًا، كما لا يسمى خالقًا، قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[الروم:٤٠]؛ فالأرْزاق كلها بيد الله وحده، فهو خالق

---

(١) سنن الترمذي ـ كتاب ـ باب ما جاء في التسعير ـ حديث رقم ١٣١٤(٣/ ٥٩٨)، قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٢) انظر:صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف (١٧٥ـ ١٧٦)

(٣) هوالإمام السلفي محمد خليل هراس، ولد بطنطا عام خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة، وتخرج من الأزهر من كلية أصول الدين، وحاز على شهادة "الدكتوراه" في التوحيد، وموضوع الرسالة: 'ابن تيمية السلفي ورده على مذاهب المتكلمين'. شغل عدة مناصب آخرها نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة النبوية، ثم الرئيس العام لها بالقاهرة. كان الشيخ محمد على قدر كبير من التميز في دراسة العقيدة الصحيحة، ومتفردًا في معرفة العقائد والفرق الكلامية والفلسفات القديمة والحديثة. وكان رحمه الله سلفي المعتقد، حاملاً لواء السنة، نابذًا لواء البدعة، منكبًّا على نشر السنة، لا تأخذه في الله لومة لائم، وله في ذلك مؤلفات. انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، للمغراوي،(١٠/٤٧).

الأرزاق والمرتزقة، وموصلها إليهم، وخالق أسباب التمتع بها؛ فالواجب نسبتها إليه وحده وشكره عليها، فهو مولاها وواهبها"(١).

والرزق رزقان: الرزق المطلق، وهو الذي يستمرنفعه في الدنيا والآخرة، وهو رزق القلوب الذي هو العلم والإيمان والرزق الحلال، والثاني: مطلق الرزق، وهو الرزق العام لكافة الخلق برهم وفاجرهم والبهائم وغيرها، وهو إيصال القوت إلى كل مخلوق، وهذا يكون من الحلال والحرام(٢).

ورزق القلوب هو أشرف الرزقين، فَإِن ثَمَرَته حَيَاة الْأَبَد،أما الرزق العام فثمرته قوة الجسد، إِلَى مدة قريبَة الأمد، وَالله ﷻ هُوَ المتولي لخلق الرزقين والمتفضل بالإيصال إِلَى كلا الفريقين،وَلكنه يبسط الرزق لمن يَشَاء وَيقدر(٣).

وليس كثرة العطاء في الدنيا دليلاً على كرامة العبد عند الله، ولا قلته دليلًا على هوانه،إنما أحوال الناس من الغنى والفقر، والسعة والضيق، ليس إلا ابتلاء وتمحيصًا من الله تعالى لعباده، ليعلم الله الصابر والجازع منهم(٤).

وقد تبين ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:٣٠]، فقد بين الله تعالى ربط الرزق بمشيئته وإرادته، ليدرك الناس أن تضييق الرزق أحيانًا على بعضهم ليس لسوء حالهم عند الله، فقال:﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾، أي: إن ربك أيها الرسول هو الرزاق، القابض الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيغني من يشاء، ويفقر من يشاء، ذلك لما له في ذلك من الحكمة، لذا قال: إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا، أي: أنه تعالى عالم بأن مصلحة كل إنسان في أن لا يعطيه إلا ذلك القدر، فهو خبير بصير بمن يستحق الغنى ويستحق الفقر، فالتفاوت في أرزاق العباد، من أجل رعاية المصالح، وقد ذكر تعالى لفظ الرب ليبين أنه تعالى الذي يربي المربوب، ويقوم بإصلاح مهماته ودفع حاجاته على مقدار الصلاح والصواب، فيوسع الرزق على بعض الناس، ويضيقه على البعض الآخر(٥).

ومن مقاصد هذه الصفة وآثارها على العبد: بلوغ اليقين بأن الله ﷻ هو الرزاق الحقيقي، وما الكسب الذي يكسبه الإنسان إلا صورة من صور جلب الرزق المقدر بخلق الله وتكوينه ومشيئته،

---

(١) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف (ص:١٧٦ـ ١٧٧)
(٢) انظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ـ عبد العزيز السلمان (ص: ٤٤)، وشأن الدعاء ـ للخطابي (١/ ٥٤)
(٣) انظر:المقصد الأسنى ـ للغزالي (ص: ٨٥)
(٤) انظر: فقه الأسماء الحسنى ـ عبد الرزاق البدر ، (ص ـ ١٢٦)
(٥) انظر:التفسيرـ المنير للزحيلي (١٥/ ٦٠ ـ ٦١)

وهي حقيقة من حقائق الخلق والتكوين في الرزق، فإن من يتحقق ما يدل عليه اسم الله الرزاق ويتبصر فيه بإمعان؛ فلابد أن يصل إلى ظلال الرضى والتسليم لله، ويكون مطمئنًا على رزقه المكتوب له، وتترسخ عنده القناعة بما يؤتيه الله من دنياه، فلا يلجأ في طلب الرزق إلا لله ، ولا يسعى في جلبه إلا من طرق الحلال، لأنه يعلم بحق أن رزقه محتوم مكتوب(١).

وعلى العبد ألا ينشغل برزق الدنيا الفاني عن رزق الآخرة الباقي، فالعاقل لا يشغله رزق الدنيا وإن كَثُر عن الغاية التي خلق من أجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وعليه أن يجعل ما رزقه الله به سبيلاً لنيل رضى الله، وبلوغ جنات النعيم(٢).

وعلى العبد أن يرزق الآخرين مما رزقه الله تعالى، يأتيه الخلف من الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[سبأ:٣٩](٣).

سادسًا: صفة الهداية

يُوصف الله ﷻ بأنه (الهادي)، وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة، والهادي اسم له ﷻ.ودليلها من الكتاب: قوله: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦]، ومن السنة: أن رَسُولُ اللهِ ﷺ كان يُعَلِّمُ مَنْ أَسْلَمَ يَقُولُ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي»(٤)(٥).

ووردت هذه الصفة في سورة الإسراء مرة واحدة، في قوله: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧].

والهَادي: هو الذي مَنَّ بهداه على من أراد من عباده، فخصه بهدايته،وأكرمه بنور توحيده، كَقَوْلِهِ تعالى:﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[يونس:٢٥]، وهو الذي هدى سائر الخلق من

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها – الميداني – (ص : ٢١١ – ٢١٣) .
(٢) فقه الأسماء الحسنى – عبد الرزاق البدر – (ص : ١٢٧) .
(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى – القرطبي ، (ص : ٢٨٤) .
(٤) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ـ حديث رقم:(٢٦٩٧)، ص(٤/ ٢٠٧٣)
(٥) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف (ص: ٣٥٩ ـ ٣٦٠)

الحيوان إلى مصالحها، وألهمها كيف تطلب الرزق، وكيف تتقي المضار والمهالك، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿الذي أعْطَى كُل شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُم هَدَى﴾ [طه: ٥٠][١].

فهو الهادي الذي يهدي كل شيء إلى مصالحه، ويُرشد كل حي إلى منافعه، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وبلغت هدايته أنه تعالى هدى الطفل المولود إلى الالتقام من الثدي وامتصاص اللبن، ومن أعجب الهدايات هدايته تعالى لأولاد البهائم، التي لا تُحسن أمهاتها شيئًا من مقدمات المساعدة على تعليم الرضاعة، والهداية إلى موضع اللبن، فهي من أوائل هدايات الله ﷻ لمن لا هداية له، وهداياته تعالى لا يمكن حصرها، فهي مختلفة بأنواعها ومقاديرها[٢].

والهداية نوعان: هداية الدلالة المطلقة، والتي تكون لجميع الخلق المؤمن والكافر، فقد دَلَّ الله المؤمن والكافر على الطريق المستقيم، وبيَّنه لهم، وأرشدهم إليه، والأخرى: هداية التوفيق والمعونة للقيام بمطلوبات المنهج الذي آمنوا به، وهذه خاصّة بالمؤمن، فبعد أنْ دَلَّه الله آمن وصدَّق واعترف لله تعالى بالفضل والجميل، بأن أنزل له منهجًا ينظم حياته، فأتحفه الله تعالى بهداية التوفيق والمعونة[٣].

وقد تبين ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧)﴾، يخبر تعالى في هذه الآية أنه المنفرد بالهداية والإضلال، فمن يهده، ييسره لليسرى، ويجنبه العسرى، فهو المهتدي على الحقيقة، ومن يضلله، فيخذله، ويكله إلى نفسه، فلا هادي له من دون الله، وليس له ولي ينصره من عذاب الله، حين يحشرهم الله على وجوههم خزيًا عميًا وبكمًا، لا يبصرون ولا ينطقون[٤].

وقد أخطأ الكثيرون في فهم الهداية والإضلال، وأساءوا الفهم لكل منها، كما في قوله تعالى. فقالوا: كيف يضل الله العبد ثم يعذبه؟ وكيف يزين له سوء عمله ثم يعاقبه عليه؟ وقالوا: أين العدل والرحمة في ذلك؟ فجعلوا أنفسهم أعداءً لله بجهلهم؟ والجواب: أن الله تعالى له الخلق والأمر، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا يُسأل عما يفعل وهو العزيز الحكيم، فلو عرفوا أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء؛ للجؤوا إليه راغبين خائفين، يسألونه الهداية، ويستعيذون ويستجيرون به من

(١) انظر: شأن الدعاء ـ الخطابي (١/٩٥ـ ٩٦)
(٢) انظر: إيثار الحق على الخلق ـ ابن الوزير، (ص: ١٦٩)
(٣) تفسير الشعراوي ـ متولي الشعراوي (١٤/ ٨٧٥٤)
(٤) تيسير الكريم الرحمن ـ للسعدي(ص: ٤٦٧)

الضلال، فهو تعالى القادر على كل شيء[1]، ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يهدي من يشاء إلى دينه، ويُضل من يشاء عنه، ولا حجة ولا عذر له لدى الله تعالى، قال تعالى: ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[الأنعام:١٤٩][2].

ومن مقاصد صفة الهداية وآثارها، أن علم الإنسان بها يرشده إلى سؤال الله ﷻ هدايته الصراط المستقيم في كل يوم وليلة في الصلوات الخمس، وأن يسأله الوقاية من الضلال وزيغ القلوب، وهو أمر بيده سبحانه وحده، فهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، والتفكر في هذه الصفة العظيمة، والتأمل في دلالتها يكشف للعبد عن شدة افتقاره واضطراره إلى ربه ﷻ في كل الأحوال، وفي جميع شؤونه الدينية والدنيوية، فيتوجه إلى الله تعالى بأن يهديه إلى صالح أمره، وأن يحميه ويقيه من الانحراف والضلال[3]، قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾[آل عمران:٨]، وعلى العبد أن يكون راضيًا بأمر الله ونهيه، ساعيًا إلى مرضاته تعالى، فإذا جاءه الهدى من الله تعالى، تبعه مطمئن القلب، مسلمًا مستسلمًا[4].

وعلى العبد أن يأخذ بأسباب الهداية، ويكون راغبًا فيها، ويطلبها من الله تعالى، فالله ﷻ خير معين له عليها، وهذا من رحمته تعالى بعباده، وفضله عليهم، وعليه أن يبتعد عن أسباب الضلال ولا يرغب فيها ولا يطلبها، فمن عمل بأسباب الضلالة تمت له، ولم يجد من الله تعالى صارفًا عنها، وهذا من عدل الله ﷻ في عباده، وحسن تدبيره فيهم[5].

سابعًا: صفة الإرادة

وهي صفة ثابتة لله بالكتاب والسنة:ودليلها من الكتاب:قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلهُ يَجْعَل صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا**﴾[الأنعام:١٢٥]، ومن السنة: ما ورد في صحيح البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا، قَالَ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الأَجَلُ، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ"[6][7].

---

(١) انظر: عقيدة المؤمن – أبو بكر الجزائري – (ص : ٢٦٦) .

(٢) انظر:عقيدة السلف وأصحاب الحديث – أبو عثمان الصابوني – (ص:٦٨) .

(٣) انظر : فقه الأسماء الحسنى – عبد الرزاق البدر (ص : ١٤٠) .

(٤) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها – الميداني – (ص : ٢٣١) .

(٥) انظر: عقيدة المؤمن – أبو بكر الجزائري – (ص : ٢٦٧) .

(٦) صحيح البخاري ـ كتاب القدر ـ باب في القدر ـ حديث رقم:٦٥٩٥(٨/ ١٢٢)

(٧) انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف (ص: ٥٨)

وقد وردت صفة الإرادة في سورة الإسراء مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)﴾.

وصفة الإرادة صفة قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ بَاقِيَةٌ، وَهِيَ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، فهو تعالى مُوجِدٌ جميع الْمُمْكِنَات[١]، والله تعالى منفرد بالإرادة، فلا مشيئة ولا إرادة بعد مشيئته، والمراد بالإرادة هنا الإرادة الكونية القدرية[٢]،لأن الإرادة قسمان: "إرادة كونية قدرية كالمشيئة، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء كالمشيئة، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء، فالطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال كلها بمشيئة الرب وإرادته الكونية،والقسم الثاني من الإرادة: الإرادة الشرعية الدينية، وتتضمن محبة الرب للمراد ورضاه به، وهذه الإرادة لا يلزم وجود مرادها، بل قد يوجد وقد لا يوجد، فالله سبحانه قد أراد من عباده شرعًا أن يعبدوه ويطيعوه، فمنهم من عبده وأطاعه، ومنهم من لم يفعل ذلك"[٣].

الفرق بين الإرادتين

إن الإرادة الكونية القدرية عامة تشمل جميع الحوادث، وكل ما يقع في هذا الكون من خير وشر، وكفر، وإيمان، وطاعة، ومعصية، أما الإرادة الدينية الشرعية فتختص بما يحبه الله ويرضاه مما ورد في الكتاب والسنة، فتجتمع الإرادتان في حق المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية القدرية في حق العاصي[٤].

ومن مقاصد وآثار هذه الصفة: أن من يلاحظ أن الله يفعل ما يشاء ويختار، ويراقب ذلك في نفسه باستمرار، ويضع نصب عينيه وقلبه أن إرادة الله تعالى هي الغالبة، وأن كل مشيئة للعبد هي تابعة لمشيئة الله تعالى، يتحقق عنده الرضى والحب لما أراده الله تعالى له، من صحة أو مرض، ومن غنًى أو فقر، ومن رفع أو خفض، فهو يأخذ بالأسباب متوكلاً على الله، ثم يُريح نفسه بالرضى عن مراد الله تعالى، ويكون على يقين أنه لا قدرة له ولا لأحد له على تحقيق مراد لم يرده الله، أو دفع مراد أراده الله في هذا الكون، ومن استطاع الوصول إلى ذلك يتمكن من بلوغ السعادة العظمى في الدنيا والآخرة[٥].

---

(١) انظر :لوامع الأنوار البهية ـ للسفاريني (١/ ١٤٥)
(٢) انظر : مختصر معارج القبول ـ أبو عاصم هشام بن عبد القادر ، (ص: ٤٨)
(٣) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة ـ أبو عبد الله، آل سعدي (ص: ٤٦)
(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية ـ سعيد بن علي القحطاني، (ص :٢٠)
(٥) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها – للميداني(ص : ١٦٧) .

ثامنًا: صفة العطاء

هي صفة فعلية ثابتة لله بالكتاب والسنة، و(المعطي) من أسماء الله ﷻ، ودليلها من الكتاب: قوله تعالى:﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١]، ومن السنة:الحديث المشهور: وفيه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»(١)(٢).

وقد وردت صفة العطاء لله تعالى في سورة الإسراء مرتين في نفس الآية في قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:٢٠].

والمعطي: هو المتفرد بالعطاء على الحقيقة، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، عطاؤه سبحانه كلام، ومنعه كلام،إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، وكل ما بالعباد من نعمة فهي من مَنِّه وعطائه سبحانه، وهذا العطاء يسع العباد كلهم، ففي الدنيا يشمل المؤمن والكافر، والبر والفاجر، أما يوم القيامة فخص به المؤمنين من أوليائه، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١،٢٠](٣).

قال الخطابي:"فهو يملك المنع والعطاء، وليس منعه بخلاً منه، ولكن منعه حكمة، وعطاؤه جود ورحمة"(٤). فَإِذا أعْطى فتفضل وَإِصْلَاح،وَإِذا منع فحكمة وَصَلَاح، لَا مَانع لما أعْطى، وَلَا معطي لما منع(٥).

ومن مقاصد صفة العطاء وآثارها، أنها تحقق عند المرء التعلق بهبات الله وبره، وخيره وكرمه، وسعة عطائه، منصرفًا عن من سواه من ذوي الحاجات، فهؤلاء مهما سخت نفوسهم فإنهم بخلاء، ممسكون أمام كثير مما يدخل في حدود مطامعهم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء:١٠٠]، فالذي يؤمن بأن الله هو المعطي عليه أن يتخلق بشيء مما تدل عليه هذه الصفة قدر استطاعته، ووفقًا للحدود والمقاييس

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الأذان ـ باب الذكر بعد الصلاة، حديث رقم:٨٤٤، (١٦٨/١)
(٢)انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السَّقَّاف (٢٥١)
(٣) انظر: فقه الأسماء الحسنى ـ عبد الرزاق البدر ـ (ص٣٧١)
(٤) الجامع لأسماء الله الحسنى ـ إعداد حامد الطاهر (ص:٢٧٣)
(٥) تفسير أسماء الله الحسنى ـ للزجاج (ص: ٦٣)

البشرية، فيكون وهابًا كريمًا واسع العطاء[1]، ويحق لمن علم أن الله هو المعطي أن يقطع الطمع من قلبه، وأن يقف مع الله بقلبٍ راضٍ قانع، وإن منع الله عنه الرزق عليه أن يعلم أنه تعالى منعه عنه ليعطيه ما هو أشرف وأكرم من الغنى[2].

وينبغي للعبد بعد معرفته فضل الله عليه وجوده وعطاءه، وأن العطاء أحب إليه من المنع، ينبغي ألا يتعرض لغضبه ﷻ، بفعله لما يسخط الله، وارتكابه لما نهى عنه[3].قال الشيخ عبد الرحمن السعدي:"فإن الله جعل لرفعه وعطائه وإكرامه أسبابًا، ولضد ذلك أسبابًا، من قام بها ترتبت عليه مسبباتها، وكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل الشقاء، وهذا يُوجب للعبد القيام بتوحيد الله، والاعتماد على ربه في حصول ما يُحب، ويجتهد في فعل الأسباب النافعة، فإنها محل حكمة الله"[4].

تاسعًا: صفة الإحاطة

يوصف الله ﷻ بأنه محيط، قد أحاط بكل شيء، وهي صفةٌ ذاتيةٌ، و(المحيط) اسم من أسمائه تعالى ثابت بالكتاب، ويدل عليه قوله تعالى:﴿ **وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾[البقرة:١٩][5].

وقد وردت صفة الإحاطة في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)** ﴾.

أما من السنة فقوله ﷺ: «اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»[6]، "[فالْأَوَّلُ وَالْآخِرُ]: يدل على الإحاطة الزمانية، [وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ]: يدل على الإحاطة المكانية"[7].وقال أبو سليمان الخطابي: المحيط: "هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهوالذي ﴿ **قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾[الطلاق:١٢]"[8].

(١) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها – الميداني – (ص : ٢١٧) .
(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى – للقرطبي (ص : ٣٥٧) .
(٣) انظر: فقه الأسماء الحسنى ـ عبد الرزاق البدر (ص: ٣٢٦)
(٤) الحق الواضح المبين – للسعدي – (ص : ٩٠) .
(٥) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف ـ (ص: ٣١٢)
(٦) صحيح مسلم ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ـ ح رقم : ٢٧١٣ـ (٢٠٨٤/٤)
(٧) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ سعيد القحطاني (ص: ١٨)
(٨) شأن الدعاء ـ للخطابي (ص: ١٠٢)

والله تعالي قد أحاط بكل شي علمًا وقدرة ورحمة وقهرًا، وقد أحاط بجميع المعلومات وبصره تعالى بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسماوات، وقهر بعزته كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء(١)، وأما إحاطته سبحانه بالمخلوقات فهي إحاطةعلم، فلا يعزب عليه من خلقه مثقال ذرة، وإحاطة قدرة، فلا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء، وإحاطة قهر فلا يقدرون على الفرار منه تعالى(٢).

ومقاصد صفة الإحاطة هي نفس مقاصد صفة العلم.

عاشراً: القرآن كلام الله غير مخلوق :

لقد ذكر الله تعالى القرآن الكريم في سورة الإسراء مرات عديدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]

وعقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن أنه كلام الله تعالى، قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ. فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦] (الْمُدَّثِّرِ: ٢٦) – فَلَمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] (الْمُدَّثِّرِ: ٢٥) عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ" (٣)

(١) انظر: الجامع لأسماء الله الحسنى ـ (ص:٢٥٤)

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى ـ عبد الرزاق البدر ـ (ص١٩٢)

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبي العز الحنفي (١٧٢/١)

وقول الإمام الطحاوي: كلام الله منه بدا بلا كيفية فيه رد على المعتزلة وغيرهم، الذين زعموا أن القرآن لم يبد منه، وأن إضافته إليه تعالى هي إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله، وقولهم هذا هو ظاهر البطلان، وفيه تحريف للكلم عن مواضعه (١)

وأهل السنة والجماعة يثبتون أن الله تعالى يتكلم ويقول، ويتحدث وينادي، وأن كلامه بصوت وحرف، وأن القرآن كلامه منزل غير مخلوق، وهذا الكلام صفة ذاتية فعلية، مثبتة بالكتاب والسنة(٢).

ودليلها من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]

ومن السنة: ما رواه أبو هريرة ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى " (٣)

ومن مذهب أهل السنة والجماعة، أن الله عز وجل لم يزل متكلماً بكلام مسموع، مفهوم، مكتوب، وأن القرآن الكريم كلام الله تعالى بصوت وحرف (٤).

ويجب الجزم بأنه تعالى متكلم بكلام قديم ذاتي وجودي، غير مخلوق ولا محدث ولا حادث، لا يشبه كلام الخلق (٥)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به وأن كلامه غير مخلوق، وأنه مريد بإرادة قائمة به، وأن إرادته ليست مخلوقة، وأنكروا على الجهمية (٦) ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم الذين قالوا: إن كلام الله مخلوق خلقه في غيره وإنه كلّم موسى بكلام خلقه في الهواء، واتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود ومعنى قولهم: منه بدأ أي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت

(١) أنظر: شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبي العز الحنفي (١٧٤/١)
(٢) أنظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي السقاف (ص: ٢٩٦)
(٣) صحيح البخاري ـ كتاب القدر ـ باب تحاج آدم وموسى عند الله ـ ح رقم: ٦٦١٤ـ (١٢٦/٨)
(٤) أنظر: الاقتصاد في الاعتقاد ـ عبد الغني المقدسي (ص: ١٣٠)
(٥) أنظر: أنظر: لوامع الأنوار البهية ـ للسفاريني (١٣٣/١)
(٦) هي إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، قامت على البدع الكلامية والآراء المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وتأثرت بعقائد وآراء اليهود والمشركين والفلاسفة الضالين، وتنتسب هذه الفرقة إلى الجهم بن صفوان، ومن آرائهم الفاسدة: إنكار جميع أسماء الله تعالى وصفاته، وقولهم بأن القرآن مخلوق، ونفيهم لعذاب القبر، والصراط، ورؤية الله تعالى . أنظر: الملل والنحل ـ للشهرستاني (ص: ٨٦ـ ٨٨)

الجهمية من المعتزلة وغيرهم أنه بدأ من بعض المخلوقات وأنه سبحانه لم يقم به كلام، ولم يرد السلف أنه كلام فارق ذاته فإن الكلام وغيره من الصفات لا تفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل إلى غيره فكيف تكون صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره؟ "[١]

ومن مقاصد هذه الصفة وآثارها على العبد الإنقياد لكلام الله ﷻ وعدم مخالفته، وتطبيق الأحكام والأوامر الواردة فيه والإيمان بكل خبر تضمنه القرآن الكريم، وعلى المجتمعات الإسلامية أن تجعل من كلام الله عز وجل دستوراً لحياتها في كافة المناحي، وألا تقدم القوانين الوضعية على كلام الله تعالى حتى تكون خير الأمم والمجتمعات .

(١) شرح العقيدة الأصفهانية - لابن تيمية(ص: ٣٢)

المطلب الرابع
المقاصد والآثار العامة لتوحيد الأسماء والصفات

إن الباب الوحيد للإيمان بالله ﷻ والتعرف عليه المعرفة التي تقتضي العمل، هو معرفة الله بأسمائه وصفاته، وذلك أصل الإيمان، وقاعدته الأساسية التي ينبني عليها،قال العلامة ابن القيم – رحمه الله: "مَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ: أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ"(١). ومن أجل توضيح هذه الحقيقة، سيتم بيان المقاصد والآثار العامة للعلم بهذه الأسماء وهذه الصفات، ومن هذه الآثار(٢):

١- أن العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله تعالى: فإذا أراد العبد معرفة ربه وخالقه، وأن يزداد به علمًا فليس أمامه إلا التعرف عليه عبر النصوص، والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تبينها، ومنها قوله تعالى معرّفًا بنفسه:﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله: "والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذلك أسماء الله وصفاته أعظم قدرًا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن الكريم آية الكرسي المتضمنة لذلك"(٣).

ومن روائع ما ذكره ابن القيم –رحمه الله– في أهمية التعرف على الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله قوله: "لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا لذة ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها في ما يقربها إليه ويدنيها من مرضاته، ومن المحال أن تستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل؛ فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين وإليه داعين ولمن أجابهم مبشرين ومن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله"(٤).

---

(١) مدارج السالكين ـ لابن القيم (٣/ ١٨)

(٢) انظر: أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة – عمر سليمان الأشقر (ص: ١٦).

(٣) درء تعارض العقل والنقل – ابن تيمية ، (٥/٣١٠).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – لابن قيم الجوزية – (ص: ١٥).

ومن المقاصد والآثار [1]:

٢- أن العلم بالأسماء والصفات أحد ركني التوحيد: فالمعرفة بالأسماء والصفات أحد أركان التوحيد الثلاثة، والتوحيد يعتبر الأمر الأعظم الذي جاءت به الرسل، وهو دعوة الرسل بلا استثناء، الذين جاؤوا جميعًا لتقريره.

٣- تزكية النفوس، وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد.

٤- زيادة الإيمان: فالإيمان يزيد بالعمل والعلم، فكلما زاد علم العبد بالله وبأسمائه وصفاته وفقه معناها، وعمل بمقتضاها؛ فإن إيمانه يزداد زيادة عظيمة.

٥- عظم ثواب من أحصى أسماء الله: والمراد من الإحصاء حسب اللغة هو عدها حتى يستوفيها حفظًا، فإن حفظها يبارك النفس ويزكيها، ويملؤها بالأسماء الفاضلة الطيبة، بالإضافة إلى التفقه في معانيها.

٦- تعظيم الله وتمجيده، ودعاؤه بأسمائه وصفاته: فأسماء الله تعالى تدل على عظمته ﷻ، والأسماء والصفات هي التي تدل العباد على عظمة الباري وكماله، فهي أعظم سبيل يسلكه العباد، لتعظيم الخالق والتوجه إليه بالتقديس والدعاء.

ومنها[2]:

٧- أن هذا العلم أشرف العلوم وأفضلها، ففهمه والاشتغال به أشرف مقصود.

٨- أن معرفة الله بأسمائه وصفاته تدعو العبد إلى محبته تعالى وتعظيمه وخشيته وخوفه ورجائه، وبذلك يزيد إقباله على الخالق ﷻ.

٩- أن الله ﷻ يحب أسماءه وصفاته، ومن لوازمه أنه يحب ظهور هذه الآثار في خلقه، فهو جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، جواد يحب الأجواد، قوي يحب الأقوياء، والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات.

١٠- أن العلم بها أصل المعارف كلها، فإن العبد يستدل على حكم الله وعلى تشريعاته للأحكام من خلال أسمائه وصفاته، فهو تعالى لا يفعل إلا ما هو مقتضاها.

١١- أن معرفة الله بأسمائه وصفاته تجارة رابحة، فهي تجلب سكون النفس وطمأنينة القلب وانشراح الصدر ودخول الفردوس الأعلى.

---

(١) أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة: د.عمر سليمان الأشقر، (ص:١٩)، وما بعدها باختصار.

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى – عبد الرزاق البدر (٢٤-٢٧) باختصار.

١٢- أن العلم بأسمائه وصفاته هو الواقي للعبد من الزلل، والفاتح لباب العقول، والمعين على الصفى، والمرغب في الطاعات والقربات.

وخلاصة القول:إن السبيل إلى التقرب لله ﷻ،هو علم العبد بأسمائه تعالى وصفاته وحبه وعبادته تعالى بها،فحبه تعالى داخلٌ في عبادته لا ينفصل عنها، قال ابن القيم -رحمه الله:"فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبَّه لا محالة"[١].

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ـ ابن القيم (٣/ ١٨)

المبحث الرابع

مناهج القران في عرض قضايا العقيدة من خلال السورة .

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : المنهج العقلي.

المطلب الثاني : المنهج العاطفي.

المطلب الثالث : المنهج الحسي.

المبحث الرابع
مناهج القرآن في عرض قضايا العقيدة من خلال السورة

تتنوع المناهج الدعوية بجميع أنواعها من حيث ركائزها، وذلك تبع لتنوع ركائز الفطرة الإسلامية الثلاث وهي: القلب، والعقل، والحس، ولهذه المناهج تأثير بالغ في النفس البشرية، فهي تتعامل مع أساس المرتكزات لدى الإنسان، وهي: العقل، والحس، والعاطفة، التي يستطيع من خلالها أن يتعامل مع من حوله، وهذه المناهج ما كان منها مرتكزًا على العقل يطلق عليه المنهج العقلي، وما يرتكز منها على القلب يطلق عليه المنهج العاطفي، وما كان مرتكزًا على الحس يطلق عليه المنهج الحسي[١]، وقد استخدم القرآن الكريم هذه المناهج في عرضه لقضايا العقيدة في سورة الإسراء من أجل توضيح هذه القضايا، وهذا بيان المناهج بالتفصيل من خلال السورة.

(١) انظر :المدخل إلى علم الدعوة ـ أبو الفتح البيانوني ـ (ص:١٩٨)

المطلب الأول
المنهج العقلي

المنهج لغة

قال ابن فارس: "النُّونُ وَالْهَاءُ وَالْجِيمُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ: الْأَوَّلُ النَّهْجُ، الطَّرِيقُ. وَنَهَجَ لِي الْأَمْرَ: أَوْضَحَهُ. وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمِنْهَاجِ. وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ الْمَنَاهِجُ"(١).

وفي اللسان: النهج الطريق الواضح، وكذا المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق أي استبان، وصار نهجًا واضحًا بينًا، ونهجت الطريق إذا أبنته وأوضحته،قال تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾[المائدة:٤٨](٢).

واصطلاحًا: عرفه أبو الفتح البيانوني(٣) بأنه: "النظام والخطة المرسومة للشيء"(٤). ومناهج الدعوة في القرآن الكريم:"تلك الطرائق والأساليب والوسائل والأسس والغايات التي تنخرط في سلك الدعوة، وموضوعها مما فصله كتاب الله ﷻ أتم تفصيل، وبيَّنه أكمل بيان، بطريق التوجيه الرباني المباشر، أو حكاية أخبار الرسل ومواقفهم مع أممهم"(٥).

العقل لغة

"عَقَلَ يَعْقِل عَقْلاً ومَعْقولاً وعَقَّلَ، فهو عاقِلٌ من عُقَلاءَ وعُقَّالٍ،وعقل الدَّواءُ بَطْنَه يَعْقِلُه ويَعْقُلُه: أمسَكَه، وعقل الشيءَ: فَهِمَه، فهو عَقولٌ،وعقل البعيرَ: شَدَّ وَظِيفَه إلى ذِراعِه"(٦)."والعَقْل: نقيض الجَهْل. عَقَل يَعْقِل عَقْلاً فهو عاقل. والمَعْقُولُ: ما تَعْقِلُه في فؤادك"(٧).وَسُمي العقل عقلاً؛ لِأَنَّهُ يعقل صَاحبه ويحبسه عَن التورط فِي المهالك(٨).

---

(١) مقاييس اللغة ـ ابن فارس (٥/ ٣٦١)

(٢) انظر: لسان العرب ـ ابن منظور ـ (٣٨٣/٢)

(٣) د.محمد أبو الفتح البيانوني بن أحمد الصياد، ولد في مدينة حلب شمال سورية سنة١٩٤٠م، تلقى العلم عن والده الشيخ أحمد منذ الصغر، حصل على عدد من الإجازات العلمية من بعض مشايخه،لا سيما من والده الذي أجازه بما عنده من إجازات، ومن شيخه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، حصل على شهادة الدكتوراة من كلية الشريعة، جامعة الأزهر عام ١٩٧١م، له العديد من الكتب من أهمها كتاب: "الإمام سفيان الثوري:حياته العلمية والعملية "، و"المدخل إلى علم الدعوة "،شارك في العديد من المؤتمرات. انظر: مجلة البحوث الإسلامية – العدد الثاني : من شوال الى ربيع الأول لسنة ١٣٩٥هـ (١٩٧/٢).

(٤) المدخل إلى علم الدعوة ـ أبو الفتح البيانوني (ص:٤٥)

(٥) الدعوة إلى الله تعالى ـ عبد الرب نواب الدين آل نواب ـ (ص:١٢٩ـ ١٣٠)

(٦) القاموس المحيط ـ الفيروز آبادي (ص: ١٠٣٤)

(٧) العين ـ أبو عبد الرحمن الفراهيدي (١/ ١٥٩)

(٨) انظر: تحرير ألفاظ التنبيه ـ للنووي، (ص: ١٩٨).

"العَقْلُ: العِلْمُ بِصفاتِ الأَشْياءِ، من حُسْنِها وقُبْحِها، وكَمَالِها ونُقْصانِها، أو العِلْمُ بخَيْرِ الخَيْرَيْنِ، وشَرِّ الشَّرَّيْنِ، أو مُطْلَقٌ لأُمورٍ، أو لقُوَّةٍ بها يكونُ التمييزُ بين القُبْحِ والحُسْنِ، ولِمعانٍ مُجْتَمِعةٍ في الذِّهْنِ، يكونُ بمُقَدِّماتٍ يَسْتَتِبُّ بها الأَغْراضُ والمصالِحُ، ولِهَيْئَةٍ مَحْمودةٍ للإِنْسانِ في حَرَكاتِهِ وكَلامِهِ"(١).

تعريف المنهج العقلي اصطلاحًا:عرفه الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني بتعريفين هما:

١-"هو النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل،ويدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار"(٢).

٢- "مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل، وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار"(٣).

وهذان التعريفان لا يوجد بينهما اختلاف، فالاثنان مؤداهما واحد. ويعتمد العقل في النتائج التي يتوصل إليها، أو يقوم بالحكم على الأشياء بما تنقله الحواس التي تقوم بإرسال إشاراتها إلى مركز القلب والعقل في الإنسان، لذلك نجد أن القرآن الكريم قد أشار للارتباط الوثيق بين الحواس والقلوب، قال تعالى: **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾**[الإسراء:٣٦](٤).

ولأهمية العقل نجده يحظى في رحاب الإسلام بمنزلة كريمة ومرتبة رفيعة عالية، هذا العقل الذي بسببه كرم الله الإنسان،وجعله خليفته في الأرض، وفضله على كثير من المخلوقات، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾** [الإسراء:٧٠](٥)، ولابد للإنسان أن يعرف أن قواعد الإسلام وأركان الإيمان يقومان على أسس من الإقناع العقلي والبراهين الساطعة والأدلة اليقينية الواضحة، التي يستطيع الإنسان أن يتوصل إليها بالنظر، والتأمل، والتفكر، بعيدًا عن التقليد الأعمى(٦).

وللمنهج العقلي أساليب متنوعة، ستذكر الباحثة أبرزها مع التمثيل لها من سورة الإسراء:

---

(١) القاموس المحيط (ص: ١٠٣٣)، وتاج العروس (٣٠/ ١٨)
(٢) المدخل إلى علم الدعوة ـ أبو الفتح البيانوني ـ (ص:٢١٤)
(٣) المصدر السابق:(ص:٢١٤)
(٤) انظر: أصول الدعوة وطرقها٢ـ مناهج جامعة المدينة العالميةـ جامعة المدينة العالمية ـ (ص:٢٠٤)
(٥) انظر: المصدر السابق، (ص:٢٠٥)
(٦) انظر: المصدر السابق نفسه (ص:٢٠٨)

أولاً: المحاكمات العقلية، والأقيسة من مثل قياس الأولى، وقياس الخَلْف (العكس)[1]، سواء كان ذلك في مجال الألوهية وإثبات الوحدانية لله ونفي الشريك والولد، أم في مجال النبوات وإثبات صدق النبي ﷺ، أو في مجال السمعيات كإثبات قضية البعث.

ومن أمثلة المحاكمات العقلية:

أ- ما جاء في قوله تعالى: ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا**﴾[الإسراء:٤٠]،فقد جاءت هذه الآية في معرض الإنكار على الكافرين في قولهم أن الملائكة بنات الله.

وجاء هذا الخطاب لهم على وجه التوبيخ والاستنكار، ذلك أنهم قالوا إن الملائكة بنات الله، فكيف يجعل لهم الأعلى ويخصهم به ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات[2]، فقد جاوزوا الحد في الوقاحة بأن جعلوا البنين لأنفسهم مع علمهم بعجزهم ونقصهم، وأعطوا الله البنات، مع علمهم بأنه الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له، والجلال الذي لا غاية له[3]. ومما عُرف به العرب في ذلك الوقت كراهيتهم الشديدة للبنات، إذ كانوا يئدونهن ولا يرضون بهن لأنفسهم[4].

ب ـ زعم المشركين بوجود أكثر من إله، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء:٤٢]،وينقض دعواهم الباطلة أمران:

الأول:أن آلهتهم التي يدعونها لا يمكنها أن تنصرهم، أو تدفع الضرر عنهم، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا**﴾ [الإسراء:٥٦].

يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية:"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه: ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضرّ ينزل بكم، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم، أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك، ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة ـ أبو الفتح البيانوني ـ (ص:٢١٤)
(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ـ لابن جزي الكلبي، (١/ ٤٤٧)
(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٤٧١/١٧)
(٤) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي ـ (٨٣/١٥)

خالقكم وخالقهم. وقيل: إن الذين أمر النبيّ ﷺ أن يقول لهم هذا القول، كانوا يعبدون الملائكة وعزيرًا والمسيح، وبعضهم كانوا يعبدون نفرًا من الجنّ"[١].

والثاني: أن دعوى الشرك هذه لا تليق بكمال الله تعالى وجلاله، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١].

ج ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء:٥٠، ٥١]، وقد جاءت الآية في معرض الرد على منكري البعث سواء في عصر الرسول ﷺ، أو في أي عصر بعده، وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل في المبحث الثاني من الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

أنواع القياس في السورة

أ. قياس الأولى

استخدم القرآن الكريم قياس الأولى، وهو" أن يكون المقيس مماثلاً للمقيس عليه أو أولى بالحكم منه" [٢]، وهذا النوع من القياس كان السلف يسلكونه اتباعًا للقرآن الكريم وطريقة الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم في الاستدلال على الرب وأفعاله تبارك وتعالى[٣]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"وَلِهَذَا كَانَتْ طَرِيقَةُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ الِاسْتِدْلَالَ عَلَى الرَّبِّ تَعَالَى بِذِكْرِ آيَاتِهِ. وَإِنْ اسْتَعْمَلُوا فِي ذَلِكَ الْقِيَاسَ اسْتَعْمَلُوا قِيَاسَ الْأَوْلَى؛ لَمْ يَسْتَعْمِلُوا قِيَاسَ شُمُولٍ تَسْتَوِي أَفْرَادُهُ وَلَا قِيَاسَ تَمْثِيلٍ مَحْضٍ، فَإِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى لَا مَثِيلَ لَهُ وَلَا يَجْتَمِعُ هُوَ وَغَيْرُهُ تَحْتَ كُلِّيٍّ تَسْتَوِي أَفْرَادُهُ؛ بَلْ مَا ثَبَتَ لِغَيْرِهِ مِنْ كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهِ فَثُبُوتُهُ لَهُ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى، وَمَا تَنَزَّهَ غَيْرُهُ عَنْهُ مِنْ النَّقَائِصِ فَتَنَزُّهُهُ عَنْهُ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى"[٤]، ومن أمثلته في السورة:

١ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:٩٩]. يقول ابن تيمية –رحمه الله– في

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (١٧/ ٤٧١)
(٢) مقالة بعنوان قياس الأولى وصور من تطبيقاته العقدية ـ موقع ملتقى أهل الحديث انظر http://www.ahlalhdeeth.com ـ ـ يوم الثلاثاء ـ ٢٠١٥/٥/١٩م
(٣) انظر :مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية (٩/ ١٤٥)
(٤) مجموع الفتاوى ـ لابن تيمية (٩/ ١٤١)

بيان الآية: فإنه "من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغ، وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك"[١].

٢ـ قوله تعالى:﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:٨]، فقد بينت الآية أن الله أوقع العذاب والعقاب على بني إسرائيل نتيجة عصيانهم وكفرهم بالله وانحرافهم عن منهج الله تعالى، مع أنهم أهل كتاب، فمن باب أولى أن يطال العذاب كفار مكة إن لم يؤمنوا، وهذا يستوجب منهم أخذ العبرة والعظة مما حدث مع بني إسرائيل.

ب ـ قياس الخَلْف:

وهو كما عرفه محمد أبو زهرة: "هو إثبات الأمر ببطلان نقيضه؛ وذلك لأنَّ النقيضين لا يجتمعان، ولا يخلو المحل من أحدهما، كالمقابلة بين العدم والوجود"[٢].

ومن أمثلته:

١- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٤٢]، وهو من قبيل فرض التمانع الذي يؤدي إلى الفساد، ولا فساد، فيبطل ما يؤدي إليه وهو تعدد الآلهة[٣]، وهذا احتجاج على الوحدانية، وفي معناه قولان:أحدهما أن المعنى لو كان مع الله آلهة لابتغوا سبيلاً إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته، فيكون هذا الإله من جملة عباد الله تعالى، والآخر: لابتغت الآلهة سبيلاً إلى إفساد ملكه ومعاندته في قدرته، ومعلوم أن ذلك لم يكن، فثبت أنه لا إله إلا هو[٤].

ثانيًا: ضرب الأمثال

ويشمل الأمثال بأنواعها المختلفة، سواء كانت صريحة،أو كامنة، أو أمثالاً سائرة[٥]، ومنها أيضًا الأمثال المرسلة.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ـ ابن تيمية (١/ ٣٢)

(٢) المعجزة الكبرى القرآن، لأبي زهرة (ص:٢٧١)

(٣) انظر:المصدر السابق ـ (ص:٢٧٢)

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ـ ابن جزي (١/ ٤٤٧)

(٥) انظر: المدخل إلى علم الدعوة ـ أبو الفتح البيانوني ـ (٢١٠)

تعريف المثل لغةً واصطلاحًا

المثل لغة: قال ابن فارس:"الْمِيمُ وَالثَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُنَاظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ. وَهَذَا مِثْلُ هَذَا، أَيْ نَظِيرُهُ، وَالْمِثْلُ وَالْمِثَالُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ. وَرُبَّمَا قَالُوا مَثِيلٌ كَشَبِيهٍ"(١).

واصطلاحًا: المثل هو تَشْبِيهُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ فِي حُكْمِهِ، وَتَقْرِيبُ الشئ الْمَعْقُولِ مِنَ الْمَحْسُوسِ، أَوْ أَحَدِ الْمَحْسُوسِينَ مِنَ الْآخَرِ وَاعْتِبَارُ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ(٢).

وللأمثال القرآنية وقع في النفس وتأثير عميق،يقول ابن القيم –رحمه الله:"فَإِنَّ النَّفْسَ تَأْنَسُ بِالنَّظَائِرِ وَالْأَشْبَاهِ الْأُنْسَ التَّامَّ، وَتَنْفِرُ مِنْ الْغُرْبَةِ وَالْوَحْدَةِ وَعَدَمِ النَّظِيرِ؛ فَفِي الْأَمْثَالِ مِنْ تَأْنِيسِ النَّفْسِ وَسُرْعَةِ قَبُولِهَا وَانْقِيَادِهَا لِمَا ضُرِبَ لَهَا مَثَلُهُ مِنْ الْحَقِّ أَمْرٌ لَا يَجْحَدُهُ أَحَدٌ، وَلَا يُنْكِرُهُ"(٣).

وقد ورد لفظ المثل في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا**﴾[الإسراء:٤٨]،ومن هذه الأمثال في السورة:

أ- الأمثال الكامنة(٤)

وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل بشكل واضح، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز: يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها(٥): ما في معنى قولهم: "خير الأمور الوسط":

١- قوله تعالى في الصلاة: ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء:١١٠].

٢- قوله تعالى في الإنفاق: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾[الإسراء:٢٩].

---

(١) مقاييس اللغة ـ ابن فارس (٥/ ٢٩٦)

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ الأمين الشنقيطي (٤/ ١٩٠)

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية ـ (١٨٣/١)

(٤) انظر: مباحث في علوم القرآن ـ مناع بن خليل القطان، (ص: ٢٩٥) ونفحات من علوم القرآن ـ محمد أحمد محمد،(ص:١١١)

(٥) انظر: مباحث في علوم القرآن ـ لمناع القطان (ص: ٢٩٥) والإتقان في علوم القرآن ـ للسيوطي (٤/ ٤٨)

ب- الأمثال المرسلة في القرآن

"وهي جمل أرسلت إرسالًا من غير تصريح بلفظ التشبيه. فهي آيات جارية مجرى الأمثال"(١)، وهذا النوع لا يحتوي على كلمة مثل، ولا يُضاهي مثلاً من أمثلة العرب التي كانت معروفة وقت نزول القرآن، وإنما اكتسبت صفة المثل لما فيها من حكمة بليغة، ترتكز على مبدأ خلقي أو عقيدة(٢).

ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[الإسراء:٨٤](٣).وهو مثل مرسل،فيه استعارة تصريحية، حُذف منها المشبه وهو (الذي يعمل سوءًا أو خيرًا)، وأبقى المشبه به وهو(كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ)، وأصل هذه الاستعارة تشبيه حذف منه الأداة ووجه الشبه والمشبه، وهو أدعى لإعمال العقل، فهو من قبيل الاستعارة التمثيلية.

٢- قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء:١٣]. استعير الطائر لعمل الإنسان في قوله تعالى: (طائره في عنقه)، لأن العرب الذين كانوا يتفاءلون ويتشاءمون بالطير، سموا نفس الخير والشر بالطائر بطريق الاستعارة(٤).

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٣٧]. إن إِظْهَارَ اسْمِ (الْأَرْضِ) فِي قَوْلِهِ تعالى: (لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ) بِدُونَ إِضْمَارٍ، فيَكُونُ هَذَا الْكَلَامُ مُسْتَقِلًّا عَنْ غَيْرِهِ، جَارِيًا مجْرى الْمثل(٥).

٤- قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء:٦٤]. في قوله تعالى: (أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ) استعارة تمثيلية،حيث شبّه حال الشيطان في تسلّطه على الغاوين والكافرين بالفارس الذي يصيح بجنده للهجوم على الأعداء، للغلبة عليهم(٦).

---

(١) مباحث في علوم القرآن ـ لمناع القطان (ص: ٢٩٦)
(٢) انظر: إعجاز القرآن ـ عبد القادر حسين (ص: ٢٩)
(٣) أنظر: مباحث في علوم القرآن ـ لمناع القطان (ص: ٢٩٦)، وأنظر: والإتقان في علوم القرآن ـ للسيوطي (٥٠/٤)
(٤) انظر: التفسير المنير- للزحيلي (١٥/ ٣١)
(٥) انظر:التحرير والتنوير- ابن عاشور (١٥/ ١٠٤)
(٦) انظر:التفسير المنير- للزحيلي (١٥/ ١١٤)

ثالثًا: الجدل والمناظرة[1]، وجدل القرآن هو: أساليب المناظرة الّتي جاء بها لإظهار الحقّ وبيانه، ومن أجل إقامة الحجّة على المخالفين،وقد تضمّن القرآن جميع ما يستعمل في المناظرات والحوار من البراهين والأدلّة العقليّة، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣][2].

وقد ذكر الْعُلَمَاءُ بيان ما اشْتَمَلَ عليه الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ من أَنْوَاعِ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ، والتي تعتبر من أنواع الجدل القرآني[3].

ومما ورد منها في سورة الإسراء:

١- قياس الخلف. نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢]، وورد توضيحه عند ذكر أنواع القياس[4].

٢- الاستفهام الانكاري.ومن أمثلته:

أ- قوله تعالى:﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء:٤٠]، فقد جاءت هذه الآية في معرض الاستنكار على الكافرين في قولهم:إن الملائكة بنات الله.

ب- وقوله تعالى:﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء:٩٤]. وكان السبب الذي منعهم من الإيمان قولهم منكرين:﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾، فلم يبق لهم شبهة تمنعهم من الإيمان بالرسول ﷺ والقرآن، إلا إنكارهم أن يرسل الله بشرًا، ولم يبعث ملكًا[5].

ج- وقوله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء:٩٩]. وهو استفهام إنكار وتوبيخ للمشركين،على ما كانوا يستبعدونه من أمر المعاد للأجساد بعد الفناء والموت[6].

---

(١) انظر:المدخل إلى علم الدعوة ـ أبو الفتح البيانوني ـ (ص:٢١١)
(٢) انظر:المقدمات الأساسية في علوم القرآن ـ للجديع العنزي، (ص: ٣٩٧)
(٣) انظر:الإتقان في علوم القرآن ـ للسيوطي (٤/ ٦٠)
(٤) أنظر : (ص: ٩٨) في البحث
(٥) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ١٦٩)
(٦) انظر: المصدر السابق (١٥/ ١٧٠)

٣- إلزام المخاطب بما تقتضيه العقول. نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٤٢-٤٣][١]، واقتضاء العقول هو أنه لا إله إلا الله، قال الإمام سيد قطب -رحمه الله:"و"لو" كما يقول النحاة حرف امتناع لامتناع، فالقضية كلها ممتنعة، وليس هنالك آلهة مع الله كما يقولون والآلهة التي يدعونها إن هي إلا خلق من خلق الله، سواء كانت نجمًا أم كوكبًا، إنسانًا أم حيوانًا، نباتًا أم جمادًا، وهذه كلها تتجه إلى الخالق حسب ناموس الفطرة الكونية، وتخضع للإرادة التي تحكمها وتصرفها، وتجد طريقها إلى الله عن طريق خضوعها لناموسه وتلبيتها لإرادته"[٢].

٤- التّحدّي. ومن أمثلته:

أ- قوله تعالى في إثبات عقيدة التّوحيد: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلًا﴾[الإسراء:٥٦][٣]، فلا كاشف للضر إلا الله، ولا كاشف للكربات إلا هو سبحانه وتعالى.

ب- قوله تعالى في إثبات عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن:﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، والآية دليل على صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم[٤].

٥- المجاراة. ومعناها مجاراة الخصم لتبيين عثرته وخطئه في اعتقاده، وذلك بأن يسلم الخصم في بعض مقدماته، مع الإشارة إلى أنها لا تنتج ما يريده هو، بل تساعد على إنتاج ما تريده أنت[٥]، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء:٤٠]، فالآية اشتملت على مجاراتهم في بعض ما قدموه من نسبة الولد له تعالى، وذلك من أجل بيان عثرتهم وخطأ معتقدهم. قال سيد قطب -رحمه الله- في الرد على زعمهم أن الملائكة بنات الله -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا-: "فإذا كان الله هو واهب البنين والبنات، فهل أصفاهم بالبنين المفضلين واتخذ لنفسه الإناث المفضولات؟!

(١) المقدمات الأساسية في علوم القرآن ـ العنزي (ص: ٣٩٨)
(٢) في ظلال القرآن ـ سيد قطب (٤/ ٢٢٣٠)
(٣) انظر:المقدمات الأساسية في علوم القرآن ـ العنزي (ص: ٤٠٠)
(٤) انظر:استخراج الجدال من القرآن الكريم ـ ناصح الدين الأنصاري (ص:١٧)
(٥) انظر: مناهج الجدل ـ زاهر بن عواض الألمعي ،(ص:٧٧)

وهذا كله على سبيل مجاراتهم في ادعاءاتهم لبيان ما فيها من تفكك وتهافت. وإلا فالقضية كلها مستنكرة من الأساس"(١)، وقد عُرف عن المشركين كراهيتهم للبنات، وقتلهم لهن.

رابعًا: الحوار

الحوار لغة: "(تحاوروا): تراجعوا الْكَلَام بَينهم، وتجادلوا، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز:﴿ **وَاللهُ يسمع تحاوركما**﴾ [المجادلة:١]، والحوار حَدِيث يجْرِي بَين شَخْصَيْنِ أَو أَكثر"(٢).

وأما اصطلاحًا: "فهو أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب والمداخلة الواعية، مع اشتراط وحدة الموضوع"(٣).

وقد أشار القرطبي إلى أهمية الحوار باعتباره وسيلة للتفريق بين الحق والباطل عن طريق استخدام الحجج والبراهين، وإفحام الخصم، فقال في تفسير الآيات التي تتحدث عن المحاجّة والمجادلة: "ذَلِكَ مِنَ الْآيِ، فَهُوَ كُلُّهُ تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ السُّؤَالَ وَالْجَوَابَ وَالْمُجَادَلَةَ فِي الدِّينِ، لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا بِظُهُورِ حُجَّةِ الْحَقِّ وَدَحْضِ حُجَّةِ الْبَاطِلِ"(٤).

ومن أمثلته:

١- حوار بين المولى ﷻ وإبليس.كما في قوله: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا* قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾[الإسراء:٦١-٦٥]، وفيه بيان مصير العباد الذين يتبعون الشيطان، وبيان أن الشيطان ليس له سلطة على عباد الله المؤمنين.

٢- حوار بين النبي موسى ﵇ وفرعون. كما في قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا * فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا**

---

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب (٤/ ٢٢٣٠)

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٢٠٥)

(٣) تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام ـ محمد حسن محمد سبتان (ص:٢١)

(٤) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي (٣/ ٢٨٦)

﴿الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[الإسراء:١٠١-١٠٤]، وهذا المشهد الحواري يختمه الله تعالى ببيان نصر موسى عليه السلام والمؤمنين معه من بني إسرائيل، وفيه ترشيح لنصر النبي ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم،فانتصار الحق على الباطل سنة كونية لابد منها.

خامسًا: الإقناع

ركزت السورة على أسلوب الإقناع، وذلك بتجاوز منهج الخوارق في الإقناع، وصرف النظر عنه، والتركيز على القرآن من أجل إقناع المشركين، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩].

قال الإمام الطبري في تفسير الآية:"يقول تعالى ذكره: وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألها قومك، إلا أن كان من قبلهم من الأمم المكذّبة، سألوا ذلك مثل سؤالهم؛ فلما آتاهم مأ سألوا منه كذّبوا رسلهم، فلم يصدّقوا مع مجيء الآيات، فعوجلوا فلم نرسل إلى قومك بالآيات، لأنَّا لو أرسلنا بها إليها، فكذّبوا بها، سلكنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها"(١)، ولقد برز الإقناع بالقرآن في السورة في قوله تعالى:﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩].

إن هذه الهداية المذكورة في الآية تتحقق عن طريق هداية الخلق إلى الحق وتعريفهم به، وإرشادهم إليه، ولاشك أن أولى الأشياء بهذا البيان دلائل الإيمان وأصول الاعتقاد(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى:"والرسول صلوات الله عليه وسلامه قد أُرسل بالبينات والهدى؛ بيَّن الأحكام الخبرية والطلبية، وأدلتها الدالة عليها؛ بيَّن المسائل والوسائل؛ بيَّن الدين؛ ما يقال، وما يعمل؛ وبيَّن أصوله التي بها يعلم أنه دين حق، وهذا المعنى قد ذكره الله تعالى في غير موضع، وبيَّن أنّه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله"(٣).

ومن آيات الإقناع بالقرآن أيضًا:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾[الإسراء:٤١]، فقد بين الله تعالى لهم في هذا القرآن العبر والآيات والحجج، وضرب لهم

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٤٧٦/١٧)
(٢) انظر: الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد ـ للعريفي ، (ص:٥٩)
(٣) النبوات ـ لابن تيمية، (٢/ ٦٥٠)

الأمثال وحذرهم وأنذرهم ليتذكروا تلك الحجج والأمثال، فيعقلوا خطأ ما هم عليه، ويأخذوا العبرة والعظة من هذه الأمثال[١].

وقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء:٨٩]،فالله تعالى بين للناس في القرآن من كل مثل، احتجاجًا عليهم، وتذكيرًا لهم بالحق من أجل أن يتبعوه، ويعملوا به[٢].

وقوله تعالى:﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء:١٠٥]، يقول الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير هذه الآية: يقول الله تعالى:"إننا أنزلنا القرآن متضمنًا للحق من تبيان براهين الوحدانية والوجود، وحاجة الناس إلى الرسل، والأمر بالعدل ومكارم الأخلاق، والنهي عن الظلم وقبائح الأفعال والأقوال، والأحكام التشريعية والأوامر والنواهي المنظمة لحياة الفرد والجماعة والدولة، وغير ذلك من أصول التشريع الرفيع"[٣].

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٤٥٣/١٧)
(٢) انظر: المصدر السابق (٥٤٨/١٧)
(٣) التفسير المنير- للزحيلي (١٥/ ١٨٤)

المطلب الثاني
المنهج العاطفي

تعريف العاطفة لغةً

تدور مادة (عطف) على الانصراف، والصلة والبر، والرحمة، والشفقة، والميل، والمحبة، والحنان، واللين، قال ابن منظور: "عطف يعطف عطفًا: انصرف، وتعطف عليه: وصله وبره. وتعطف على رحمه: رقَّ لها، والعاطفة: الرحم، صفة غالبة ورجل عاطفٌ،وعطوف: عائدُ بفضله حسن الخلق[1].

تعريف العاطفة اصطلاحً

للعاطفة تعريفات عدة، منها:"استعداد نَفسِي ينْزع بِصَاحِبِهِ إِلَى الشُّعُور بانفعالات مُعينَة وَالْقِيَام بسلوك خَاص حِيَال فكرة أَو شَيْء"[2].

المنهج العاطفي

عرفه د. محمد أبو الفتح البيانوني بأنه "النظام الدعوي الذي ركز على القلب، ويحرك الشعور والوجدان" [3].

أساليب المنهج العاطفي

من هذه الأساليب الموعظة الحسنة، ولها أشكال متعددة، منها:التذكير بنعم الله تعالى على عباده، وأساليب المدح والذم، والترغيب والترهيب، والوعد بالنصر والتمكين، وذكر القصص العاطفية المؤثرة. ومن أساليبه كذلك إظهار الرأفة والرحمة بالمدعويين[4].

وستعرض الباحثة ما يمثل هذه الأساليب من آيات سورة الإسراء:

---

(١) انظر: لسان العرب ـ ابن منظور (٩/ ٢٥٠)
(٢) المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية (٢/ ٦٠٨)
(٣) المدخل إلى علم الدعوة ـ أبو الفتح البيانوني (ص:٢٠٤)
(٤) انظر: أصول الدعوة وطرقها، مناهج جامعة المدينة العالمية (ص:٢٠٤ـ ٢٠٥)

١. **التذكير بنعم الله تعالى على عباده،** فالسورة اشتملت على نعم متعددة، منها نعم على سيدنا محمد ﷺ، ونعم خاصة ببني إسرائيل، ونعم عامة لجميع البشر، وقد تم ذكرها بالتفصيل مع الآيات التي تمثلها، للتدليل على توحيد الربوبية في المبحث الأول من الفصل الأول[١].

٢. **المدح والذم:**والمدح يكون بذكر الخصائص والمزايا، كقوله تعالى في مدحه سيدنا نوحًا عليه السلام:﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣]، وفيها تأثر العاطفة بهذا السلوك، فالأنبياء –عليهم السلام– قدوة للناس، وقوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[الإسراء:١٠٧].

أما الذم فيكون بذكر المعايب والأخطاء، كقوله تعالى في حق بني إسرائيل: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤]،فبينت الآية أن بني إسرائيل سيفسدون فسادًا كبيرًا في الأرض.

٣. **الترغيب والترهيب**

أ. **آيات الترغيب:**في مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩]، وقوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[الإسراء:١٩]، وقوله تعالى:﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١]، وقوله تعالى:﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٥].

ب. **آيات الترهيب:** في مثل قوله تعالى:﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء:١٠]، وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠]، وقوله تعالى:﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ

(١) انظر: المبحث الأول من الفصل الأول (ص:٢٣) وما بعدها

الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء:٦٨، ٦٩]، وهو ترهيب من عواقب الشرك في الدنيا.

وهناك آيات فيها الترهيب عن طريق التذكير بما حصل للمعاندين الصادين للدعوة، كقوله تعالى:﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:١٦، ١٧]، وقوله تعالى:﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨]، وقوله تعالى:﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾[الإسراء:١٠٣].

ومن الآيات ما هو ترهيب للنبي ﷺ إذا وقع منه تفريط، كما في قوله تعالى:﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

ومن الآيات ما يجمع بين الترغيب والترهيب،كقوله تعالى:﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء:١٣، ١٤]، وفيها بيان العدل في الحساب، فهي تجمع بين الترغيب والترهيب.

٤- **الوعد بالنصر والتمكين:** كما في قوله تعالى:﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء:٥]، وقوله تعالى:﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء:٧]. وترى الباحثة أن هذه الآيات تبث الأمل في النفوس، وتزيد إيمان المسلم، وتدفع عنه اليأس والقنوط، وتزيد من ثقته بالله ﷻ.

٥- **القصص المؤثرة:** تعرضت السورة لمقاطع من قصص الأنبياء، ليتسنى للمرء أخذ العبر والعظات منها، من مثل:

أ- قصة الإسراء والمعراج، وما رأى النبي ﷺ من الآيات بعدما أصابه الأذى من قبيلته والقبائل الأخرى التى دعاها للإسلام، فقد كانت هذه الرحلة المباركة تسلية للنبي ﷺ، ومكرمة له، قال تعالى:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء:١].

ب- قصة موسى عليه السلام مع فرعون،وما لاقاه عليه السلام من العناد وصد الدعوة،كما في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا، قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء:١٠١-١٠٣].

ج- أشارت السورة أيضًا إلى قصة نوح ونجاته هو والمؤمنين معه، مع تذكير بني إسرائيل أنهم من هذه الذرية التي نجاها الله تعالى،كما في قوله تعالى:﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء:٣].

د- الإشارة إلى ثمود والناقة التي عقروها، قال تعالى:﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء:٥٩]،ذلك أن ثمود طلبوا من رسولهم صالح عليه السلام أن يخرج لهم ناقة من الصخر، لتكون دليلاً على صدق نبوته ورسالته، فأخرجها الله تعالى لهم، ولكن لم يؤمن منهم إلا القليل[(١)].

هـ- أشارت السورة إلى أطراف من قصة سيدنا آدم عليه السلام،كما في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء:٦١]، وفيها بيان محنة آدم عليه السلام من إبليس وعدم التزامه بالسجود له، وكان أساس هذه المحنة الكبر والحسد، وقد ذُكرت مواساة للنبي ﷺ، الذي عانى من قومه الكفر وصد الدعوة بسبب الكبر والحسد، وهي كمحنة آدم مع إبليس[(٢)]، وتبعها الحوار الذي دار بين رب العزة تبارك وتعالى وبين إبليس لعنه الله، وقد تقدم ذكره في نماذج الحوار ضمن المنهج العقلي، ولابد من الإشارة إلى أن جميع هذه القصص تبين انتصار الحق على الباطل، وبيان عاقبة المفسدين.

ومن فوائد القصص القرآنية أنها تثير الإنسان، وتؤثر فيه،وتشد انتباهه من أجل أن يعيش مع أحداثها، ويعتبر بالماضي، كما أنها تمنحه القوة والصبر على الأذى، وتزيده يقينًا بأن انتصار الحق على الباطل سنة كونية لابد منها.

---

(١) انظر: توحيد الخالق ـ عبد المجيد الزنداني ـ (٦٨/١)

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي (٣٦٥/٢١)

٦ـ الرأفة والرحمة بالمدعويين.ومن أمثلة ذلك:

أ- قول الله تعالى:﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾[الإسراء:٨]، فالله تعالى رحيم بعباده إن التزموا بشرعه، والتزموا بأمره ونهيه.

ب- قوله تعالى:﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[الإسراء:٥٣]، وفيها بيان ضرورة مخاطبة الكفار بالتي هي أحسن.

المطلب الثالث

المنهج الحسيّ

تعريف الحس لغةً

قال ابن منظور:"والحِسُّ، بِكَسْرِ الْحَاءِ: مِنْ أَحْسَسْتُ بِالشَّيْءِ، حسَّ بِالشَّيْءِ يَحُسُّ حَسًّا وحِسًّا وحَسِيسًا وأَحَسَّ بِهِ وأَحَسَّه: شَعَرَ بِهِ"[١].

"وَأَصْلُ الْإِحْسَاسِ الْإِبْصَارُ،وَمِنْهُ:﴿**هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ**﴾ [مريم:٩٨]، أَيْ: هَلْ تَرَى، ثُمَّ اُسْتُعْمِلَ فِي الْوِجْدَانِ وَالْعِلْمِ بِأَيِّ حَاسَّةٍ كَانَتْ، وَحَوَاسُّ الْإِنْسَانِ مَشَاعِرُهُ الْخَمْسُ: السَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، وَالشَّمُّ، وَالذَّوْقُ، وَاللَّمْسُ"[٢].

"والحاسّة: القوة التي بها تدرك الأعراض الحسيّة، والحواسّ: المشاعر الخمس"[٣].

تعريف الحسّ اصطلاحًا: "هو القوة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة، بواسطة الحواس الخمسة الظاهرة"[٤].

المنهج الحسي

عرفه د. محمد أبو الفتح البيانوني بأنه[٥]:

١– "النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس، ويعتمد على المشاهدات والتجارب".

أساليب المنهج الحسيّ

للمنهج الحسي أساليب متعددة، منها: لفت الحس للتعرف على المحسوسات من أجل الوصول الى القناعات، ومنها أسلوب التعليم التطبيقي، بالإضافة الى القدوة العملية في تعليم الأخلاق والسلوك، ومنها تأييد الأنبياء والرسل عليهم السلام للمعجزات الحسية والخوارق[٦]. وستورد الباحثة ما يمثل هذه الأساليب من السورة الكريمة.

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور (٤٩/٦) .
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ـ أحمد الفيومي ،(١٣٦/١).
(٣) المفردات في غريب القرآن ـ للراغب الأصفهانى، (ص:٢٣١) .
(٤) انظر:كتاب التعريفات ـ للجرجاني ،(ص: ٨٦) .
(٥) المدخل إلى علم الدعوة ـ أبو الفتح البيانوني (ص:٢١٤) .
(٦) انظر: المصدر السابق، (ص:٢١٤ـ ٢١٦)

١- لفت الحس للتعرف على المحسوسات من أجل الوصول الى القناعات:

أ- دليل الخلق والمُلك. كقوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾[الإسراء:١٢].

ب- دليل تخليص العباد من النوائب. كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا * أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء:٦٧-٦٩].

ج- دليل بيان أن الرزق من الله تعالى: كقوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[الإسراء:٣٠]، والنهي عن قتل الأولاد مخافة الفقر، كقوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٣١].

د- دليل نفي الولد عن الله تعالى:﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١].

هـ- بينت السورة الأدلة الحسية على البعث والنشور. من مثل قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[الإسراء:٤٩-٥١]، وقوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء:٩٩].

٢- أسلوب التعليم التطبيقي

أ- تعليم الله تعالى نبيهﷺ مواقيت الصلاة، والتوجه إليه تعالى بالدعاء، فالرسول ﷺ يتعلمها ويعلمها أيضًا أمته. قال تعالى:﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٨-٨٠].

ب- إرشادنا ونبينا إلى كيفية الدعاء والقراءة، وبأيٍّ من أسمائه تعالى الحسنى ندعوه، بالإضافة إلى تعليمنا كيفية الحمد، قال تعالى:﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١٠،١١١].

٣- القدوة العملية في تعليم الاخلاق والسلوك

أ- الأمر بمخاطبة الكفار باللين وبالتي هي أحسن،كما في قوله تعالى:﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣].فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يبلّغ عباد الله المؤمنين أن يحاوروا المشركين ويخاطبوهم بالكلمة الطيّبة، والأسلوب الحسن، وألا تكون دعوتهم وبيان الحجةلهم مخلوطة بالشّتم والسّب والأذى(١).

ب- تعليم الأمة مجموعة من قواعد الأخلاق والسلوك، وقد استغرقت مجموعة الآيات من [٢٣-٣٨]، من قوله تعالى:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣] إلى قوله تعالى:﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:٣٨]. وهذه الأوامر والتكاليف التي تمثل قواعد الأخلاق والسلوك هي: برّ الوالدين، وإيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل، في غير إسراف ولا تبذير، وتحريم قتل الذرية، وتحريم الزنا، وتحريم القتل، ورعاية مال اليتيم، والوفاء بالعهد، وتوفية الكيل والميزان، والتثبت من الحق، والنهي عن الخيلاء والكبر. وكانت بداية هذه الأوامر الأمر بالتوحيد ونهايتها التحذير من الشرك، وهو أساس يعمل على ضمان السيادة وحمل منارة المدنية الطاهرة للمجتمع(٢).

٤- تأييد الأنبياء والرسل عليهم السلام بالمعجزات الحسية والخوارق

أ- معجزة الإسراء والمعراج لنبينا ﷺ. كما في قوله تعالى:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

---

(١) انظر: التفسير المنير- للزحيلي (١٥/ ٩٩)

(٢) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب (٤/ ٢٢٢٠)

ب- معجزة الطوفان لسيدنا نوح عليه السلام:﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣].

ج- معجزة سيدنا صالح عليه السلام:﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩].

د- معجزات سيدنا موسى عليه السلام:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء:١٠١]،والآيات التسع هي كما ذكر ابن عباس: «العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدم آيات مفصلات»[1].

مما سبق يتبين مدى اهتمام القرآن الكريم بإبراز قضايا العقيدة من مثل الإلهيات والنبوات والسمعيات من خلال المناهج الدعوية (العقلي والعاطفي والحسي)، والتي لها دور بارز في توضيح هذه القضايا.

(١) التفسير المنير- للزحيلي (١٥/ ١٨١)

الفصل الثاني

النبوات في سورة الإسراء

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الأنبياء و الرسل في سورة الإسراء و مهامهم .

المبحث الثاني : معجزة الإسراء و المعراج .

المبحث الثالث : إعجاز القران الكريم من خلال سورة الإسراء.

المبحث الأول

الأنبياء و الرسل في سورة الإسراء ومهامهم

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول : الأنبياء والرسل المذكورون في سورة الإسراء .

المطلب الثاني : مهام الأنبياء والرسل في سورة الإسراء .

المطلب الثالث: التفاضل بين الأنبياء في سورة الإسراء.

المطلب الرابع : مسائل متعلقة بالنبوات في السورة.

.

المطلب الأول

الأنبياء والرسل المذكورون في سورة الإسراء

أولاً: تعريف النبي والرسول لغةً واصطلاحًا

النبي والرسول لغةً

النبي: من (النَّبَأُ):وهو الْخَبَرُ، يُقَالُ: (نَبَأَ) وَ(نَبَّأَ) وَ(أَنْبَأَ)، أَيْ: أَخْبَرَ، وَمِنْهُ (النَّبِيُّ)، فهو منبئ عَنِ اللَّهِ، أي: مخبر عنه تعالى(١).وهو مأخوذ مِنَ النَّبْوةِ والنَّباوةِ، وَهِيَ الِارْتِفَاعُ عَنِ الأَرض، أَي: إِنه أَشْرَف عَلَى سَائِرِ الخَلْق(٢). وبالنظر في المعنى اللغوي نجد أن هناك تناسبًا بينه وبين لفظ النبي، فالأنبياء ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، وهم أشرف الخلق، والأعلام التي يهتدي بها الناس، فينصلح حالهم في الدنيا والآخرة(٣).

أما الرسول لغة:"فهو الَّذِي يُتابِع أَخبار الَّذِي بَعَثَه، أَخذًا مِنْ قَوْلِهِمْ: جَاءَتِ الإبل رَسَلًا، أَي: مُتَتَابِعَةً"(٤).

وعلى ذلك فالرُّسل سمّوا بذلك لأنَّهم مُوجهون من قبل الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا﴾(٥)[المؤمنون:٤٤]، وهم مبعوثون برسالة معينة مخصوصة، مُكلَّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها كما أمرهم الله(٦).

النبيّ والرسول اصطلاحًا

تعددت تعريفات العلماء للنبي والرسول اصطلاحًا، والتعريف الذي تؤيده الباحثة هو ما ذهب إليه الدكتور عمر الأشقر(٧) في كتابه: الرسل والرسالات هو أن: "الرسولَ مَنْ أُوحي إليه

---

(١) انظر: مختار الصحاح ـ للرازي، (ص: ٣٠٣)، والقاموس المحيط ـ الفيروز آبادي (ص : ٥٣)
(٢) انظر: لسان العرب ـ ابن منظور(١/ ١٦٣)
(٣) انظر: الرسل والرسالات ـ د.عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر ، (ص: ١٣)
(٤) لسان العرب، ابن منظور- (١١/ ٢٨٤)
(٥) يعني: يتبع بعضها بعضًا ـ جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٣٤/١٩)
(٦) انظر: الرسل والرسالات ـ عمر الأشقر ـ (ص: ١٤)
(٧) الشيخ الدكتور عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، (١٩٤٠م – ١٠ أغسطس ٢٠١٢) أحد أعلام فلسطين البارزين، وأحد مؤسسي هيئه علماء فلسطين بالخارج. وهو من بيت علم، إذ إنَّ أخاه هو الدكتور محمد سليمان الأشقر، أحد علماء أصول= =الفقه، وهو أحد علماء الدين السنة، شغل منصب أستاذ في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية في عمان وجامعة الكويت وجامعة الزرقاء. وشغل منصب عضو في مجلس الإفتاء في المملكة الأردنية. ومن أشهر مؤلفات الشيخ حفظه الله: سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنَّة، ومن مشايخه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني. انظر :ar.islamway.netيوم الاثنين ٢/٢/٢٠١٥م .

بشرع جديد، والنبيَّ هو المبعوث لتقرير شرع من قبله"[1].

قال السفاريني:"فبَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مُطْلَقٌ، فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا"[2].

ثانيًا: معنى الإيمان بالرسل

قال الشيخ حافظ الحكمي: "مَعْنَى الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ هُوَ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا، يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْكُفْرِ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَأَنَّ جَمِيعَهُمْ صَادِقُونَ مُصَدِّقُونَ، بَارُّونَ رَاشِدُونَ، كِرَامٌ بَرَرَةٌ، أَتْقِيَاءُ أُمَنَاءُ، هُدَاةٌ مُهْتَدُونَ، وَبِالْبَرَاهِينِ الظَّاهِرَةِ وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ مِنْ رَبِّهِمْ مُؤَيِّدُونَ، وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا جَمِيعَ مَا أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ، لَمْ يَكْتُمُوا مِنْهُ حَرْفًا، وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، وَلَمْ يَزِيدُوا فِيهِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ حَرْفًا، وَلَمْ يَنْقُصُوهُ، فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ، وَأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ وَالْهُدَى الْمُسْتَبِينِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَاتَّخَذَ مُحَمَّدًا ﷺ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَرَفَعَ إِدْرِيسَ مَكَانًا عَلِيًّا، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَضَّلَ بَعْضَهُمْ على بعض، ورفع بعضهم عَلَى بَعْضٍ دَرَجَاتٍ"[3].

ويعتبر الإيمان بالرسل عليهم السلام واجبًا من واجبات هذا الدين، وركنًا عظيمًا من أركان الإيمان. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، قال تعالى: **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾**[البقرة:٢٨٥]، فذكر الله تعالى الإيمان بالرسل في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون من أركان الإيمان، وبين أنهم في إيمانهم بالرسل لا يفرقون بينهم، فيؤمنون ببعضهم دون بعض، بل يصدقون بهم جميعًا، وبين أيضًا حكم من ترك الإيمان بالرسل. فقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾**[النساء:١٥٠-١٥١]، فبين الله تعالى في الآية كفر من يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض[4].

---

(١) الرسل والرسالات ـ عمر الأشقر(ص:١٥)

(٢) لوامع الأنوار البهية ـ السفاريني (١/ ٤٩)

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول ـ للحكمي، (٢/ ٦٧٧)، وأعلام السنة المنشورة ـ للحكمي(ص: ٤٨)

(٤) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ـ نخبة من العلماء، (ص: ١٥٣)

ولابد من الإشارةِ إلا أن دعوة الرسل جميعًا متفقة فِي أَصْلِ الدين وأساسه، وهو التوحيد، وذلك بإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة اعتقادًا وقولاً وعملاً، والكفر بكل ما يعبد من دونه، وأما الفروض المتعبد بها فقد يفرض على هؤلاء من الصلاة والصوم ونحوها مالا يفرض على الآخرين، ويحرم على هؤلاء ما يحل للآخرين، امتحانًا من الله تعالى:﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢](١).

ثالثًا: حاجة الناس للرسل

إن حاجة الناس للأنبياء ضرورية وماسة، فالأنبياء هم رسل الله تعالى إلى عباده بأوامره ونواهيه، وقد أراد الله تعالى الكرامة للعاقل والتشريف لأفعاله والاستقامة لأحواله والانتظام لمصالحه، ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق الرسل، فالناس لا يستطيعون إدراك مصالحهم بأنفسهم، ولا يشعرون لعواقب أمورهم بغرائزهم، ولا ينزجرون مع اختلاف أهوائهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين وأخبار القرون الماضين، فتكون آداب الله فيهم مستعملة، وحدوده فيهم متبعة، وأوامره فيهم ممتثلة، ووعده ووعيده فيهم زاجرًا، وقصص الغابرين واعظًا، ولا يكون ذلك إلا عن طريق بعثة الرسل(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: "وَالرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ فِي إصْلَاحِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمعَادِهِ، فَكَمَا أَنَّهُ لَا صَلَاحَ لَهُ فِي آخِرَتِهِ إلَّا بِاتِّبَاعِ الرِّسَالَةِ، فَكَذَلِكَ لَا صَلَاحَ لَهُ فِي مَعَاشِهِ وَدُنْيَاهُ إلَّا بِاتِّبَاعِ الرِّسَالَةِ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مُضْطَرٌّ إلَى الشَّرْعِ؛ فَإِنَّهُ بَيْنَ حَرَكَتَيْنِ: حَرَكَةٌ يَجْلِبُ بِهَا مَا يَنْفَعُهُ؛ وَحَرَكَةٌ يَدْفَعُ بِهَا مَا يَضُرُّهُ. وَالشَّرْعُ هُوَ النُّورُ الَّذِي يُبَيِّنُ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ، وَالشَّرْعُ نُورُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَعَدْلِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَحِصْنِهِ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا"(٣).

وقال ابن القيم –رحمه الله:"وَمِنْ هَاهُنَا تَعْلَمُ اضْطِّرَارَ الْعِبَادِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ، فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ عَلَى التَّفْصِيلِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ، وَلَا يُنَالُ رِضَا اللَّهِ الْبَتَّةَ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَالطَّيِّبُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَيْسَ إِلَّا هَدْيَهُمْ وَمَا جَاءُوا بِهِ، فَهُمُ الْمِيزَانُ الرَّاجِحُ الَّذِي عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَخْلَاقُ وَالْأَعْمَالُ، وَبِمُتَابَعَتِهِمْ يَتَمَيَّزُ أَهْلُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ إِلَى رُوحِهِ وَالْعَيْنِ إِلَى نُورِهَا وَالرُّوحِ إِلَى حَيَاتِهَا، فَأَيُّ ضَرُورَةٍ وَحَاجَةٍ

(١) انظر: أعلام السنة المنشورة ـ الحكمي (ص: ٤٩)

(٢) انظر: أعلام النبوة ـ للماوردي ـ (ص: ٣٥)

(٣) مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية (١٩/ ٩٩)

فُرِضَتْ، فَضَرُورَةُ الْعَبْدِ وَحَاجَتُهُ إِلَى الرُّسُلِ فَوْقَهَا بِكَثِيرٍ. وَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ إِذَا غَابَ عَنْكَ هَدْيُهُ وَمَا جَاءَ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَسَدَ قَلْبُكَ، وَصَارَ كَالْحُوتِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ وَوُضِعَ فِي الْمِقْلَاةِ، فَحَالُ الْعَبْدِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ قَلْبِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ كَهَذِهِ الْحَالِ، بَلْ أَعْظَمُ، وَلَكِنْ لَا يُحِسُّ بِهَذَا إِلَّا قَلْبٌ حَيٌّ"(١).

رابعًا: الأنبياء والرسل المذكورون في السورة

١- موسى عليه السلام: ورد ذكر موسى عليه السلام في السورة مرتين، في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾[الإسراء:٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء:١٠١].

٢- نوح عليه السلام: ورد ذكره في السورة الكريمة مرتين، في قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣]، وقوله تعالى:﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[الإسراء:١٧].

٣- داود عليه السلام: ورد ذكره في السورة مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء:٥٥].

٤- صالح عليه السلام:ورد ذكره ضمنًا في قوله تعالى:﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩]، حيث أرسله الله تعالى إلى قوم ثمود.

٥- آدم عليه السلام: ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:٦١].

٦- محمد ﷺ: وقد ورد ذكره ضمنًا في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:٩٦].

ومن أجل إتمام الفائدة سيتم الحديث عن كل نبي أو رسول منهم، وكون سورة الإسراء تحدثت عن إفساد اليهود، وأنها تُسمى سورة بني إسرائيل، ترى الباحثة أنه من الأهمية مقارنة حديث القرآن عن هؤلاء الأنبياء، وحديث كتاب اليهود المقدس، أو ما يسمى التوراة والأسفار

---

(١) زاد المعاد ـ لابن قيم (١/ ٦٨ ـ ٦٩)

الملحقة بها، أو ما يسميه اليهود العهد القديم، وهو في حقيقة الأمر تغلب عليه الأباطيل والافتراءات، بعدما تم تحريف الكتاب السماوي الأصلي المنزل من عند الله تعالى.

أولاً: آدم عليه السلام

تكرر اسم سيدنا آدم عليه السلام في القرآن الكريم خمسًا وعشرين مرة، حيث تحدثت عنه سور كثيرة، كما في سورة البقرة في الآيات (٣١-٣٧)، وآل عمران في الآيتين (٣٣،٥٩)، والمائدة في الآية (٢٧)، والأعراف في الآيات (١١-١٧٢)، والإسراء في الآيتين (٦١،٧٠)، والكهف في الآية (٥٠)، ومريم في الآية (٥٨)، وطه في الآيات (١١٥-١٢١)، ويس في الآية (٦٠). وتنوّع التعبير عن القصة، مرة باسمه وصفته، كما في السّور: البقرة، والأعراف، والإسراء، والكهف، ومرة بصفته فقط، كما في سورتي الحجر، وص، مما يدل على إعجاز القرآن الكريم[(١)].

وورد ذكره في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾[الإسراء:٦١]. أي: واذكر أيّها الرسول للنّاس عداوة إبليس لآدم وذريته، وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم، والدليل أنه تعالى أمر الملائكة بالسّجود لآدم سجود تحيّة ومحبّة وتكريم، لا سجود عبادة وخضوع، فسجدوا كلّهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له، افتخارًا عليه واحتقارًا له، قائلاً: أأسجد له وهو طين، وأنا مخلوق من النار، كما أخبر تعالى عنه: ﴿**قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾[ص:٧٦]. ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[ص:٦٢]، وقال إبليس جرأة وكفرًا وتكبرًا: أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ، أي: أخبرني عن هذا الذي فضّلته: لِمَ كرّمتَهُ عليَّ، وأنا خيرٌ منهُ؟ وفي ذلك نسبة الجور إلى الله، في زعمه أنه أفضل من آدم بسبب أن الله خلقه من النار وخلق آدم من الطين، والنار أفضل من الطين، والحقيقة أن العناصر كلها أوجدها الله من جنس واحد:﴿**لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا**﴾، أي: توعد إبليس ذرية آدم بالإفساد والضلال إلا قليلاً منهم، وهم العباد المخلصون الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿**إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ**﴾ [الحجر:٤٢]، بمعنى أن عباد الله المخلصين لا يقدر إبليس على غوايتهم، فأجابه الله إلى طلبه حين سأل التأخير وأخّره، قالَ: اذْهَبْ، فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ. أي: امض لشأنك الذي اخترته لنفسك خذلانًا وخسرانًا، فمن أطاعك واتّبعك منهم، فجزاؤكم جميعًا جهنم، تجزون فيها جزاءً وافرًا عظيمًا، كاملاً لا ينقص منه شيء[(٢)].

---

(١) انظر: التفسير المنير- للزحيلي (١/ ١٤٤)

(٢) انظر: المصدر السابق، (١٥/ ١١٦- ١١٧)

وكان من جملة من اتبع الشيطان هؤلاء اليهود، الذين أفسدوا في الأرض، وتطاولوا على الله تعالى وعلى أنبيائه.

لقد أسكن الله آدم الجنة، وخلق له حواء، وأباح لهما الاستمتاع بثمار الجنة باستثناء شجرة عينها تعالى لهما، فوسوس لهما إبليس بالأكل منها، وقدم لهما الإغراءات قائلاً: ما نهاكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا لأن الأكل منها يجعلكما من الملائكة، أو أن تكونا خالدين دون موت ولا فناء، فرفض آدم في بداية الأمر، وقاوم إغراءات الشيطان، ولكن إبليس استمر في إلقاء وساوسه:﴿**وَقاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ [الأعراف:٢١]، حتى نسي آدم أنه عدوه الذي أبى السجود له، فأكل آدم وحواء من الشجرة:﴿**فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ**﴾[طه:١٢١]، ليسترا عوراتهما، فعاتب الله آدم على مخالفة أمره والأكل من الشجرة، فندم واستغفر الله وتاب، فقبل توبته، ولكنه أمره وحواء بالخروج من الجنة، والاستقرار في الأرض[١].

فيا ترى ما هو موقف اليهود –لعنهم الله– من هذه القصة؟ إنهم يقولون:إن الله تعالى طرد آدم من الجنة طردًا ولم يقبل توبته،خلافًا لما بينه القرآن الكريم، وليس ذلك غريبًا عليهم، فهذا من جملة افتراءاتهم وكذبهم، فقد ورد في سفر التكوين بعد عرض قصة الشجرة أن الله سبحانه طرد آدم من الجنة[٢]: "**فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ الإِنْسَانَ**"[٣].

إن توبة آدم التي كانت في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ**﴾ [الأعراف:٢٣]، والتي ينكرها اليهود في أسفارهم، اعتبرت أحب الكلام إلى الله، وهذا هو المروي عن ابن عباس. وروي عن ابن مسعود ﷺ: إنّ أحبّ الكلام إلى الله تعالى ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة: «سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك وتعالى جدّك، لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[٤].

ثانيًا: نوح عليه السلام

قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾[الإسراء:٣].

يقول الإمام الطبري في تفسير الآية الكريمة: "يقول تعالى ذكره: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ذرية من حملنا مع نوح. وعنى بالذرية: جميع من احتجّ عليه جلّ ثناؤه بهذا القرآن من أجناس الأمم، عربهم

(١) انظر: التفسير المنير- للزحيلي (١/ ١٤٦)
(٢) دراسات في الأديان - عماد الدين الشنطي - بتصرف يسير . (ص:٨١)
(٣) سفر التكوين : (٢/٢٣- ٢٤)
(٤) انظر: التفسير المنير- للزحيلي (١/ ١٤٢)

وعجمهم من بني إسرائيل وغيرهم، وذلك أنّ كلّ من على الأرض من بني آدم، فهم من ذرية من حمله الله مع نوح في السفينة.وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل"(١).

ثم أثنى الله تعالى على نوح عليه السلام فقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾ [الإسراء:٣]، قال الفخر الرازي في تفسيره:"رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ إِذَا أَكَلَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي وَلَوْ شَاءَ أَجَاعَنِي» وَإِذَا شَرِبَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْقَانِي وَلَوْ شاء أظمأني» وإذا اكتسى قال: «الحمد الله الَّذِي كَسَانِي وَلَوْ شَاءَ أَعْرَانِي» وَإِذَا احْتَذَى قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَذَانِي وَلَوْ شَاءَ أَحْفَانِي» وَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَ عَنِّي أَذَاهُ فِي عَافِيَةٍ وَلَوْ شَاءَ حَبَسَهُ»،وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْإِفْطَارَ عَرَضَ طَعَامَهُ عَلَى مَنْ آمَنَ بِهِ، فَإِنْ وَجَدَهُ مُحْتَاجًا آثَرَهُ بِهِ"(٢).

بالإضافة إلى ذلك؛ فهو من أولي العزم من الرسل، وهو أول الرسل، وقد امتدت دعوته سنوات طويلة، فلقد عاش نوح يجاهد في سبيل الله مئات السنين، إلا أن حصيلة ذلك كله كانت عددًا ضئيلًا من المؤمنين: ﴿**وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾ [هود:٤٠]، ولقد استحق بجهاده الشاق وصبره الجميل ما أسبغ عليه من كرامة ونعماء، ويكفي أن يقول الله فيه: ﴿**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الصافات:٧٥-٨١]،ويقول عنه أيضًا:﴿**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾[الإسراء:٣]، فنوح في القرآن نبي عظيم ورسول ذو دعوة واسعة، من أجل ذلك كان إمامًا يقتدي به الأنبياء والمرسلون علاوة على من دونهم من الناس، وكان أول أولي العزم الذين قيل في شأنهم لخاتم الأنبياء والمرسلين: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف:٣٥](٣).

أما بالنسبة لموقف اليهود -لعنهم الله- من نوح عليه السلام، فقد وصفوه بأنه شارب خمر، وفي هذا قالوا في سفر التكوين: "**فَأبتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا، وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ**"(٤)،هكذا وصفوا نبي الله نوحًا عليه السلام، وهو أول أنبياء الله إلى المشركين، والذي دعا قومه

(١) جامع البيان ـ للطبري (١٧/ ٣٥٣)

(٢) مفاتيح الغيب ـ للرازي ـ (٢٠/ ٢٩٨) ، وجامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٣٥٥/١٧)ئ

(٣) انظر:النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ـ أحمد عبد الوهاب ـ (ص: ٣٦)

(٤) سفر التكوين (٩/٢٠- ٢١)

إلى دين الله ألف سنة إلا خمسين عامًا، كما ذكر الله ﷻ حيث قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[العنكبوت:١٤].

وامتن الله على بني إسرائيل أنهم ذرية ذلك العبد الصالح نوح عليه السلام، فقال جل وعلا: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُورًا﴾[الإسراء:٣]، فامتن الله على بني إسرائيل بنسبتهم إلى ذلك العبد الصالح كما أشار القرآن، واليهود يصفونه بتلك النقيصة، وما ذلك منهم إلاّ خدمة لأهوائهم وأغراضهم العنصرية،التي تتضح من بقية كلامهم في القصة نفسها، حيث يقولون بعد الكلام السابق في سفر التكوين:"**فأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ»**"[(١)].

فيتضح من هذا النص أن مقصد اليهود منه لعن الكنعانيين الذين كانوا أعداءً لبني إسرائيل، كما أن فيه خطأً ظاهرًا من ناحية أن حام هو الذي أبصر عورة أبيه حسب النص السابق، فلماذا يلعن ابنه كنعان، مع أن لحام أبناءً آخرين غير كنعان، فإن اليهود قالوا في سفر التكوين: "**وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ**"[(٢)].

وفي هذه المسألة تساؤل:لماذا خُص كنعان من بين إخوته؟ والجواب: أن ذلك لهدف خاص في نفوسهم، وهو لعن الكنعانيين أعدائهم، ولو كان بالافتراء على الله ﷻ وعلى نبيه نوح عليه السلام[(٣)].

إنها عداوة عامة لحام وبنيه جميعًا، وعداوة خاصة للكنعانيين (الفلسطينيين)، مما يعكس بوضوح أصل عداوة اليهود للعرب والفلسطينيين، فهذه العداوة ذات أصول توراتية محرفة[(٤)].

ثالثًا: موسى عليه السلام

هو من أنبياء بني اسرائيل، ورسول دعوة التوحيد، الذي أرسله الله لقوم تميزوا بأنهم أكثر الأقوام التي أرسل الله فيهم رسلاً، وقد وردت قصته مع بني اسرائيل في آيات كثيرة من القرآن

---

(١) سفر التكوين (٢٢/٩ـ ٢٥)

(٢) سفر التكوين: (٦/١٠)

(٣) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ـ سعود الخلف، (ص: ١١٠)، ودراسات في الأديان ـ د. عماد الشنطي (٧٣ـ ٧٤) .

(٤) انظر: دراسات في الأديان ـ د عماد الدين الشنطي ،(ص:٧٤)

الكريم، منها الآيات التي وردت في سورة الإسراء، قال تعالى:﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً ﴾[الإسراء:٢].

يبين الله تعالى في هذه الآية أنه أنزل التوراة على موسى عليه السلام، وجعله بيانًا للحقّ، ودليلاً لهم يهديهم للصواب في الفرائض والأوامر والنواهي(١).

وبين تعالى أَنَّهُ أَكْرَمَ مُوسَى عليه السلام بهذا الْكِتَابِ، الَّذِي جَعَلْه هُدىً لبني إسرائيل، ليُخْرِجُهُمْ بوَاسِطَته مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ الْحَقِّ(٢)، وألا يتخذوا من دون الله وكيلاً يفوضون إليه أمورهم(٣).

وقال تعالى في السورة أيضًا: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء:١٠١]. يقول الإمام الطبري –رحمه الله– في تفسير الآية: "يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بيِّنات، تُبَين لمن رآها أنها حجج لموسى شاهدة على صدقه وحقيقة نبوّته"(٤)، والآيات التسع هي كما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عنه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر: «العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدم آيات مفصلات»، لكن تخصيص التسع بالذكر لا يمنع ثبوت الزائد عليها، لأن القاعدة في أصول الفقه: إن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد(٥).

وقد ذكر القرآن المجيد ست عشرة معجزة لموسى عليه السلام، ذكرها الرازي وهي: "إزالة العقدة من لسانه، أي: إذهاب العجمة وصيرورته فصيحًا، وانقلاب العصا حية، وتلقف الحية حبالهم وعصيهم على كثرتها، واليد البيضاء، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وشق البحر: ﴿وَإِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾[البقرة:٥٠]، والحجر: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ﴾ [الأعراف:١٦٠]، وإظلال الجبل: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾[الأعراف:١٧١]، وإنزال المن والسلوى عليه وعلى قومه، والجدب، ونقص الثمرات: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ، وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ﴾ [الأعراف:١٣٠]، والطمس على أموالهم من النحل والدقيق والأطعمة والنقود"(٦).

---

(١) انظر: جامع البيان ـ للطبري (١٧/ ٣٥٢)
(٢) انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي (٢٠/ ٢٩٧)
(٣) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ١٤)
(٤) جامع البيان – للطبري (١٧/ ٥٦٤)
(٥) التفسير المنير – للزحيلي (١٥/ ١٨١)
(٦) انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي (٢١/٤١٣ـ ٤١٤)

أما بالنسبة للتوراة المحرفة فقد ذكرت نسبة اليهود سوء الأدب مع الله من قِبل موسى عليه السلام الشيخ الثمانيني، بالإضافة إلى اتهامه بالخيانة، وورد ذلك في أسفارهم، التي بينت أن الله تعالى أوحى لسيدنا موسى عليه السلام وهو في الثمانين من عمره، ورد ذلك في نص سفر الخروج الآتي:"**وَكَانَ مُوسَى ابْنَ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَهَارُونُ ابْنَ ثَلاَثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً حِينَ كَلَّمَا فِرْعَوْنَ**"[١].

وفي أول وحي له عليه السلام، بعد أن علمه الله الكثير مما يقول ويفعل، وأراه الآيات والأعاجيب، كان عاقبة ذلك حسب توراة اليهود المحرفة أن قال موسى للرب: "«**اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذُ أَمْسِ وَلاَ أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ، وَلاَ مِنْ حِينِ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ**». **فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ**: «**مَنْ صَنَعَ لِلإِنْسَانِ فَمًا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ، وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ**». **فَقَالَ**: «**اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ**». **فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ**: «**أَلَيْسَ هَارُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ، وَأَيْضًا هَا هُوَ خَارِجٌ لاسْتِقْبَالِكَ. فَحِينَمَا يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ، فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعْلِمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ**"[٢].

لكن القرآن برأ موسى من كل قول غليظ، أو سوء أدب يعرضه لغضب الله، وبين أن حديث الوحي الأول لموسى كان كله رحمة ولطفًا من الله، أظهر فيه موسى عليه السلام من التهذب والخشوع والإدراك ما يتفق ووقار النبوة لشيخ في الثمانين من عمره،اتضح ذلك من قول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي *اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾[طه:٢٥-٣٦]، وكان عليه السلام على يقين أن الله سيعينه على تبليغ رسالته، فهو يطلب طلبه من أكرم الأكرمين، وكان حريًّا أن يجاب إلى طلبه وزيادة، فلقد تعهد له الله بالنصر النهائي، إذ قال له: ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾ [القصص:٣٥][٣].

وتنسب التوراة أيضًا إلى موسى وهارون عدم إيمانهما بالله، وتسجل عليهما الخيانة التي كان ثمنها أن حُرمتعليهما أرض فلسطين، وهذا ما ذكره سفر التثنية، فيقولون فيه أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام:«**اِصْعَدْ إِلَى جَبَلِ عَبَارِيمَ هذَا، جَبَلِ نَبُو الَّذِي فِي أَرْضِ مُوآبَ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، وَانْظُرْ أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا، وَمُتْ فِي الْجَبَلِ الَّذِي تَصْعَدُ إِلَيْهِ، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِكَ، كَمَا مَاتَ هَارُونُ أَخُوكَ فِي جَبَلِ هُورٍ وَضُمَّ إِلَى قَوْمِهِ. لأَنَّكُمَا خُنْتُمَانِي فِي وَسَطِ بَنِي**

(١) سفرالخروج: (٧/٧)
(٢) سفر الخروج (٤/ ١٠ـ ١٥)
(٣) انظر: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ـ أحمد عبد الوهاب (ص:٤٥ـ ٤٦)

إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ، إِذْ لَمْ تُقَدِّسَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَإِنَّكَ تَنْظُرُ الأَرْضَ مِنْ قُبَالَتِهَا، وَلكِنَّكَ لاَ تَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ»(1).

لكن القرآن يبرئ موسى وهارون من كل ما يمسهما من أذى ألحقه بهما كتبة الأسفار من الإسرائيليين، فحين تخاذل بنو إسرائيل عن دخول أرض فلسطين كان موسى مقدامًا كصورته المشرقة في القرآن، يتقدم بنفسه، ومعه أخوه هارون يساعده ويشد أزره، وفي هذا يقول القرآن: **﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾**[المائدة:٢٢-٢٦].لقد عطرت سيرة موسى في القرآن، ويكفي أن يقول الحق فيه: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾**[مريم:٥١-٥٣](2).

رابعًا: داوود عليه السلام

كما تبين سابقًا أن الأنبياء لهم المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة، وهذا هو حالهم جميعًا، فقد قال تعالى في السورة عن داود عليه السلام: **﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾**[الإسراء:٥٥]، لقد فضل الله تعالى داود عليه السلام بإنزال الزّبور عليه، لا بالملك والسلطان، مع أنه كان ملكًا عظيمًا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ التَّفْضِيلَ الَّذِي ذَكَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، الْمُرَادُ مِنْهُ التَّفْضِيلُ بِالْعِلْمِ وَالدِّينِ لَا بِالْمَالِ، ومما ورد في الزّبور أنّ محمدًا ﷺ خاتم النّبيين، وأن أمته خيرالأمم، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾**[الأنبياء:١٠٥](3).

أما بالنسبة للتوراة فحال داود عليه السلام فيها لم يكن أحسن حالاً من غيره من الأنبياء، حيث اتهمته التوراة بالزنا، فزعموا أنه زنى بامرأة أحد جنوده، وحدث الحمل من ذلك الزنى، ثم أمر بقتل زوجها، حيث أمر أن يُجعل في مقدمة الجيش حتى يعرضه للقتل، وبعد أن تم قتله تزوجها ومات

(١) سفر التثنية (٣٢/٤٩ـ ٥٢)
(٢) انظر:النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ـ أحمد عبد الوهاب (ص: ٤٩ـ ٥٠)
(٣) انظر:التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ١٠٢)، ومفاتيح الغيب ـ للرازي(٢٠/ ٣٥٦)

ذلك المولود الأول، ثم حبلت مرة أخرى فانجبت النبي سليمان عليه السلام،وقد وردت القصة كاملة في سفر صموئيل الثاني (١١/١-٢٦)[١].

مما سبق يتضح أن اليهود -لعنهم الله- تطاولوا على الأنبياء، واتهموهم بصفات السوء، مما لا يجوز في حق الأنبياء من شرب للخمر، وارتكاب فاحشة الزنا، والخيانة، وسوء الأدب مع الله، وعدم التزام أوامره، وهذا يعكس بوضوح مدى ما اتصفوا به من فساد واحتقار للآخرين، حتى ولو كانوا أنبياء، ليستحقوا بذلك قول الله عنهم في سورة الفاتحة:﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧]، أي: اليهود -لعنهم الله.

خامسًا: محمد ﷺ

وهو النبي الذي بشر به الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، بالرغم مما طاله من التحريف والتبديل، ومن أجل الفائدة سيتم ذكر بعض النصوص المُبشرة بنبوته ﷺ من العهد القديم الخاص باليهود، أما الحديث عنه ﷺ من القرآن فسيتم التطرق إليه في مطلب مهمات الرسل.

بشرت التوراة وكذلك الإنجيل بسيدنا محمد ﷺ، لكن النصارى ومن قبلهم اليهود بذلوا جهدًا كبيراً في حذف هذه البشارات، المبشرة بنبوة سيدنا محمد ﷺ من كتبهم، ويزعمون أنه لا يوجد في كتبهم إشارة إلى النبي ﷺ، وإن وجد شيء صرفه النصارى إلى عيسى بن مريم، وصرفه اليهود إلى المسيح الذي ينتظرونه، وهي في الواقع لا تنطبق إلا على نبي هذه الأمة سيدنا محمد ﷺ وأمته[٢]،وقد تعددت هذه البشارات في كتبهم، ومنها:

البشارة الأولى: من العهد القديم

ورد في سفر التثنية:"**قَالَ لِيَ الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ**"[٣]، وهذا الكلام لا ينطبق إلا على النبي محمد ﷺ،وذلك لعدة أسباب، منها: أنه قال: "من وسط إخوتهم"، وإخوتهم هم أبناء إسماعيل عليه السلام، لأنه أخو إسحق الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل، وإسماعيل وإسحق هما ابنا إبراهيم عليه السلام، ثم قال:"مثلك"،

---

(١) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ـ سعود الخلف (ص:١١٤)، ودراسات في الأديان ـ عماد الشنطي(ص:٧٧)

(٢) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ـ سعود الخلف (ص:٣٨٩)

(٣) سفر التثنية: (١٨/ ١٧ـ ٢٠)

ومعلوم أن اليهود يرون أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى[١]، حيث قالوا في سفر التثنية: "**وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ**"[٢].

واليهود يزعمون أن هذه البشارة لنبي لم يأت بعد، وإن زعم بعضهم أن المراد بها يوشع بن نون، فهذا غير صحيح، لأنه ليس مثل موسى، أما النصارى فيزعمون أن المراد به عيسى عليه السلام،وهي في الواقع لا تصدق عليه بأي وجه، لأنه:

أولاً: من بني إسرائيل، وليس من إخوتهم.

ثانيًا: هو ليس مثل موسى عليه السلام، فإنه تابع له، كما أنه عند النصارى إله، وابن إله، فإقرارهم بأنه مثل موسى يهدم ديانتهم ومعتقدهم، وما هم عليه[٣].

فموسى بشر وعبد الله، وعيسى إله حسب اعتقاد المسيحيين، وموسى لم يصلب ولم يقتل، بل توفي وفاة طبيعية، والمسيح صلب وقتل حسب اعتقادهم، وموسى من أب وأم، والمسيح من أم، فكل هذه الأمور تدلل بوضوح وصراحة أن المقصود من النص السابق محمد ﷺ، وليس عيسى عليه السلام[٤].

إن تحليل النص السابق جعل البشارة تصدق على سيدنا محمد ﷺ من جميع الوجوه، فإنه من إخوتهم، وهو مثل موسى عليه السلام نبي رسول، وأتى بشريعة جديدة، وحارب المشركين، كما فعل موسى عليه السلام هذه الأمور أيضًا[٥].

ثم إنه قال: "أجعل كلامي في فمه"، وفي ذلك كناية عن القرآن المحفوظ في الصدور، الذي تلقاه النبي محمد ﷺ مشافهة من الوحي جبريل عليه السلام، وحفظه في قلبه، وتلاه ﷺ على أمته من فمه[٦]،فهو الأميّ الذي لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة، وكان يتلقى من الوحي ما يخبر به الناس، فهو القائل عنه ﷻ:﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[النجم:٣-٥]،وحادثة تنزل الوحي عليه في غار حراء شاهدٌ على ذلك، إذ قال له الوحي: "اقرأ"، فيقول النبي ﷺ: "**ما أنا بقارئ**" [٧] **أي: لا أعرف القراءة، وتكرر ذلك ثلاث مرات إلى أن قال الملك: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي**

(١) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ـ سعود الخلف (٣٨٩. ٣٩٠)
(٢) سفر التثنية: (٣٤/١٠)
(٣) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ـ سعود الخلف (ص:٣٩٠)
(٤) انظر: دراسات في الأديان ـ د عماد الدين الشنطي (ص:١٤٤)
(٥) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ـ سعود بن عبد العزيز الخلف (ص:٣٩٠)
(٦) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ـ سعود الخلف، (ص:٣٩١)
(٧) صحيح البخاري ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب ما ودعك ربك وما قلى ـ ح رقم : ٤٩٥٣(١٧٣/٦)

خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق:١-٥](١).

ثم إن الله جل وعلا أتمَّ وعده للنبي ﷺبأن الذين لا يطيعونه فإن الله سيطالبهم، وقد طالبهم، فانتقم من أعدائه المشركين واليهود، أما عيسى عليه السلام فلم ينتقم الله من أعدائه، بل كان أعداؤه في مكان المنتصر، فأرادوا قتله، إلا أن الله جل وعلا أنجاه منهم ورفعه عنده، قال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:١٥٨]، والنصارى يزعمون أنهم قبضوا عليه وأهانوه وصلبوه(٢).

البشارة الثانية

ما جاء في سفر التثنية: "**هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلهًا، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ**"(٣)،والمراد بماليس شعبًا وبالأمة الغبية العرب في الجاهلية، لأنهم كانوا في غاية الجهل والضلال، وما كان عندهم علم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية، وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام، وكانوا محقرين عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر الجارية. فمقصود النص أن بني إسرائيل غيروا الله ﷻ وبدلوه بعبادة ما لا يستحق العبادة من المعبودات الباطلة، فغيرهم الله تعالى باصطفاء الذين هم عندهم محقرون وجاهلون، فأوفى بما وعد، فبعث من العرب النبي ﷺ، فهداهم إلى الصراط المستقيم، كما قال الله تعالى في سورة الجمعة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢](٤).

البشارة الثالثة

يقول موسى عليه السلام: «**جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ، فَأَحَبَّ الشَّعْبَ، جَمِيعُ قِدِّيسِيهِ فِي يَدِكَ، وَهُمْ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ**"(٥).

---

(١) انظر: دراسات في الأديان ـ د. عماد الدين الشنطي (ص:١٤٥)
(٢) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ـ سعود الخلف ـ (ص:٣٩١)
(٣) سفر التثنية (٢١/٣٢)
(٤) انظر: إظهار الحق ـ رحمة الله الهندي، (٤/ ١١٣٣ـ ١١٣٤)
(٥) سفر التثنية: (٣٣: ٢ـ ٣)

فسكن إسماعيل ﷺ فيها حين قال: "**وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ،هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا،اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً**"[١]،فكثرت ذرية إسماعيل، وانتشروا في الصحراء، وكانت البركة كلها في سيدنا محمد ﷺ وأتباعه من بعده، وهذه الدعوة الواردة في سفر التكوين أخبرنا عنها القرآن الكريم، فقال على لسان إبراهيمﷺ:**﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُ وعَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾**[البقرة:١٢٩][٢]، وذكر ابن القيم –رحمه الله– في كتابه هداية الحيارى المناطق الثلاثة السابقة (سيناء، وسعير، وفاران)، وجعل هذه المناطق نظير قوله تعالى:**﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ *وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾** [التين:١–٣]، وأشار إلى أمكنة الأنبياء الذين ظهروا في تلك المناطق؛ فالتين والزيتون ترجع إلى الأرض المقدسة، وهي منبت التين والزيتون التي ظهر فيها المسيح ﷺ، وطور سينين الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﷺ، والبلد الأمين مكة المكرمة مظهر نبوة محمد ﷺ، ولابن القيم كلمات جميلة حول الألفاظ التي استعملتها التوراة مع كل نبي (أقبل أو جاء، وأشرق، واستعلن)[٣]، فقال – رحمه الله: "وَشَبَّهَ ﷺ نُبُوَّةَ مُوسَى بِمَجِيءِ الصُّبْحِ، وَفَلْقِهِ، وَنُبُوَّةَ الْمَسِيحِ بَعْدَهَا بِإِشْرَاقِهِ وَضِيَائِهِ، وَنُبُوَّةَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ بَعْدَهُمَا ﷺ بِاسْتِعْلَانِ الشَّمْسِ، وَظُهُورِهَا وَظُهُورِ ضَوْئِهَا فِي الْآفَاقِ، وَوَقَعَ الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ سَوَاءً، فَإِنَّ اللَّهَ صَدَعَ بِنُبُوَّةِ مُوسَى لَيْلَ الْكُفْرِ فَأَضَاءَ فَجْرُهُ بِنُبُوَّتِهِ، وَزَادَ الضِّيَاءُ وَالْإِشْرَاقُ بِنُبُوَّةِ الْمَسِيحِ، وَكَمُلَ الضِّيَاءُ وَاسْتَعْلَنَ وَطَبَقَ الْأَرْضَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ"[٤].

مما سبق يتضح أن اليهود حاولوا إخفاء هذه البشارات من كتابهم المقدس، حتى يخفوا حقيقة بعثة سيدنا محمد ﷺ، ويأتي ذلك منهم ضمن دائرة عدائهم للعرب والمسلمين، لكنهم لم ينجحوا في ذلك، فهم دائمًا يمكرون للإسلام والمسلمين، ولكن مكرهم ينقلب ضدهم ويكشف حقيقتهم، كما قال تعالى: **﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** [الأنفال:٣٠].

---

(١) سفر التكوين: (٢٠/١٧)

(٢) دراسات في الأديان ـ د عماد الدين الشنطي (ص:١٤٥)

(٣) انظر: هداية الحيارى ـ لابن القيم ، (ص:٣٢٠)

(٤) هداية الحيارى ـ لابن القيم (ص: ٣١٩ـ ٣٢٠)

المطلب الثاني
مهام الأنبياء والرسل في سورة الإسراء

للرسل عليهم السلام وظائف ومهام عظيمة قاموا بها، وأدوها على أكمل وجه، كما أمرهم الله ﷻ، وسيتم سرد هذه الوظائف والمهام، ومن ثُم بيان الآيات التي تدلل عليها من السورة، وفيما يأتي أهم هذه الوظائف:

١- تبليغ شرع الله تعالى للعباد على أكمل وأتم وجه، كما أمرهم الله[(١)]، فيكون البلاغ بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما في قوله تعالى في السورة: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، أو ببيان الأوامر والنواهي والمعاني والعلوم التي أوحاها الله من غير تبديل ولا تغيير، ومن الآيات الدالة على التبليغ قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا * إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا * وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا * وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٢٣-٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣].

٢- إصلاح النفوس وتزكيتها، وتربية الناس وفق منهج الله وشرعه، تربية تليق بالإيمان، وتؤهل العبد لينال الأجر العظيم من الله تعالى[(٢)]، متمثلة في مجموعة الآيات من (٢٣-٣٧). إنها

(١) انظر:الرسل والرسالات ـ عمر الأشقر (ص: ٤٣)، وتبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب (ص:١٢٢)

(٢) انظر:الرسل والرسالات ــ عمر الأشقر (ص: ٥٠)، وتبسيط العقائد الإسلامية ـ حسن أيوب (ص: ١٢٣)

مجموعة الأوامر والنواهي التي يُربي بها الرسل أقوامهم، والتي تعتبر شعائر الإيمان ومظاهره، وتترك أثرًا رائعًا على الفرد والمجتمع، مما يحقق السعادة في الدنيا والآخرة.

٣- هداية الناس إلى الخير والطريق المستقيم، كما في قوله تعالى في السورة: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾[الإسراء:٢]، فقد ذكر الله ﷻ في هذه الآية إكرامه لموسى عليه السلام بإعطائه الكتاب، وهو التوراة، الذي جعله الله هدًى وهداية، ليخرج بني إسرائيل بواسطة ذلك الكتاب من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والدين الحق[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء:٩٤]، فقد بينت الآية أن الرسول ﷺ قد أيده الله بالقرآن، وكان من مهمات الرسول العمل على هداية الناس وإسعادهم من أجل النجاة في الدنيا والآخرة.

٤- إقامة شرع الله وتطبيقه على أكمل وجه، ليكونوا قدوة للناس[2]، وقد اتضح ذلك في وصف الله تعالى لنوح عليه السلام في تفانيه في الدعوة إلى الله، وصبره على قومه، ووصف الله ﷻ له بالعبودية لله، والشكر الدائم له تعالى، مما تم بيانه في المطلب السابق، وبيان سيرة الرسول ﷺ والتزامه الشديد بما أمره الله به من صلاة وتهجد وغير ذلك من الأمور التي تجعله قدوة لأمته، كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا * وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٧٨-٨١]، فقد أمر الله تعالى رسوله الكريم بالطاعات بَعْدَ الْإِيمَانِ.قال الرازي: "وَأَشْرَفُ الطَّاعَاتِ بَعْدَ الْإِيمَانِ الصَّلَاةُ، ثم أمره بِالْإِقْبَالِ عَلَى عِبَادَتِهِ لِكَيْ يَنْصُرَهُ على أعدائه، فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ لَا تُبَالِ بِسَعْيِهِمْ فِي إِخْرَاجِكَ مِنْ بَلْدَتِكَ وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَاشْتَغِلْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَدَاوِمْ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَدْفَعُ مَكْرَهُمْ وَشَرَّهُمْ عَنْكَ، وَيَجْعَلُ يَدَكَ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ وَدِينَكَ غَالِبًا عَلَى أَدْيَانِهِمْ"[3]، وفي ذلك بيان لأهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام، فقد كان عليه السلام مطبقًا لأوامر ربه، ملتزمًا بها أشد الالتزام، فقد كان ﷺ يطيل القيام، ويطيل الركوع والسجود، ويكثر من الدعاء في الركوع والسجود، حتى إنه كان يقرأ في صلاته بالبقرة والنساء وآل عمران، وكان يقرأ مترسلاً، وكان يدعو عند آيات الرحمة، ويستعيذ عند آيات العذاب، وإذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح عليه الصلاة والسلام، وكان ركوعه نحوًا من

---

(١) انظر:التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ١٤)

(٢) انظر:النبوات ـ لابن تيمية (٢٩/١)، وتبسيط العقائد الإسلامية ـ حسن أيوب (ص:١٢٢)

(٣) مفاتيح الغيب ـ للرازي (٢١/ ٣٨٢)

قيامه، أي قريبًا من قيامه،وكان سجوده قريبًا من قيامه. هذه سنة النبيﷺفي صلاته وتهجده في الليل، فحريٌّ بالمسلم أن يقتدي بأفعال الرسول ﷺ(١).

٥- الرسل يتلقون العلم والوحي والدين من الله ﷻ، ويكون ذلك بالكيفية التي يختارها الله تعالى(٢)، وذلك كما في قوله تعالى في السورة: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء:٣٩]، والمراد بالآية:أي ذلك الذي أمرناك به من الأوامر والأخلاق الحميدة، ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة التي تغضب الله تعالى، هو مما أوحينا إليك من أصول الشريعة والدين، والحكم به، لتأمر به الناس، والمراد بالحكمة: مجموعة الأوامر والنواهي والتكاليف الشرعية(٣).

٦- القيام بدلالة الناس إلى الخير، وتبشيرهم بالأجر العظيم من الله تعالى إذا فعلوه، وإنذارهم من الشر، وتحذيرهم من الخسران إذا فعلوه. وتبشير الرسل وإنذارهم دنيويًا وأخرويًا، فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة(٤)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[الإسراء:٧]، وهذه الآيات بينت المفاسد العظيمة التي يقوم بها بنو إسرائيل، وقد بين الله لهم أن من يُحسن يُحسن لنفسه، ومن يُسيئ يُسيئ لنفسه، ومن مفاسدهم مخالفة التوراة وتغييرها، وقتل بعض الأنبياء، مثل شعيا عليه السلام، وحبس إرميا حين أنذرهم سخط الله تعالى، ثم إنهم يتجبّرون ويطغون ويفجرون ويستعلون على الناس بغير الحق استعلاءً عظيمًا، ويظلمونهم ظلمًا شديدًا، ومصيرهم الذي أنذرهم الله منه، تسليط من هم أقوى منهم عليهم فيعمل على كسر شوكتهم(٥).

ومن الآيات التي تبين الجزاء الدنيوي أيضًا قوله تعالى عن فرعون:﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾[الإسراء:١٠٣]، وذلك من أجل إنذار المخالفين الذين يخالفون الله ورسوله، ومن الآيات التي تبين الجزاء الأخروي قوله تعالى:﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الإسراء:٩-١٠]، وقوله تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ

---

(١) انظر: http://ar.islamway.net الثلاثاء ٢٠١٥/٣/٣م
(٢) انظر: تبسيط العقائد الإسلامية ـ حسن أيوب (ص: ١٢٢) والنبوات ـ لابن تيمية (ص :٢٨/١)
(٣) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ٧٧) .
(٤) انظر: النبوات ـ لابن تيمية (٢٩/١) و انظر:الرسل والرسالات ـ عمر الأشقر (ص:٤٧)
(٥) انظر:التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ٢٢)

رَسُولًا﴾[الإسراء:١٥]، ودعوة الرسل إلى الله تقترن دائمًا بالتبشير والإنذار، لذلك نجد أن القرآن قصر مهمة الرسل عليهما في بعض آياته[١]، وهذا ما بينته السورة كما في قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[الإسراء:١٠٥]، فبينت الآيات أن مهمة سيدنا محمد ﷺ، هي التبشير بالجنة للمؤمنين الطائعين، والنذير من النار للعصاة والكافرين[٢].

ومن الآيات الدالة على التبشير والإنذار أيضًا، قوله تعالى في السورة: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[الإسراء:١٨-١٩]، وقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾[الإسراء:٤١].

٧. تبيين وتوضيح ما أنزله الله من الدين، وشرح الكتب وبيان ما فيها للناس[٣]، كما في قوله تعالى في السورة: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦]، حيث يبين الله ﷻ أنه أنزل القرآن على سيدنا محمد ﷺ ليقرأه عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ، وقد نزل القرآن منجمًا في ثلاث وعشرين سنة، فلم ينزل في يومين أو ثلاثة، وذلك بحسب الوقائع والحوادث، وعلى ما تقتضيه الحكمة والمصلحة العامة النافعة في الدنيا والآخرة على وفق المناسبات، ليبلغه الرسول للناس ويتلوه عليهم على مهل، ويبينه ويوضحه لهم[٤].

٨. الرسل يقومون بمناقشة ومجادلة من أرسلوا إليهم، من أجل تقويم الفكر المنحرف، والعقائد الزائفة، ومحاولة إقناعهم وإبطال حجج المعاندين منهم[٥]، كما في قوله تعالى في السورة: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:٤٩]، وقوله:﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الإسراء:٥٠-٥١]. "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للمكذّبين بالبعث بعد الممات من قومك القائلين:﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾: كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم، وإعادته أجسامكم، خلقًا جديدًا بعد بِلاكم في التراب، ومصيركم

(١) انظر: الرسل والرسالات ـ عمر الأشقر (ص:٤٧) .
(٢) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ١٨٤) .
(٣) انظر: تبسيط العقائد الإسلامية ـ حسن أيوب (ص: ١٢٢) .
(٤) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ١٨٥) .
(٥) انظر: الرسل والرسالات ـ عمر الأشقر (ص: ٥١)، وتبسيط العقائد الإسلامية ـ حسن أيوب (ص: ١٢٢) .

رُفاتًا، وأنكرتم ذلك من قُدرته حجارةً أو حديدًا، أو خلقًا مما يكبر في صدوركم إن قدرتم على ذلك، فإني أحييكم وأبعثكم خلقًا جديدًا بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أوّل مرّة"[١].

فكان دور الرسول ﷺ تقويم الفكر المنحرف الموجود لدى هؤلاء المشركين من إنكار للبعث.

٩- إقامة الحجة على الناس، والشهادة عليهم يوم القيامة بأنهم بلغوهم دين الله ودعوته[٢]، كما في قوله تعالى في السورة: **﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾** [الإسراء:٩٦]، قال الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير الآية: "أي إن القول الفصل بيني وبينكم، وإقامة الحجة الدامغة عليكم أن الله شاهد علي وعليكم، وحكم بيني وبينكم، عالم بما جئتكم به، فلو كنت كاذبًا لانتقم مني أشد الانتقام، كما قال تعالى: **﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾**[الحاقة:٤٤-٤٦]"[٣].

مما سبق يتضح لنا أن الرسل عليهم السلام قد قاموا بوظائف عظيمة، ومهام رائعة، فبلغوا رسالات ربهم على أكمل وجه، وكانوا مثالاً للبذل والعطاء، والصبر على الأذى؛ فحريٌّ بكل عاقل ذي لب أن يؤمن بهم ويصدق بدعواتهم، حتى لا يتعرض لسخط الله وعقابه.

---

(١) جامع البيان ـ للطبري (١٧/ ٤٦٣)
(٢) انظر:النبوات ـ لابن تيمية (ص:٢٩)، والرسل والرسالات ـ عمر الأشقر (ص:٤٧)
(٣) التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ١٧٢)

المطلب الثالث:

التفاضل بين الأنبياء في سورة الإسراء

أولاً: الأنبياء والرسل أفضل الخلق

اقتضت حكمة الله تعالى ألا يصطفي إلا صفوة الخلق وأفضلهم لإبلاغ دينه، ولتحمل رسالته العظيمة، رسالة التوحيد،إذ إن كمال الرسل واختصاصهم بالفضل يوجب على الأمم تصديقهم والانقياد لهم، والسير على نهجهم، وهذا من رحمة الله بعباده ولطفه بهم(١).

فحكمة الله وعلمه قاضيان بأن لا تمنح النبوة والرسالة إلاّ للمستعد لها والقادر على حملها، لذلك فالمتأمل في سيرة أنبياء الله ورسله يراهم أبرّ الناس قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأحضرهم بديهة، وأشدّهم تحملاً، وأرقهم طباعًا، فلا عجب أن يختارهم الله ليكونوا أمناء وحيه، والعاملين على إقامة دينه، فهم القمم السامقة التي تعجز النفوس عن أن تبلغ مداها(٢).

قال ابن سعدي: فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واصطفاهم ليس جاهلاً بحقائق الأشياء، أو يعلم شيئًا دون شيء، وإنما المصطفي لهم: السميع، البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاختياره إياهم عن علم منه أنهم أهل لذلك، وأن الوحي يصلح فيهم، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام:١٢٤](٣).

ولاشكّ أن الأنبياء والرسل يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صوره، كيف لا والله ﷻ اختارهم واصطفاهم لنفسه، فلابدّ أن يكون قد اختار أطهر البشر قلوبًا، وأزكاهم أخلاقًا، وأجودهم قريحة(٤).

وبما أنهم يمتازون بهذه الصفات؛ فهم لا يدعون إلا للخير والإصلاح، ولا ينهون الناس إلا عن الشر والفساد، كما قال ابن سعدي: "الأنبياء جميعهم بعثوا بالإصلاح والصلاح، ونهوا عن الشرور والفساد، فكل صلاح وإصلاح ديني ودنيوي فهو من دين الأنبياء"(٥).

---

(١) انظر: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ـ عبد الرزاق البدر (ص: ٢٠٦)
(٢) انظر: الرسل والرسالات ـ عمر الأشقر (ص: ٢١٠ـ ٢١١)
(٣) تيسير الكريم الرحمن ـ عبد الرحمن السعدي (ص: ٥٤٦)
(٤) انظر: الرسل والرسالات ـ عمر الأشقر (ص: ٧٩)
(٥) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ـ للسعدي، (ص:٢٢٢)

ثانيًا:النصوص التي تدل على أفضلية الأنبياء بعضهم على بعض

ومسألة التفاضل بين الأنبياء ثابتة شرعًا، ولقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن الأنبياء متفاضلون، وأن بعضهم أفضل من بعض، منها قوله تعالى:﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقال: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا**﴾[الإسراء:٥٥].

فالآية الأولى تدل على أن هناك مفاضلة بين الرسل، وأن بعض الرسل أفضل من بعض، وقد أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء، وذلك لأن الرسول أشمل وأعمّ من النبي، إذ كل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا[١]، وفي الآية الثانية يبين الله ﷻ أنه فضّل بعض النبيين المشتركين بوحيه على بعض بالفضائل، والخصائص الراجعة إلى ما منَّ به عليهم، من الأوصاف الممدوحة، والأخلاق المرضية، والأعمال الصالحة، وكثرة الأتباع، ونزول الكتب على بعضهم، المشتملة على الأحكام الشرعية والعقائد المرضية، كما أنزل على داود زبورًا وهو الكتاب المعروف[٢].

وهؤلاء الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى واختارهم هم أفضل البشر، وأما أفضل الأنبياء فهم الرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾[الحج:٧٥][٣]، وقول الرسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»[٤]. وقوله ﷺ: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ"[٥].

ولابد من التنبيه إلى أن اتفاق الأنبياء في الدعوة لا يمنع من تفاضلهم في الدرجات، والنصوص واضحة وصريحة في ذلك[٦].

---

(١) انظر:الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ـ عبد الرزاق البدر (ص:٢٠٣)، وشرح العقيدة السفارينية ـ لابن عثيمين (١/ ٥٦٤)

(٢) تيسير الكريم الرحمن ـ للسعدي (ص: ٤٦٠)

(٣) انظر:الرسل والرسالات ـ عمر الأشقر (ص: ٢٠٩)

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب (تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق) ح رقم: ٢٢٧٨ـ (١٧٨٢/٤)

(٥) صحيح مسلم ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ ح رقم:٥٢٣(٣٧١/١)

(٦) انظر: منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ـ تامر محمد متولي ، (ص :٧٠٠)

وتوجد نصوص أخرى تنهى عن المفاضلة، منهاقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٦]، وقوله ﷺ:«لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ فِي أَوَّلِ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ مُوسَى فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ»(١).

ولابد من الإشارة إلى أن هذه النصوص لا تعارض بينها، والتوفيق بينها يكون كما يأتي:

١- إن التفضيل كان بتخصيص الله لهم بهذه الأفضلية، وبما كان لكل منهم من عمل رائع فيه النفع للعباد، وهدايتهم، كما قال تعالى:﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[البقرة:٢٥٣]، والمتأمل في الآيات التي أخبرت بتفاضل الأنبياء والرسل، يجد أن الله فضّل مَن فضّل منهم بإعطائه خيرًا لم يعطه غيره، أو برفع درجته فوق درجة غيره، أو باجتهاده في عبادة الله والدعوة إليه، وقيامه بالأمر الذي وكل به،فداود عليه السلام فضله الله بإعطائه الزبور:﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء:٥٥]، وأعطى الله موسى التوراة التي اشتملت على الهداية، كما في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٢]،وقد اختص الله آدم بأنّه أبو البشر، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:٦١]، وفضَّل نوحًا بأنّه أوّل الرسل إلى أهل الأرض، وسمّاه الله عبدًا شكورًا، قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣]،وفضَّل إبراهيم باتخاذه خليلاً:﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء:١٢٥]، وجعله للناس إمامًا:﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤]، وفضل الله موسى برسالاته وبكلامه:﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي﴾[ص:٢١٩]، ﴿وَبِكَلاَمِي﴾ [الأعراف:١٤٤]، واصطنعه لنفسه:﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:٤١]، وأيده تعالى بالمعجزات والآيات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء:١٠١]، وفضَّل عيسى بأنّه رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكان يكلّم الناس في المهد:﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[النساء:١٧١](٢).

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب نفخ الصور ـ ح رقم : ٦٥١٧ـ (١٠٨/٨)

(٢) انظر: الرسل والرسالات ـ عمر الأشقر (ص: ٢١٧ـ ٢١٨ـ ٢١٩)

وأفضل الرسل: أولو العزم، وقد ذكر ابن سعدي أيضًا بعض ما امتاز به أفراد هؤلاء الرسل من الخصال، فذكر أن نوحًا عليه السلام امتاز بأنه أول رسول أرسله الله، وأنه الأب الثاني للبشرية، وجميع الأنبياء الذين جاءوا من بعده كلهم من ذريته، وذكر أن إبراهيم عليه السلام امتاز بأنه خليل الرحمن، وأن الله أكرمه بالكرامات المتنوعة، فجعل في ذريته النبوة والكتاب، واختاره الله لبناء بيته الذي هو أشرف بيت وأول بيت وضع للناس، ووهب له الأولاد بعد الكبر واليأس، وملأ بذكره ما بين الخافقين، وملأ قلوب الخلق من محبته وألسنتهم من الثناء عليه. وذكر أن موسى عليه السلام امتاز بأنه كليم الله، وأنه أعظم أنبياء بني إسرائيل، وأن شريعته وكتابه التوارة مرجع أنبياء بني إسرائيل وعلمائهم، وأن أتباعه أكثر أتباع الأنبياء غير أمة محمد ﷺ، وأن له من القوة العظيمة في إقامة دين الله والدعوة إليه والغيرة العظيمة ما ليس لغيره، وذكر أن عيسى عليه السلام امتاز بأن الله سبحانه آتاه من البينات الدالة على صدقه، وأنه رسول الله حقًّا، فجعله يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وكلم الناس في المهد صبيًا، وأيده بروح القدس، وذكر أن محمدًا ﷺ أفضل الرسل على الإطلاق، وأنه خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وصاحب لواء الحمد والحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة، الذي بعثه بأفضل كتبه وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم، وهم آخر الأمم خلقًا وأولهم بعثًا[١].

٢- أن التفضيل المنهي عنه هو نهي محمول على تفضيل يؤدي إلى تنقيص فضل غيره من الأنبياء، أو أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل، ويحتمل أن يكون قد قاله تأدبًا وتواضعًا[٢].

٣- أما قول الله تعالى:﴿**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾ [البقرة:٢٨٥]، يعني في الإيمان فلا يقبل إيمان أحد يكفر ببعضهم ويؤمن ببعض، إذ لابد من الايمان بهم جميعًا وتصديقهم، فهم رسل الله وأصفياؤه[٣].

٤- أما قول النبي ﷺ: "لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى" ؛ فجوابه أَنَّ هَذَا كَانَ لَهُ سَبَبٌ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ قَالَ يَهُودِيٌّ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَلَطَمَهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ: أَتَقُولُ هَذَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَجَاءَ الْيَهُودِيُّ فَاشْتَكَى مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَطَمَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا، لِأَنَّ التَّفْضِيلَ

(١) انظر:الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة ـ عبد الرزاق البدر (ص: ٢٠٥)
(٢) انظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ـ للبيجوري (ص:٢١٥)
(٣) انظر:جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (١٢٦/٦)

إِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْحَمِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ وَهَوَى النَّفْسِ كَانَ مَذْمُومًا، بَلْ نَفْسُ الْجِهَادِ إِذَا قَاتَلَ الرَّجُلُ حَمِيَّةً وَعَصَبِيَّةً كَانَ مَذْمُومًا، فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْفَخْرَ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: **﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾**[الإسراء:٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى:**﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾**[البقرة:٢٥٣]، فَعُلِمَ أَنَّ الْمَذْمُومَ إِنَّمَا هُوَ التَّفْضِيلُ عَلَى وَجْهِ الْفَخْرِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الِانْتِقَاصِ بِالْمَفْضُولِ، وَعَلَى هَذَا(١).

٥- النهي الوارد في النصوص هو نَهْيٌ عَنِ التَّفْضِيلِ الْخَاصِّ، أَيْ: لَا يُفَضَّلُ بَعْضُ الرُّسُلِ عَلَى بَعْضٍ بِعَيْنِهِ، بِخِلَافِ قَوْلِهِ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»، فَإِنَّهُ تَفْضِيلٌ عَامٌّ فَلَا يُمْنَعُ مِنْهُ. وَهَذَا كَمَا لَوْ قِيلَ: فُلَانٌ أَفْضَلُ أَهْلِ الْبَلَدِ، فيكون الأمر مقبولًا، بِخِلَافِ مَا لَوْ قِيلَ لِأَحَدِهِمْ: فُلَانٌ أَفْضَلُ مِنْكَ(٢).

ثالثًا: بيان فضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء

إن فضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء أمر مجمع عليه، وقد اتضح ذلك من كلام ابن كثير فيقوله:"وَلَا خِلَافَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَلُهُمْ، ثُمَّ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ مُوسَى عَلَى الْمَشْهُورِ"(٣)، ومن الأدلة على ذلك: قول رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(٤).

وبين العلماء أفضلية سيدنا محمد ﷺ، ومن ذلك ما قاله عبد الغني المقدسي: "ونعتقد أن محمدًا المصطفى خير الخلائق، وأفضلهم، وأكرمهم على الله ﷻ، وأعلاهم درجة، وأقربهم إلى الله وسيلة، بعثه الله رحمة للعالمين، وخصه بالشفاعة في الخلقأجمعين"(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: "وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج، لما صار بمستوى يسمع فيه صريف الأقلام، وعلا على مقامات الملائكة، ... ومحمد سيد ولد آدم، وأفضل الخلق، وأكرمهم عليه"(٦).

والنبي ﷺ:"خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وصاحب لواء الحمد،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية،ابن أبي العز الحنفي، (١/ ١٥٨) بتصرف يسير.
(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية،ابن أبي العز الحنفي (١/ ١٦٠)
(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير (٥/ ٨٨)
(٤) صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق - ح رقم : ٢٢٧٨- (٤/١٧٨٢)
(٥) الاقتصاد في الاعتقاد - عبد الغني المقدسي، (ص: ١٩٦)
(٦) مجموعة الرسائل والمسائل - لابن تيمية، (١/ ١٥٥)

وصاحب الحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة، الذي بعثه الله بأفضل كتبه، وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم"(١).

رابعًا: دلالة سورة الإسراء على أفضلية نبينا محمد ﷺ

أ – دلالة معجزة الإسراء والمعراج على تفضيل الرسول ﷺ

إن معجزة الإسراء والمعراج معجزة عظيمة، سيتم الحديث عنها وتفصيلها في المبحث القادم من هذا الفصل، وهي تدلل دلالة واضحة على فضل سيدنا محمد ﷺيتضح ذلك من خلال عدة وجوه:

الوجه الأول: اختصاصه ﷺ بهذه المعجزة، فهي لم تقع لغيره من الأنبياء، وهذا ما بينه شيخ الإسلام بقوله:"وَهَذَا النَّوْعُ لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلُهُ، يَظْهَرُ بِهِ تَحْقِيقُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾ [البقرة:٢٥٣](٢).

الوجه الثاني: إمامته ﷺ بجميع الأنبياء عليهم السلام في بيت المقدس حين قدمه جبريل عليه السلام للإمامة، فصلى بالأنبياء إمامًا. واستدل بهذا الأمر ابن كثير، فقال: "وَلِهَذَا جُمِعُوا لَهُ هُنَالِكَ كُلُّهُمْ، فَأَمّهم فِي مَحِلّتهم، وَدَارِهِمْ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ، وَالرَّئِيسُ الْمُقَدَّمُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ"(٣)، وقال في موضع آخر: "ثُمَّ أَظْهَرَ شَرَفَهُ وَفَضْلَهُ عَلَيْهِمْ بِتَقْدِيمِهِ فِي الْإِمَامَةِ"(٤).

الوجه الثالث: بلوغه ﷺ حيث بلغ ومجاوزته جميع الأنبياء دليل على فضله ﷺ، قَالَ الْقَاضِي عياض –رَحِمَهُ اللَّهُ:"وَفِي عُلُوِّ مَنْزِلَةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَارْتِفَاعِهِ فَوْقَ مَنَازِلِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَبُلُوغِهِ، حَيْثُ بَلَغَ من ملكوت السماوات دَلِيلٌ عَلَى عُلُوِّ دَرَجَتِهِ وَإِبَانَةِ فَضْلِهِ"(٥).

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية ـ (ص: ١١)
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ لابن تيمية (٦/ ١٦٩)
(٣) تفسير القرآن العظيم . ابن كثير (٥/ ٥)
(٤) المصدر السابق: (٥/ ٤٣)
(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ـ للنووي ، (٢/ ٢٢١)

ب – دلالة الشفاعة على فضله ﷺ

والشفاعة في اللغة: من"الشَّفْعُ: خِلَافُ الوَتْر، وَهُوَ الزَّوْجُ"[(١)]، والشَّفع من الْعدَد: مَا كَانَ زوجًا، تَقول: كَانَ وِترًا فشفعته بآخر، والشافع: الطالبُ لغيره يستشفِع بِهِ إِلَى الْمَطْلُوب"[(٢)]، والشَفيعُ: صاحب الشُفْعَةِ وصاحب الشَفاعَةِ"[(٣)].

والشفاعة اصطلاحًا: "هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه"[(٤)].

والشفاعة ثابتة للرسول ﷺ بالقرآن والسنة، وتنقسم قسمين:

الأول: أنواع خاصة بالنبي ﷺ.

والثاني: أنواع مشتركة بينه وبين غيره من الأنبياء، والملائكة والصالحين والأولاد الذين ماتوا قبل البلوغ، وجميعهم يشفعون عند الله ﷻ، وأما الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ فهي أنواع:

أولها: شفاعته عليه الصلاة والسلام في أهل الموقف[(٥)]، وهذا النوع هو الوارد ذكره في سورة الإسراء، ومن أدلتها ما رواه البخاري عن ابْنَ عُمَرَ ﵄: "إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا[(٦)]، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ المَقَامَ المَحْمُودَ"[(٧)].

وحقيقة هذا النوع من الشفاعة أن الناس إذا طال بهم الموقف يوم القيامة، واشتد الكرب، واشتد الزحام، ودنت الشمس من الرؤوس، وحصل الكرب العظيم، فيطلب الناس من يشفع لهم لفصل القضاء بينهم وصرفهم من هذا الموقف: إما إلى جنة وإما إلى نار، فيُلهمون أن الأنبياء هم الواسطة بين الله وخلقه، فيأتون الرُسل عليهم السلام:آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وجميعهم يعتذرون، ويكون بين كل نبي منهم ألف سنة،ثم يذهبون إلى محمد ﷺ فيقول: "أنا لها، أنا لها"، ثم يأتي فيخر ساجدًا بين يدي الله ﷻ، ويحمده ويثني عليه ويدعوه، فيؤذن له

(١) لسان العرب ـ ابن منظور (٨/ ١٨٣)
(٢) تهذيب اللغة (١/ ٢٧٨)
(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ـ أبو نصر الفارابي (٣/ ١٢٣٨)
(٤) التعريفات ـ للجرجاني (ص: ١٢٧)
(٥) انظر: التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية ـ لصالح الفوزان (ص : ٩٨)
(٦) جثا، بِضَم الْجِيم وَفتح الْمُثَلَّثَة مَقْصُورا، أَي: جماعات وَاحِدهَا: جثوَة. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ بدر الدين العينى (٣١/١٩)
(٧) صحيح البخاري ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب قوله : {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: ٧٩] . ح رقم : ٤٧١٨ـ (٨٦/٦).

بالشفاعة، فهو ﷺلا يشفع مباشرة، بل يسجد ويدعو ويثني على الله، ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ثم يؤذن له بالشفاعة، فيشفع للفصل بين الخلائق فيقبل الله شفاعته، ويأتي ﷺ لفصل القضاء بين عباده(١)، ويقول رب العزة لرسوله ﷺ:"ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَقُلْ يُسْمَعْ لِقَوْلِكَ، وَهُوَ المَقَامُ المَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]"(٢).

وهذه هي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون، والذي وعده الله تعالى أن يبعثه إياه، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]،يَعْنِي أن هذا الأمر يحمده عليه أهل الموقف جميعًا،وقد أمرنا النبي ﷺ إذا سمعنا النداء أن ندعو الله تعالى بأن يبعثه ﷺ المقام المحمود لننال شفاعته(٣)، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ؛ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ"(٤).

وخلاصة القول:إن سيدنا محمدًاﷺ أفضل المخلوقات العلوية والسفلية، من البشر والجن والملائكة في الدنيا والآخرة، في سائر خصال الخير وأوصاف الكمال، والأنبياء يلونه في الفضل ويَتبعونه،فيليه في الفضل سيدنا إبراهيم، فسيدنا موسى، ثم سيدنا عيسى، ثم سيدنا نوح، وهم أولو العزم من الرسل، الذين ضربوا مثالاً رائعًا في الصبر وتحمل المشاق(٥).

مما سبق يتبين أن الرسل عليهم السلام هم صفوة الخلق وأفضلهم، وأن الرسالة منحة من الله للمستعد لها، والقادر على حملها، والأنبياء هم من يمثلون هذا الاستعداد بكمالهم الإنساني في أرقى صوره، وإن مسألة التفاضل ثابتة بالشرع للنصوص والأحاديث الواردة في ذلك، أما النصوص التي تنهى عن التفاضل فهي نصوص خاصة، وأن نبينا محمدًاﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين، وأفضل الخلق أجمعين.

---

(١) انظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ـ للبيجوري (ص: ٣٠٥)، والتعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية ـ لصالح الفوزان، (ص: ٩٩)

(٢) سنن الترمذي ـ أبواب تفسير القرآن ـ باب من سورة بني إسرائيل ـ ح رقم : ٣١٤٨. (٣٠٨/٥) . وقال الشيخ الألباني: صحيح .

(٣) شرح العقيدة الواسطية ـ للهراس (ص: ٢١٦ـ٢١٧)

(٤) صحيح البخاري ـ كتاب الأذان ـ باب الدعاء عند النداء ـ ح رقم : ٦١٤ـ (١٢٦/١)

(٥) انظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ـ للبيجوري (ص : ٢١٤ـ ٢١٦)

المطلب الرابع
مسائل متعلقة بالنبوات في السورة

أولاً: شبهة الاعتراض على بشرية الرسول ﷺ

إن من الشبهات الواردة عند الكفار استبعادهم أن يبعث الله ﷻ الى الخلق رسولاً من البشر، بل اعتقدوا أن الله تعالى لو أرسل رسولاًإلى الخلق لوجب أن يكون هذا الرسول من الملائكة وليس من البشر، وذلك قمة التعنت والفساد منهم(١)، وقد توفر عندهم تصوران باطلان يوضحان حقيقة هذه الشبهة(٢):

التصور الأول: استبعادهم أن يكون الرسول من البشر، فكانوا يقولون: إنه لا يمكن أصلاً أن يوحي الله الى واحد من البشر، ذلك أن تصورهم لقدرة الله ناقص ومحدود، وهو تصور في نطاق ذواتهم فحسب، ولأنه لا يخطر ببالهم أن يتلقوا وحيًا في يوم من الأيام، فلذلك فهم يقيسون كل البشر على أنفسهم، فيقولون: إنه من المستحيل أن يتنزل الوحي على واحد من البشر، قال تعالى:﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء:٩٤].

التصور الثاني: أنهم قالوا: إذا كان الله يريد فعلاً أن يصنع هذه العجيبة الخارقة وهي تنزيل الوحي، فلابد أن يكون كل ما يتعلق بها عجيبًا وخارجًا عن تصور البشر، ولذلك فهم لا يجوزون أن ينزل الوحي على واحد من البشر، ذلك أن ظاهرة الوحي لا تتناسب من وجهة نظرهم مع البشرية المألوفة عندهم، لكن الذي يتناسب مع هذه الظاهرة عندهم هو نزول ملك من السماء يتنزل عليه الوحي، أو على الأقل يكون مع الرسول الذي يتنزل عليه الوحي:﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾[الأنعام:٨].

الرد عليهم

نستطيع الرد عليهم بمجموعة من الردود التي تقنع العقول وتلائم الفطرة السليمة، ومنها:

١- أن الله تعالى يصطفي أفرادًا من البشر، فيمنحهم القدرة على تلقي الوحي بأجهزة خاصة في نفوسهم، دون أن يخرجهم عن حدودهم البشرية(٣).

٢- أن الله له حكمة بالغة في إرسال الرسول من البشر، لتتوفر فيه جميع الغرائز البشرية، حتى يكون في دعوته وأفعاله وأخلاقه حجة عليهم، وحتى يضرب بنفسه المثل على استطاعة البشر تطبيق أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه(٤).

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي (٤١٠/٢١)

(٢) انظر: ركائز الإيمان ـ محمد قطب، (٢٧٠ـ ٢٧١)

(٣) انظر: المصدر السابق، (ص:٢٧١)

(٤) انظر:العقيدة الإسلامية وأسسها ـ عبد الرحمن الميداني ـ (ص:٣٩٢)

٣- حكمة جعل الرسول من غير البشر منتفية تمامًا، لأن الرسول لا يأتي بالتبليغ فقط أو أداء مهمة في فترة قصيرة، ولكنه يأتي ليمكث مع الناس حتى يربي فئة منهم على الحق، ويشكل هو بذاته القدوة العملية للناس، فكيف ستتحقق القدوة إن كان الرسول من غير البشر[١]؟

٤- لقد علَّم الله تعالى رسوله الكريم ﷺ أن يقول لهم:﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء:٩٥][٢].

٥- وفي الرد عليهم بهذه الآية التنبيه الى مقتضى الحكمة العظيمة في إرسال الرسل من البشر وهي:

أ- أن المناسب في رسل البشر أن يكونوا بشرًا مثلهم، فيهم جميع طبائع البشر وغرائزهم، وأنه لو كان في الأرض ملائكة يمشون كما يمشي البشر لاستدعى الحال أن يرسل الله تعالى لهم ملكًا منزلًا من السماء ويجعله رسولاً له، فالحكمة تقتضي المشاكلة والمجانسة للذين يُرسل إليهم[٣].

ب- أن الملائكة لا يمشون في الأرض مطمئنين كالبشر، لأن خلقتهم لا تتناسب مع سكنى الأرض[٤].

ج- أن الرسول لو جاء من الملائكة فلابد أن يأتي على صورة بشرية، حتى يستطيعوا مشاهدته، وحتى تتلاءم صورته البشرية مع مستوى حواسهم، فإذا ترك الطعام والشراب والنكاح عرفوا أنه يخالفهم في طبيعتهم، فيكون ذلك مبررًا لهم في تركهم لأوامر الله واجتناب نواهيه، ويكون مبررهم أنه لا يحمل مثل غرائزهم، ولو أنه حمل هذه الغرائز لوقعت منه المخالفة للأوامر والنواهي، والوقوع في المعاصي، مما يؤدي إلى الاعتراض على الله تعالى، وإضافة شبهة أخرى إلى شبهات كفرهم الباطلة[٥].

وخلاصة القول:إن صفة البشرية في الرسل تعتبر في نظر العقل السليم من كمال الحكمة، وحتى لا يكون هناك عائق بين الناس وبين الاقتداء برسولهم.

(١) انظر:ركائز الإيمان ـ محمد قطب (ص:٢٧٢)

(٢) انظر:العقيدة الإسلامية وأسسهاـ عبد الرحمن الميداني (ص:٣٩٣)

(٣) انظر: المصدر السابق، (ص:٣٩٣)

(٤) انظر:ركائز الإيمان ـ محمد قطب، (ص:٢٧١)

(٥) انظر:العقيدة الإسلامية وأسسهاـ الميداني(ص:٣٩٢)، وركائز الإيمان ـ محمد قطب (ص:٢٧١)

ثانيًا:الكتب السماوية الواردة في السورة

تحدثت سورة الإسراء عن ثلاثة كتب سماوية وهي: القرآن الكريم، التوراة، الزبور، وسيتم الحديث في هذا المبحث عن اثنين منها، وهما: التوراة، والزبور، أما الحديث عن القرآن الكريم فسيكون منفردًا في المبحث الثالث من هذا الفصل، وقبل البدء بالحديث عنها سيتم تعريف الكتب السماوية، ومعنى الإيمان بها، وعقيدتنا فيها.

المقصود بالكتب السماوية

الكتب: هي ما اشتملت على كلامٍ مفيدٍ، له أغراض متعددة، وكتب الله تعالى التي يجب الإيمان بها، هي الصحف التي حوت كلام الله ﷻ الذي أوحاه إلى رسله عليهم السلام، فإما أن تكون قد كونت كتبًا كالتوراة والزبور والإنجيل والقرآن الكريم، وإما أن تكون قد بقيت صحفًا كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام(١).

والإيمان بالكتب السماوية جزء من عقيدة المؤمن، ومعناه التصديق الجازم بما أوحاه الله لرسله عليهم السلام، من كلامه الخاص، فهو إما أن يكون صحفًا مطهرة، أو كتبًا قيمة(٢).

وأماعقيدتنا في الكتب السماوية فهي كعقيدة رسولنا ﷺ، وهي الإيمان بها كلها، دون استثناء، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة:٢٨٥](٣).

الكتب السماوية في السورة غير القرآن

أولاً:التوراة

تعريف التوراة: في اصطلاح المسلمين: "التَّوْرَاة هي الْكتاب الْمنزل على مُوسَى عليه السلام"(٤)، ويتضمن الصحف التي أنزلها الله تعالى عليه، والألواح التي أتى بها بعدما ناجى ربه ﷻ في جانب الطور(٥).

ولقد ذكر الله ﷻ لفظ التوراة في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة، وذُكرت باسم النور، والكتاب، والهدى مرات عديدة، وقد أنزلها الله على سيدنا موسى عليه السلام كاملة مكتوبة، ولكن بني

---

(١) انظر:عقيدة المؤمن – أبو بكر الجزائري – (ص:١٣٥) .

(٢) انظر: المصدر السابق (ص:١٣٥) .

(٣) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها- الميداني (ص:٥٣٦) .

(٤) المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١/ ٩٠)

(٥) انظر:العقيدة الإسلامية وأسسها ـ الميداني (ص:٥٤٦)

إسرائيل –لعنهم الله تعالى– حرَّفوها وبدَّلوها، بالإضافة إلى ضياع أجزاء كثيرة منها في أثناء الحروب والسبي[١].

وفي سورة الإسراء ورد ذكرها بلفظ الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾[الإسراء:٢]. أي:"وجعلنا الكتاب الذي هو التوراة بيانًا للحقّ، ودليلاً لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم، وأمرهم به، ونهاهم عنه"[٢].

"وقد نصت الآية على القصد الأول من إيتاء موسى الكتاب: «هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا»، فلا يعتمدوا إلا على الله وحده، ولا يتجهوا إلا إلى الله وحده، فهذا هو الهدى، وهذا هو الإيمان، فما آمن ولا اهتدى من اتخذ من دون الله وكيلًا"[٣].

والكتب السماوية جاءت كلها بالهداية، يقول سيد قطب –رحمه الله: "لقد جاء كل دين من عند الله ليكون منهج حياة، منهج حياة واقعية، جاء الدين ليتولى قيادة الحياة البشرية، وتنظيمها، وتوجيهها، وصيانتها، ولم يجئ دين من عند الله ليكون مجرد عقيدة في الضمير، ولا ليكون كذلك مجرد شعائر تعبدية تؤدى في الهيكل والمحراب، فهذه وتلك على ضرورتهما للحياة البشرية وأهميتهما في تربية الضمير البشري، لا يكفيان وحدهما لقيادة الحياة وتنظيمها وتوجيهها وصيانتها، ما لم يقم على أساسهما منهج ونظام وشريعة، تطبق عمليًا في حياة الناس، ويؤخذ الناس بها بحكم القانون والسلطان، ويؤاخذ الناس على مخالفتها، ويؤخذون بالعقوبات"[٤].

ولفظ التوراة: كلمة عبرانية معناها: التعليم، أوالشريعة[٥]، أو الناموس[٦]، والمراد بالشريعة هي الشريعة المكتوبة[٧].

ويراد بها في اصطلاح اليهود: "خمسة أسفار يعتقدون أن موسى عليه السلام كتبها بيده، ويسمونها: "بنتاتوك" نسبة إلى "بنتا"، وهي كلمة يونانية تعني: خمسة، أي: الأسفار الخمسة"[٨].

والأسفار الخمسة هي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية، وتعريفها كالآتي:

---

(١) انظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد الجديد – محمد علي البار (ص:١١١) .
(٢) جامع البيان ـ الطبري (١٧/ ٣٥٢)
(٣) في ظلال القرآن ـ سيد قطب (٤/ ٢٢١٣)
(٤) المصدر السابق: (٢/ ٨٩٥)
(٥) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ـ الميداني (ص:٥٤٦)
(٦) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ـ سعود الخلف (ص: ٧٤)
(٧) انظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ـ محمد علي البار (ص:١١١)
(٨) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ـ سعود الخلف (ص: ٧٤)

١- سفر الخلق أو التكوين كما يسمى في اللغة العبرية، وسبب تسميته بهذا الاسم، اشتماله على قصة خلق العالم، وخلق الإنسان الأول، وقصة الخطيئة التي ارتكبها آدم أبو البشر، بالإضافة إلى قصص أخرى متنوعة، مثل قصة نوح ﷺ، وقصة إبراهيم ﷺ، وقصة يعقوب وأولاده وبخاصة يوسف ﷺ، وما جرى له إلى أن أصبح ذا شأن كبير، وينتهي هذا السفر بوفاة يوسف ﷺ[١]، ويقع هذا السفر في خمسين إصحاحًا أو فصلًا[٢].

٢- سفر الخروج: وفيه الحديث عن كيفية خروج سيدنا موسى ﷺ ببني إسرائيل من مصر، والمعجزات الخارقة التي قام بها موسى ﷺ، وعن إنزال الوصايا العشر عليه، وقصة التيه في الصحراء، بالإضافة إلى ذكر مجموعة من الشرائع الدينية والمدنية، التي تلقاها[٣]، ويقع هذا السفر في أربعين إصحاحًا[٤].

٣- سفر اللاويين: وفيه بيان معظم شؤون العبادات، خاصة ما تعلق منها بالأضحية والقرابين، وفيه ذِكر للمحرمات من الحيوانات والطيور، وسبب تسميته بهذا الاسم نسبة إلى "لاوي" أو "ليفي" أبو اللاويين، وهو أحد أبناء يعقوب ﷺ، وإلى اللاويين ينتسب كل من موسى وهارون عليهما السلام، واللاويون هم سدنة الهيكل، والمشرفون على الذبح والأضاحي، وهم القائمون على الشريعة[٥]، ويقع في سبعة وعشرين إصحاحًا[٦].

٤- سفر التثنية: وسمي بهذا الاسم بسبب إعادته لذكر التعاليم التي تلقاها موسى ﷺ من ربه ﷻ، وأمره الله تعالى أن يقوم بتبليغها لبني إسرائيل، وفي معظمه بيان أحكام الشريعة اليهودية المتعلقة بالحروب والسياسة، وشؤون الاقتصاد، والمعاملات والعقوبات والعبادات، إلى آخر ذلك من الأحكام[٧]، ويقع في أربعة وثلاثيناإصحاحًا[٨].

٥- سفر العدد: ويشتمل على تاريخ بني إسرائيل في أثناء التيه في صحراء سيناء، حتى وصولهم إلى أرض مؤاب، وقد استمر هذا التيه أربعين سنة، وفيه ذكر لحوادث كثيرة تعرضوا لها في

---

(١) انظر : مقارنة الأديان اليهودية – أحمد شلبي (ص:٢٣٣) .
(٢) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم – محمد علي البار – (ص:١٨٠).
(٣) انظر: اليهودية بين النظرية والتطبيق – علي خليل – (ص:٢٢)
(٤) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم – محمد علي البار – (ص:١٨٣) .
(٥) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام – علي عبد الواحد وافي – (ص:١٥) .
(٦) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم – محمد علي البار – (ص:١٨٨) .
(٧) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام – علي عبد الواحد وافي – (ص:١٤–١٥) .
(٨) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم – محمد علي البار – (ص : ٢٠٠) .

أثناء التيه، بسبب عصيانهم وسلوكهم غير السويّ[١]، وسُمي هذا السفر بالعدد لاشتمال معظمه على إحصائات كثيرة عن قبائل بني إسرائيل وجيوشهم، وجميع الأمور التي يمكن إحصاؤها من شؤونهم، بالإضافة إلى مجموعة من الأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات[٢].

ومن الجدير بالذكر أن التوراة التي صدّق بها القرآن الكريم إنما هي الأصول الأولى التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، أما التوراة الموجودة الآن فليس لها سند متصل يصحح نسبتها إلى موسى عليه السلام، ناهيك عن التحريف والتبديل الذي دخل إليها من غير تمييز بين الأصل والمحرف، فلا يصح أن تكون كتابًا موثوقًا به[٣].

والدليل على عدم صحة نسبة الأسفار لموسى عليه السلام، ما ورد في هذه الأسفار ومنه: "**فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ، وَدَفَنَهُ فِي الْجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ**"[٤]، وهذا النص لا يُعقل أن يكتبه موسى عليه السلام عن نفسه[٥].

وجاء في سفر التكوين: "**وَهؤُلاَءِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكُوا فِي أَرْضِ أَدُومَ، قَبْلَمَا مَلَكَ مَلِكٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**"[٦]، وتدلل العبارة على أنها كُتبت في عهد ملوك بني إسرائيل أو بعده، ومن المعروف أن عهد ملوك بني إسرائيل متأخر عن موسى عليه السلام بعشرات أو مئات السنين[٧].

أما بالنسبة للتحريف فقد أخبرنا القرآن الكريم أن أهل الكتاب حرفوا كتبهم،فلم تعد في صورتها التي أنزلها الله تعالى عليها، ولقد تبين ذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى عن اليهود: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾[النساء:٤٦][٨].

وترى الباحثة أن هذا التحريف والتغيير والتبديل في الكتاب السماوي، هو من جملة فساد اليهود في الأرض، فالفساد منهم لم يطل البشر والحجر والشجر فحسب، بل كان مسبوقًا بتحريف الكتب السماوية كلام الله عز وجل، وتغييرها وتبديلها حسب أهوائهم وما ترتئيه عقولهم.

(١) انظر: اليهودية بين النظرية والتطبيق – علي خليل – (ص: ٢٢) .
(٢) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام – علي عبد الواحد وافي – (ص:١٥)
(٣) انظر : العقيدة الإسلامية وأسسها – الميداني – (ص : ٥٤٧) .
(٤) سفر التثنية: (٣٤: ٥ـ ٦)
(٥) انظر: مقارنة الأديان – طارق السعدي – (ص:٦٧).
(٦) سفر التكوين: (٣٦ /٣١)
(٧) انظر: مقارنة الأديان – طارق السعدي ـ (ص:٦٧)
(٨) انظر: ركائز الإيمان ـ محمد قطب (ص: ١٩٣)

موقف العقيدة الإسلامية من كتب اليهود

إن موقف العقيدة الإسلامية حول هذه الكتب يتلخص في الآتي(١):

١- لا يصح الاعتقاد بأي من هذه الكتب على أنه كتاب من عند الله، لأنه فقد وسائل صحة النسبة إلى الله تعالى.

٢- مضمون كل نص من نصوص الكتب الحالية سواء كان خبرًا تاريخيًا أو حقيقة علمية، أو حكمًا شرعيًا، فإن صدّقه القرآن أو صدقته السنة فهو مقبول عندنا يقينًا، وإن كذبه القرآن أو كذبته السنة فهو مردود، وإن تم السكوت عنه من القرآن والسنة نسكت عنه، فلا نصدقه ولا نكذبه، لاحتمال الصدق والكذب فيه.عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**﴾[البقرة:١٣٦]، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ الآيَةَ"(٢).

ثانيًا: الزبور

الزبورلغة

"من زَبَرْتُ الْكِتَابَ زَبْرًا: كَتَبْتُهُ، فَهُوَ زَبُورٌ، فَعُولٌ: بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، مِثْلُ: رَسُولٍ، وَجَمْعُهُ: زُبُر، بِضَمَّتَيْنِ"(٣).

والزبور: "هو الكتاب السماوي الذي أنزله الله على داود عليه السلام"(٤).قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾ [الإسراء:٥٥]. فالآية تدل على أن الله تعالى نزّل على داود عليه السلام كتابًا سماويًا اسمه الزبور. قال الطبري: "وآتى داود زبورًا، كنا نحدّث دعاء عُلِّمه داود، تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود"(٥).

وقال الفخر الرازي: "وَآتَيْنا داوُدَ زَبُورًا: يَعْنِي أَنَّ دَاوُدَ كَانَ مَلِكًا عَظِيمًا، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَذْكُرْ مَا آتَاهُ مِنَ الْمُلْكِ وَذَكَرَ مَا آتَاهُ مِنَ الْكِتَابِ، تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ التَّفْضِيلَ الَّذِي ذَكَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، الْمُرَادُ مِنْهُ التَّفْضِيلُ بِالْعِلْمِ وَالدِّينِ لَا بِالْمَالِ"(٦).

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها – للميداني (ص:٥٨٥) .
(٢) صحيح البخاري ـ كتاب الشهادات ـ باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة ـ ح رقم:٧٣٦٢ ـ (١٨١/٣)
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ـ أحمد بن محمد أبو العباس (١/ ٢٥٠)
(٤) العقيدة الإسلامية وأسسها ـ للميداني ـ (ص:٥٥٢)
(٥) جامع البيان ـ للطبري (١٧/ ٤٧٠)
(٦) مفاتيح الغيب ـ للرازي (٢٠/ ٣٥٦)

وجاء في نظم الدرر: "فاوت سبحانه بينهم على حسب علمه بأحوالهم حتى في الوحي، فخص من بينهم داود ﷺ بكتاب كله مواعظ، والمواعظ أشد شيء منافاة للمشي في الأرض مرحًا، ونهيًا عنه، وأعظم شيء أمرًا بالقول الذي هو أحسن من الإخلاص والمراقبة والإحسان، هذا إلى ما ذكر فيه من التسبيح من كل شيء الذي هو من أعظم مقاصد السورة كما تقدم نص الزبور به قريبًا، فكان ذكر تفضيله به هنا أنسب شيء لهذا المقام، وفي ذلك أعظم إشارة وأجل تنبيه على فضل بيت المقدس، الذي جعله سببًا لتفضيل الأنبياء تارة بالهجرة إليه، كإبراهيم ﷺ وتارة بقصد تطهيره من الشرك وتنويره بالتوحيد كموسى ﷺ، وتارة بتأسيس بنيانه وتشييد أركانه كداود ﷺ، وتارة بالإسراء إليه والإمامة بالأنبياء عليهم السلام به والعروج منه إلى سدرة المنتهى والمقام الأعلى"[(١)].

وجاء في التفسير المنير:"ومما ورد في الزّبور أنّ محمدًا ﷺ خاتم النّبيين، وأن أمته خير الأمم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، وفيه تنبيه على فضله وشرفه"[(٢)].

ومن ذلك ما جاء في زبور داود ﷺ في مزمور خمسة وأربعين:"انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ، لِذلِكَ بَارَكَكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ، تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ، وَبِجَلاَلِكَ اقْتَحِمِ، ارْكَبْ، مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالدَّعَةِ وَالْبِرِّ، فَتُرِيَكَ يَمِينُكَ مَخَاوِفَ، نَبْلُكَ الْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ، شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ"[(٣)]، فهو من أوضح الأدلة على نبوة سيدنا محمدﷺ، فالنعمة التي انسكبت من شفتيه هو القول الذي يقوله، وهو الكتاب الذي أُنزل عليه والسنة التي سنها، ولم يتقلد بالسيف والنبال المسنونة من الأنبياء بعد داودﷺ إلا سيدنا محمدًاﷺ، وتميزت شرائعه بالهيبة كقوله ﷺ: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ"[(٤)][(٥)].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ البقاعي (١١/ ٤٤٦)

(٢) التفسير المنير- للزحيلي (١٥/ ١٠١- ١٠٢)

(٣) المزمور: (٤٥: ٢- ٥)

(٤) صحيح البخاري: كتاب الصلاة ـ باب قول النبي ﷺ: "جعلت لي الأرض مسجداً وطهورًا"، ح رقم:٤٣٨- (٩٥/١)

(٥) انظر: منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ـ عبد العزيز آل معمر، (١/ ٢٨١)

كما صرح الزبور بإثبات التوحيد في مواضع كثيرة[1]، منها ما جاء فِي المزمور واحد وثَمَانِينَ مَا نصه: "لاَ يَكُنْ فِيكَ إِلهٌ غَرِيبٌ، وَلاَ تَسْجُدْ لإِلهٍ أَجْنَبِيٍّ، أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ"[2].

ولابد من الإشارة إلى أن القرآن صدق بما أنزل على داوود،لا ما دخل فيه من التحريف من عمل اليهود، لذلك فنحن نؤمن إيمانًا جازمًا بأن الله أنزل على داوود كتابًا من عنده اسمه الزبور[3].

مما سبق يتبين أن الله تعالى أنزل كتبًا سماوية عدة، كانت سابقة لنزول القرآن الكريم، منها التوراة والزبور، وأن هذه الكتب جرى عليها التغيير والتحريف والتبديل، وأن عقيدتنا كمسلمين هي الإيمان بهذه الكتب قبل تحريفها، أما بعد التحريف فلا نؤمن بها ولا نعتمدها، ولا تُعدّ بالنسبة لنا مصدرًا موثوقًا به، باستثناء النصوص الموافقة لشرعنا وقرآننا.

---

(١) انظر: إرشاد الثقات ـ للشوكاني (ص: ٧)

(٢) المزمور (٨١ : ٩ـ ١٠)

(٣) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ـ للميداني(ص:٥٥٢)

المبحث الثاني

معجزة الإسراء والمعراج

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول : تعريف المعجزة والفرق بينها وبين خوارق العادات الأخرى

المطلب الثاني : التعريف بمعجزة الإسراء و المعراج .

المطلب الثالث : معجزة الإسراء و المعراج بين المنظور العلمي و الشرع الرباني .

المطلب الرابع : الإسراء كان بروح النبي و جسده و الرد على من قال أن الإسراء كان بالروح فقط .

المطلب الخامس : اشتمال معجزة الإسراء و المعراج على مجموعة من المعجزات .

المطلب السادس : مقاصد وآثار معجزة الإسراء و المعراج على الفرد والمجتمع .

المطلب الأول

تعريف المعجزة،والفرق بينها وبين خوارق العادات

أولاً: المعجزة لغة

"اسم فاعل من العَجْز، الَّذى هو زوال القدرة عن الإتيان بالشىء من عمل أَو رأْى أَو تدبير"[١].

ثانيًا: المعجزة اصطلاحًا

عرفها الإسفراييني[٢]: "المعجزة فعل يظْهر على يَدي مدعي النُّبُوَّة بخِلَاف الْعَادة فِي زمَان التَّكْلِيف مُوَافقا لدعواه، وَهُوَ يَدْعُو الْخلق إِلَى معارضته، ويتحداهم أَن يَأْتُوا بِمثْلِهِ، فيعجزوا عَنهُ، فيبين بِهِ صدق من يظْهر على يَده"[٣].

وعرفها السيوطي: "الْمُعْجِزَةَ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، مقرون بالتحدي، سالم عن الْمُعَارَضَةِ"[٤].

وعرفها الميداني[٥]: "المعجزة أمر ممكن عقلًا، خارق للعادة، يجريه الله على يد من أراد أن يؤيده، ليثبت بذلك صدق نبوته، وصحة رسالته"[٦].

ثالثًا: شروط المعجزة

هناك شروط عديدة للمعجزة وفقًا للتعريفات السابقة، وهي[٧]:

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادى، (١/ ٦٥)،

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق: (٥١٤هـ - ٥٧٧هـ)من علماء الفقه والأصول، نشأ في أسفرايين (بين نيسابور وجرجان)، ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له فيها مدرسة عظيمة فدرّس فيها، فاشتهر. من كتبه (الجامع) في أصول الدين، خمس مجلدات، و(رسالة) في أصول الفقه. وهو أيضًا ثقة في رواية الحديث. وله العديد من المناظرات مع المعتزلة. انظر: الأعلام للزركلي، (١/ ٦١)

(٣) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين - للأسفراييني، (ص: ١٦٩)

(٤) الإتقان في علوم القرآن - السيوطي (٤/ ٣)

(٥) هو فضيلة الشيخ العلاَّمة عبد الرحمن حَبَنَّكَة المَيداني الدِّمشقي، ولد سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م)، في أحد أعرق أحياء دمشقَ، حيِّ المَيدان، لأُسرة علمٍ ودعوة وجهاد؛ فأبوه العلاَّمةُ المربِّي المجاهد حاملُ لواء الدَّعوة في الشام، الإمامُ حسن حَبَنَّكَة المَيداني، تلقى الشيخُ العلمَ في المدرسة الشَّرعيَّة النَّموذجيَّة التي أسَّسها، تخرج من الأزهر، ثم عملَ مُدرِّسًا في ثانويات دمشقَ الشرعيَّةِ والعامَّةِ، له العديد من الكتب منها، العقيدة الإسلامية وأسسها. توفي رحمه الله سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م . انظر: http://www.alukah.net/culture : يوم الخميس ٢٠١٥/٣/١٩م

(٦) العقيدة الإسلامية وأسسهاـ الميداني (ص:٣٣٨)

(٧) انظر: حاشية البيجوري على التوحيد - للبيجوري (٢٢٠- ٢٢١)، وتبسيط العقائد الإسلامية - حسن أيوب (ص: ١٤٥)، وإعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، (ص:٢١- ٢٢)

١- أن تكون المعجزة فعلاً لله تعالى دون غيره، لأنها تصديق منه لرسول، فلا يصدقه بفعل غيره، سواء كان هذا الأمر (المعجزة) الذي يظهره الله قولاً مثل القرآن، أم فعلاً كفلق البحر لسيدنا موسى عليه السلام، أم تركًا كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

٢ – أن تكون خارقة للعادة، لأنها لو لم تكن كذلك لأمكن للكاذب ادعاء الرسالة، وخرج بهذا السحر والشعوذة والمخترعات الغريبة.

٣ – أن تظهر على يد من يقوم بادعاء النبوة، ليعلم الناس أنها تصديق له، ويخرج بهذا الشرط الكرامة والمعونة والاستدراج.

٤ – أن تكون مقترنة بدعوى النبوة، أي أنها تقع بعد ادعاء النبوة، أما إذا وقعت قبل دعوة النبوة فلا تكون معجزة،وإنما تسمى إرهاصًا، كسلام سيدنا عيسى عليه السلام في المهد.

٥ – أن تكون المعجزة موافقة للمطلوب، فإن جاءت مخالفة للمطلوب سميت إهانة، كما حصل لمسيلمة الكذاب، فإنه تفل في عين لتبرأ فعميت السليمة.

٦ – أن لا تكون مكذبة للمدعي. فلو قال الإنسان: معجزتي نطق هذا الجماد فنطق الجماد مكذبًا له، فإن تكذيبه يُعدّ دليلاً على كذب المدعي.

٧ – أن تتعذر معارضة الأمر الخارق للعادة،بمعنى أن الناس لا يقدرون أن يأتوا بمثلها،لأن المعارضة لو أمكنت واستطاع أحد أن يأتي بمثل الأمر الخارق للعادة الذي جاء به النبي؛ لأمكن لأي كاذب أن يدعي النبوة.

٨ – وزاد البعض أن لا تحصل المعجزة زمن نقض العادات، وذلك كزمن طلوع الشمس من مغربها، وتكلم الدابة، وظهور المسيح الدجال، فإن الخوارق في تلك الزمن ليست معجزة.

رابعًا: أقسام المعجزات

تنقسم المعجزات قسمين[(١)]:

القسم الأول: المعجزات الحسية. مثل معجزة الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ حتى روى المئتين، وتكثير الطعام القليل، وقلب الحصى حية لسيدنا موسى عليه السلام، وإحياء الموتى معجزة لسيدنا عيسى عليه السلام.

القسم الثاني: المعجزات العقلية. وذلك كالإخبار عن المغيبات، ومعجزة القرآن الكريم، واستجابة الدعاء. وقد جرت سنّة الله تعالى كما قضت حكمته أن يجعل معجزة كل نبي مشاكلة

(١) انظر: علوم القرآن الكريم ـ نور الدين محمد عتر الحلبي، (ص:١٩٢ـ ١٩٣)

لما يوافق قومه ويتفوقون فيه، ونظرًا لاشتهار العرب بالفصاحة والبلاغة، كانت معجزة النبي ﷺ الكبرى هي القرآن الكريم.

خامساً: الفرق بين المعجزة وخوارق العادات الأخرى

تختلف معجزات الرسل والأنبياء عن غيرها من الخوارق الأخرى كالسحر وغيره، لعدة أمور منها(١):

١- معجزات الرسل تسلم من المعارضة، ولا يستطيع أحد الإتيان بمثلها،أما الخوارق الأخرى فهي لا تسلم من المعارضة، وذلك لقدرة البشر على الإتيان بمثلها.

٢- المعجزات غير مكتسبة،بل هي من عند الله تأييدًا لرسله، أما الخوارق الأخرى فتأتي على يد أصحابها نتيجة لعمل أو جهد منهم.

٣- المعجزات تصدر عن الرسل الذين عرفوا بالتقوى والصلاح، بخلاف الخوارق الأخرى كالسحر والكهانة، فهي لا تصدر إلا عمن عرفوا بالكذب والخيانة وسوء الخلق.

ومن هذه الخوارق(٢):

١- الكرامة: أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد صالح غير مدعٍ للنبوة.

٢- والمعونة: أمر خارق للعادة يظهر على يد بعض العوام تخليصًا من شدة.

٣- والإهانة: أمر خارق للعادة يظهر على يد كاذب مدعٍ للنبوة، خلاف مطلوبه كما حصل لمسيلمة الكذاب.

٤- والاستدراج: أمر خارق للعادة يظهر على يد فاسق مدعٍ للإلهية، كما يظهر على يد المسيح الدجال.

٥- والإرهاص: أمر خارق للعادة يظهر على يد نبي قبل بعثته تأسيسًا للرسالة، كتظليل الغمام لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

٦- والسحر: قواعد يقتدر بها على أفعال غريبة بالنظر لمن جهل قواعده، ويمكن اكتسابه بالتعلم.

٧- والشعوذة: خفة في اليد بواسطتها يرى الشخص أشياء على أنها حقيقية، وليست كذلك في الواقع كما يفعل الحواة.

---

(١) انظر: التبيان شرح أركان الإيمان ـ د سعد عاشور، (ص: ٣٣)

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية ـ للسفاريني (٢/ ٣٩٢)، وحاشية البيجوري على التوحيد ـ (ص:٢٢١)

سادساً: الفرق بين المعجزة والكرامة

ثمة فرق بين المعجزة والكرامة، فالمعجزة تكون مقرونة بدعوى النبوة، بخلاف الكرامة، فإن صاحبها لا يدعي النبوة، وإنما حصلت له الكرامة باتباعَه للنبي، واستقامته على شرعه، فالمعجزة للنبي والكرامة للولي، ويجتمعان في أن كليهما أمر خارق للعادة، وذهب بعض الأئمة من العلماء: إلى أن كرامات الأولياء في الحقيقة تدخل في معجزات الأنبياء، لأن الكرامات إنما حصلت للولي باتباع الرسول، فكل كرامة لولي هي من معجزات رسوله الذي يعبد الله بشرعه(١).

سابعاً:حكم الإيمان بالمعجزات والكرامات

والإيمان بالمعجزات والكرامات أصل من أصول الإيمان، دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والواقع المشاهد، فيجب على المسلم اعتقاد صحة ذلك وأنه حق،أما التكذيب بذلك أو إنكار شيء منه فهو رد للنصوص ومصادمة للواقع، وانحراف كبير عما كان عليه أئمة الدين وأهل السنة والجماعة في هذا الباب(٢).

(١) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ـ نخبة من العلماء،(ص: ٢٠٣)
(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ٢٠٤).

المطلب الثاني
التعريف بمعجزة الإسراء والمعراج

"**الإسراء لغة**

من "السَّيرُ بِاللَّيْلِ، يُقَالُ: سَرَى يَسْرِي سُرًى، وأَسْرَى يُسْرِي إِسْرَاءً"(١). وشرعًا: سير جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١]"(٢).

والمعراج لغة

الآلة التي يُعْرَجُ بها، وهي المصعد(٣)، وشرعًا:"السلم الذي عرج به رسول الله ﷺ من الأرض إلى السماء، لقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم:١، ٢]، إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم:١٨]"(٤).

والإسراء تلكم الرحلة الأرضية المباركة، التي أكرم الله ﷻ بها سيدنا محمدًا ﷺ، وذلك بسير جبريل عليه السلام به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، من مكة إلى بيت المقدس،من الحجاز إلى فلسطين، والمعراج تلكم الرحلة السماوية المباركة، التي كانت تفضلاً من الله تعالى على نبيه الكريم ﷺ على سبيل التكريم والتشريف له(٥).

والْمَسْجِدِ الْأَقْصَى هوبيت المقدس، ووصف بالأقصى، لبعده بالنظر لمن هو في الحجاز، وقد بارك الله تعالى حَوْلَهُ ببركات الدين والدنيا، لأنه مهبط الوحي، ومتعبد الأنبياء من لدن موسى عليه السلام، وهومحفوف بالأنهار والأشجار والثمار، فأراه الله تعالى من آياته العظيمة وعجائب قدرته،كذهابه في برهة من الليل، مسيرة شهر، ومشاهدته بيت المقدس، وتمثل الأنبياء عليهم السلام له، ووقوفه على مقاماتهم، فاجتمع بالأنبياء، وعرج إلى السماء، ورأى عجائب الملكوت، وناجى ربه تعالى(٦).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ـ لابن الأثير (٢/ ٣٦٤)
(٢) تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد ـ للعثيمين، (ص: ١٠٢)
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ـ لابن الأثير (٣/٢٠٣)
(٤) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ـ لصالح الفوزان، (ص:١٦٦)
(٥) انظر: الإسراء والمعراج ـ دروس ونفحات ـ فضل حسن عباس ـ (ص:١١)
(٦) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/١٠).

لماذا كان الإسراء والمعراج؟

لما هلك أبو طالب عمُّ النبي ﷺ نالت قريش من الرسول الكريم ﷺ بالأذى الشديد، الذي لم تكن تناله منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف حيث تقطن ثقيف، وهي تبعد عن مكة نحوًا من خمسين ميلاً، سارها نبينا محمد ﷺ على قدميه، فلمّا وصل إليها اتجه إلى نفر من رجالاتها، الذين ينتهي إليهم أمرها، ثم كلّمهم في الإسلام، ودعاهم إلى الله، فردوه–جميعًا– ردّا منكرًا، وأغلظوا له الجواب، ومكث عشرة أيام، يتردّد على منازلهم دون جدوى، فلمّا يئس الرسول ﷺ من خيرهم، قال لهم: «إذا أبيتم، فاكتموا عليّ ذلك»، كراهية أن يبلغ الخبر قريشًا فتزداد عداوتهم له وشماتتهم فيه، لكنّ القوم كانوا أخسّ مما ينتظر، قالوا له: اخرج من بلدنا، وحرّشوا عليه الصبيان، فرموه بالحجارة، وأصيب الرسول ﷺ في قدميه الشريفتين، فسالت منهما الدماء، واضطره المطاردون إلى أن يلجأ إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة، حيث جلس في ظل كرمة يلتمس الراحة والأمن، وكان أصحاب البستان فيه، فصرفوا الصبيان عنه، واستوحش الرسول ﷺ لهذا الحاضر المرير، وتذكرالأيّام المريرة التي عاناها مع أهل مكة، وشعر بأنه يجرّ وراءه سلسلة ثقيلة من المآسي المتلاحقة[١]، فما كان منه ﷺ إلا التضرع والدعاء، فقد كان دعاؤه ﷺ حارًّا عميقًا، منبعثًا من نفس جريحة مكلومة ولكنها راضية،فهي نفس سيد الخلق أجمعين، وهي النفس التي تتحمل الشدائد بأنواعها في سبيل أعظم دعوة قامت على وجه الأرض،فما كان من الله تعالى إلى أن أكرمه بالجائزة التي تستحقها هذه النفس الراضية[٢].

إن رحلة الإسراء والمعراج رحلة روحانية، فيها تسلية للنبي ﷺ، وتقوية لروحه، حتى يبقى ثابتًاعلى الحق المبين، واثقًا بأن الله لن يتخلى عنه أبدًا، إنها لم تكن معجزة للتحدي كحال جميع المعجزات، ولكنها استضافة من الله ﷻ لنبيه الكريم ﷺ في رحاب ملكوته العظيم، حتى يشهد من آيات الله الكبرى[٣]. فالله تعالى أمدَّه بحسن التدبير لدخول مكة المكرمة آمنًا مطمئنًا، وأيده بآية حسية من نوع ما يطلب الكافرون منه[٤].

(١) انظر: الإسراء والمعراج وأثرهما في تثبيت العقيدة ـ رزق هيبة، (ص:٢٤ـ ٢٥)، وفقه السيرة ـ محمد الغزالي السقا، (ص:٣٤ ١)

(٢) انظر: الإسراء والمعراج وأثرهما في تثبيت العقيدة ـ رزق هيبة (ص:٢٦)

(٣) انظر: المصدر السابق، (ص:٦ـ ٧)

(٤) انظر: خاتم النبيين ﷺ ـ لأبي زهرة ، (١/ ٤١٤)

حديث الإسراء والمعراج كما ورد في البخاري

لقد ثبت الإسراء والمعراج بالأحاديث الصحيحة التي رواها الثقات العدول،وتلقتها الأمة بالقبول، ومن أشهرها الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، وهو كالآتي:عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: "بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ –وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الحِجْرِ– مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ –قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ– مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ، فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ، وَفَوْقَ الحِمَارِ أَبْيَضَ، فَقَالَ لَهُ الجَارُودُ: هُوَ البُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلاَمًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ:

مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلاَمَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي"(١).

موقف قريش من إسراء النبي ﷺ ومعراجه

عاد النبيﷺ إلى المسجد الحرام وجلس فيه، وهو لا يدري كيف ستقابل قريش هذا الحدث العظيم، فمرَّ به أبو جهل لعنه الله، فسأله قائلاً مستهزئًا،هل استفدت الليلة شيئًا؟ فأجاب المصطفى ﷺ: "نعم أسري بي الليلة إلى بيت المقدس"، قال أبو جهل: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟فقال النبي ﷺ: "نعم"، فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي، هلموا، فأقبلوا مسرعين، فحدثهم النبي ﷺ؛ فمن مصدّق، ومن مكذّب مصفّق واضع يده على رأسه، استعظامًا للخبر وإنكارًا له، وتعجبًا منه، واستبعادًا له، وقالوا: كنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس شهرًا ذهابًا، وشهرًا إيابًا، ومحمد يزعم أنه أسري به إليه، فأصبح فينا. ولشدة ما أثار الخبر من سخرية وتعجب، ارتد بعض المسلمين ممن لم يرسخ الإيمان في قلوبهم، ومشى رجال من قريش إلى أبي بكرالصديق ؓ، وقالوا له: إن

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب مناقب الأنصارـ باب المعراج ـ ح رقم ٣٨٨٧ـ (٥٢/٥)

صاحبك يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس،فقال الصديق: إن كان قال هذا فقد صدق،إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء،فلقب بعدها بالصديق[1].

ثم أرادت قريش امتحان النبي ﷺ، فطلبوا من أن ينعت لهم المسجد الأقصى، فجلّى الله لَهُ بيتَ المقْدِس، فوصفَه لَهُم وَهُوَ ينظر إِلَيْهِ، قال ﷺ: «**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الحِجْرِ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**» [2] وَقَالُوا له: أَخبِرْنا عَن عِيْرنا. فَقَالَ: "مررتُ على عير بني فلَان بِالرَّوْحَاءِ قد أَضَلُّوا نَاقَةَ لَهُم، وَانْطَلَقُوا فِي طلبَهَا، فمررت فانتهيتُ إِلَى رِحالهم، وَلَيْسَ بهَا مِنْهُم أَحدٌ، فَإِذا قَدحٌ من ماءٍ فشربتُ مِنْهُ فسَلوهم عَن ذَلِك. ثمَّ انْتَهَيْت إِلَى عِيْر بني فلانٍ بالأَبواء، يقدُمها جَملٌ أوْرقُ، هَا هِيَ تَطلع عَلَيْكُم من الثَنَيَّة، وفيهَا فلانٌ وفلانٌ، وعِدّتُها كَذَا وَكَذَا، وأَحمالُها كَذَا وَكَذَا، "فانطلَقوا فوجدوا الأمرَ كَمَا قَالَ ﷺ، فَرَمَوْهُ بالسِّحر، ولَجُّوا فِي طُغيانهم يَعمهُون[3].

---

(١) مسند أحمد ـ ح رقم: ٢٨١٩(٢٨/٥) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب قوله أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام ـ ح رقم: ٤٧١٠(٨٣/٦)

(٣) انظر: المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ ـ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، (ص:٤٢) وانظر: تفسير يحيى بن سلام (١١٢/١)

المطلب الثالث

معجزة الإسراء والمعراج بين المنظور العلمي والشرع الرباني

تعتبر معجزة الإسراء والمعراج من أعظم المعجزات التي أكرم الله ﷻ بها نبينا محمدًاﷺ لكن البعض يؤول الإسراء والمعراج بأنه كان بالروح فقط أو ينكرونه بالكلية، ونتج ذلك عن مقارنتهم زمن النبي ﷺ بزمننا هذا، وهؤلاء عندهم شبهات يحتجون بها فيقولون[(١)]:

١- إن هذه السرعة التي تنقل بها النبي ﷺ تمزق البدن؛ لأن احتكاك البدن بالهواء الذي في الجو بهذه السرعة يولد نارًا؛ فيحترق، كذلك فإن الصعود لأعلى بهذه السرعة يولد نارًا؛ فيحترق البدن، وأي شيء آخر إذا صعد إلى أعلى، حتى إذا لم يكن هناك هواء فإنه ينفجر ويتمزق؛ لأن الضغط الخارجي على جلده وعلى جسمه من جميع الجهات بالهواء يفُقد، فيؤدي ذلك إلى انفجاره.

٢- إن الذين يصعدون في هذه الأيام إلى طبقات الجو العليا ويرتادون القمر، فيتزودون بالأكسجين والهواء، لعدم وجوده في طبقات الجو العليا، ويأخذون وقايات لحمايتهم، والعرب ما كان عندهم هذا الاختراع، فكيف صعد الرسول ﷺ إلى أعلى؟ وكيف تغلب على الجاذبية الأرضية؟ وكيف لم يثبت على الجاذبية التي فوق جاذبية الكواكب (المجموعة الشمسية وأمثالها)؟وكيف تخلص من الجاذبية الأرضية، ولا أجنحة له، ولا طائرة ركبها؛ إنما هو براق؟! والرد على كلامهم هذا: إن خوارق العادات في معجزات الأنبياء سنن تشبه السنن العادية في حياة الناس العاديين، فهم في معجزاتهم يسيرون في طريق كوني عادي بالنظر لهم؛ كما أن الناس يسيرون على سطح الأرض سيرًا عاديًا، وكما أن الطيور ترتفع بأجنحتها ارتفاعًا وصعودًا عاديًا.

ومن الشبهات أيضًا[(٢)]:

٣- استبعاد الذهاب من مكة إلى بيت المقدس، ثم الصعود إلى السماوات العلا،ثم الرجوع من حيث أتى في جزء بسيط من الليل.

٤- أن القران الكريم لم يذكر المعراج كما ذكر الإسراء.

٥- أن المعراج يترتب عليه الخرق والالتئام في الأفلاك والسماوات، وذلك مستحيل.

٦- أن الطبقة الهوائية المحيطة بالكرة الأرضية محدودة بثلاثمائة كيلومتر تقريبًا، فمن جاوزها صار عرضة للموت المحقق، وذلك لعدم وجود الهواء الذي لابدّ منه للحياة.

---

(١) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي – عبد الرزاق عفيفي ، (ص:٢٨٦ـ ٢٨٧)

(٢) انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ـ محمد أبو شُهبة ، (٤١٨ـ٤١٩)

والرد أن جميع ما ذكر شُبه لا تثبت أمام البحث العلمي الصحيح، وذلك لوجود العديد من الأدلة التي تدحض تلك الشبهات، وهي[1]:

١- أن الإسراء والمعراج أمران ممكنان عقلاً، أخبر بهما الصادق المصدوق ﷺ في القرآن الكريم المتواتر، وفي الأحاديث الصحيحة المشهورة، فوجب التصديق بوقوعهما، ومن ادّعى استحالتهما فعليه البيان، وهيهات له ذلك، وكونهما مستبعدين عادة لا ينهض دليل ولا شبه دليل على الاستحالة، لأن المعجزات ما هي إلا أمور خارقة للعادة كما قال العلماء، ولو أن كل أمر لا يجري على سنن العادة موضع ومحل للإنكار لما ثبتت معجزة نبي من الأنبياء.

٢- على المنكرين لمعجزة الإسراء والمعراج أن يدلوا برأيهم فيما صنعه البشر من طائرات نفاثة، وصواريخ جبارة تقطع آلاف الأميال في زمن قليل، فإذا كانت قدرة البشر استطاعت ذلك أفيستبعدون على مبدع البشر وخالق القوى والقدر أن يسخر لنبيه «براقًا» يقطع هذه المسافة في زمن أقل من القليل؟! وليس معنى هذا أن الإسراء والمعراج من جنس ما يقدر عليه الناس، فحاشا لله أن يكون هذا هو المراد، وإنما المراد تقريبهما لعقول من ينكرونهما بما هو مشاهد ملموس، فمهما تقدمت العلوم وغزو الفضاء فلا يزال الإسراء والمعراج آيتين ظاهرتين للنبي ﷺ.

٣- وأما القول بأن المعراج لم يذكر في القرآن الكريم كما ذكر الإسراء فيدفعه ما تقدم من أن المعراج وإن لم يذكر في القرآن صراحة فقد أشير إليه فيه، ولو سلمنا عدم ثبوته بالقرآن فينبغي ألا يكون ذلك سببًا للإنكار، فما الأحاديث إلا مبينة للقرآن، وشارحة له، ومتممة له، وهي الأصل الثاني من أصول التشريع في الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام، والحق من الباطل، والهدى من الضلال، وإثبات الآيات والمعجزات، ولو أننا قصرنا الدين ومسائله على القرآن الكريم فحسب لفرّطنا في كثير من الأحكام والآداب، والآيات، والمعجزات الدالة على نبوة النبي ﷺ.

٤- وأما شبهة أن المعراج يترتب عليه الخرق والالتئام-وهو مستحيل- ففكرة قديمة عفا عليها الزمان، وأبطلتها النظريات العلمية الحديثة، فقد انتهى بحث العلماء إلى أن الكون في أصله كان قطعة واحدة، ثم تناثرت أجزاؤه، وانفصل بعضها عن بعض، حتى غدا من ذلك العالم كله عاليه وسافله، وهذه الشبهة أضحت غير موضوعية بعد التقدم العظيم، والخطوات الواسعة التي خطاها العلماء الكونيون في غزو الفضاء، والتنقل بين الأجواء، والدوران حول الأرض والقمر، وها هم اليوم وصلوا إلى إنزال إنسان على وجه القمر، ومن يدري؟ فلعلهم بعد الوصول إلى

(١) انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ـ محمد بن محمد أبو شُهبة ، (٤١٨ـ ٤٢٠)

القمر يفكرون في الوصول إلى غيره من الكواكب السيارة، ولا ندري ماذا سيتمخض عنه الغد إن شاء الله تعالى.

يقول الدكتور محمد أبو شهبة(١) بعد رده على المنكرين للإسراء والمعراج والمستبعدين له من ناحية علمية:"وإني لأنتهز هذه المناسبة لأؤكد أننا معشر علماء الإسلام الفاهمين للإسلام، والواعين لأصليه: القرآن، والسنة، نرحب بتقدم العلوم والمعارف الكونية، وإننا ندعو إلى الازدياد من هذه العلوم، لأننا على يقين أن تقدم العلوم والكشوف الكونية لا يزيد الإسلام إلا قوة، والقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة إلا ثباتًا ورسوخًا، واقتناعًا للعقل والعلم بهما،وكيف لا نرحب ولا ندعو وهذا قول الحق تبارك وتعالى نقرؤه صباح مساء، ونعتقد صدقه وحقّيته، قال عز شأنه: **﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[فصلت:٥٣]، بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين،وإذا جاز لأناس عاشوا في أزمان ماضية لم تتقدم فيها العلوم الفلكية والكونية استبعاد الإسراء والمعراج، فلا يجوز ذلك قط ممن عاش في عصرنا"(٢).

وستورد الباحثة عرضًا علميًا لأحد العلماء حول "نظرية النسبية الخاصة"، من أجل تقرّيب فهم الناس لإحدى المعجزات الحسية التي جرت لرسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، إنها "معجزة الإسراء والمعراج"، فقد أدمج أينشتين(٣) المكان والزمان في نظرية النسبية الخاصة عام ١٩٠٥م، وأعلن أنه: "ليس لنا أن نتحدث عن الزمان دون المكان، ولا عن المكان دون الزمان، وما دام كل شيء يتحرك؛ فلابد أن يحمل زمنه معه، وكلما تحرك الشيء أسرع فإن زمنه سينكمش بالنسبة لما حوله من أزمنة مرتبطة بحركات أخرى أبطأ منه"، وخلاصة القول: إن الزمن ينكمش مع ازدياد

---

(١) هو الشيخ محمد أبو شهبة، ولد سنة ١٩١٤م في قرية "منية جناج" عالم موسوعي، وهو علم من أعلام الحديث في العصر الحديث،مفسر جليل، صاحب غيرة على الكتاب والسنة،لم يأخذ الشيخ حظه من الشهرة فد كان ممن يعملون بصمت،له مؤلفات قيمة منها المدخل لدراسة القرآن الكريم، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، توفي رحمه الله سنة ١٩٨٣م. انظر:http://www.islamsyria.com/porta يوم الجمعة:٢٠١٥/٤/٢٤م

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنةـ محمد أبو شُهبة ـ (ص:٤٢٠)

(٣) ألبرت أينشتاين:ألماني سويسري أمريكي الجنسية، يهودي الديانة، ولد سنة ١٨٧٩م، وهوأحد أهم علماء في الفيزياء. يشتهر بأبو النسبية، كونه واضع النظرية النسبية الخاصةوالنظرية النسبية العامة الشهيرتين، اللتين كانت اللبنة الأولى لفيزياء النظرية الحديثة، حاز في العام ١٩٢١ على جائزة نوبل في الفيزياء عن ورقة بحثية عن التأثير الكهروضوئي ضمن ثلاثمائة ورقة علمية أخرى له في تكافؤ المادة والطاقة وميكانيكا الكم وغيرها، وأدت استنتاجاته المبرهنة إلى تفسير العديد من الظواهر العلمية التي فشلت الفيزياء الكلاسيكية في إثباتها، تميز بالذكاء العظيم الذي جعل من كلمة "آينشتاين" مرادفًا "للعبقرية". انظر: https://ar.wikipedia.org الأربعاء ٢٠١٥/٥/٦م .

السرعة، وتزداد السرعة مع ازدياد القدرة على ذلك، هكذا أصبح من المقنع للماديين أن السرعة والزمن والقدرة أشياء مترابطة، ولكن إذا كان هناك مخلوق أقوى من الإنسان ينتمي إلى غير الجنس البشري، كأن يكون من الجن أو من الملائكة،فإنه يتحرك بقوانين أخرى غير قوانين الإنسان، فيقطع المسافات ويعبر الحواجز، وأشياء أخرى كثيرة لا يتخيلها الإنسان الذي يسكن كوكبه الأرضي،وطبقًا للنظرية النسبية أيضًا، فإنه إذا وجد كائن يسير بسرعة أكبر من سرعة الضوء، فإن المسافات تنطوي أمامه وينمحي الزمن في قطعه هذه المسافات، إن هذا العرض كان من أجل تقريب الفهم ليس أكثر لأن معجزة الإسراء والمعراج غيب من جملة الغيوب التي يجب على المسلم أن يصدق بها ويثق فيها مطلقًا،وهذه المعجزة إذ تناقشها الباحثة، فإنما تناقشها لإثبات استحالة وقوعها لبشر عادي، بكل المقاييس العلمية، أو حتى بتطبيق الفروض أو النظريات،وإلّا لانتفت صفتها كمعجزة، ولأمكن للإنسان العادي أن يحققها عن طريق استخدامه لأية طاقات أو سبل يخترعها العلم بمرور الزمن، فالكلام في المعجزات الحسية لرسول الله ﷺيجب ألا نسرف فيه، بل يجب ألا نعول على هذه المعجزات كثيرًا في الإقناع برسالة الرسول ﷺ؛ لأنها معجزات وقعت وانقضت، وقد نهى رسول الله ﷺ ذاته عن التعلق بهذه المعجزات المادية، وأمرنا بالانتباه إلى معجزة واحدة باقية على مرِّ الزمان، هي القرآن الكريم، الذي تتكشف وجوه الإعجاز فيه كلما تقادم الزمان وتوالت الأجيال، وكل جيل يكشف عن وجه أو وجوه فيه لم يكن قد كشفها الجيل السابق، ولن يستطيع الإنسان أن يصل إلى تحديد أي شيء فيها، ولن يعرف عنها أي شيء سوى ما أخبره به القرآن الكريم(١).

فمعجزة الإسراء والمعراج خرق للعادة، وتبعًا لمنهج أهل السنة والجماعة فإن خرق العادة لا يحيله العقل(٢)، وذلك لأن الله تعالى خالق العالم، وهو على كل شيء قدير، وحصول الحركة البالغة السرعة في جسد سيدنا محمد ﷺ أمر يسير وهين على الله تعالى، وغاية ما فيه أنه خلاف العادة، وهذا هو شأن المعجزات كلها تكون خلاف العادة(٣).

ومن منظور شرعي فمعجزة الإسراء والمعراج تعتبر من أكبر المعجزات بعد القرآن الكريم، وهي المعجزة التي جاءت تأييدًا من الله ﷻ لنبيه ﷺ، وهي ثابتة بالقرآن والسنة والإجماع، إضافة إلى عدم إحالة العقل لها كونها خرقًا للعادة كما تبين سابقًا، لذلك فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن النبي ﷺ عُرج به في اليقظة بروحه وجسده إلى السماء، وذلك في ليلة الإسراء، وقد أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بنص القرآن، حيث قال تعالى: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ**

(١) انظر:http://quran-m.com/container.php يوم الجمعة ـ ٢٠١٥/٤/٢٤م

(٢) انظر: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ـ محمد بن عمر بن مبارك، (ص :١٣٧)

(٣) انظر: مختصر إظهار الحق ـ محمد رحمت الله بن خليل الهندي ـ (ص:١٩٥)

﴿البَصِيرُ﴾[الإسراء:١]، ثم عُرج به ﷺ إلى السماء، حيث صعد حتى السماء السابعة، ثم فوق ذلك حيث شاء الله من العلى، عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه وكلمه، وشرع له خمس صلوات في اليوم والليلة، ودخل الجنة فاطلع عليها، واطلع على النار، ورأى الملائكة، ورأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقة التي خلقه الله عليها، وما كذب فؤاد النبي ﷺ ما رأى، بل كان كل ما رآه بعيني رأسه حقًّا، تعظيمًا له وتشريفًا على سائر الأنبياء، وإظهارًا لعلو مقامه ﷺ فوق الجميع(١).

---

(١) انظر:الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ـ للأثري، (ص:١٤٦)

المطلب الرابع

الإسراء كان بروح النبي وجسده، والرد على من قال أن الإسراء كان بالروح

تعددت مذاهب الناس في الإسراء والمعراج، وقد فصّل القاضي عياض فى كتابه "الشفا"، أقوال العلماء فى الإسراء والمعراج. وهل كان مع الإسراء معراج؟ وهل كان الإسراء بالروح وحده؟ أو بالروح والجسد معا؟[١].

يقول القاضي عياض[٢]: «اختلف السلف والعلماء: هل كان إسراؤه عليه الصلاة والسلام بروحه أو جسده على ثلاث مقالات:

١- فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح، وأنه رؤيا منام، مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء حق ووحي. وإلى هذا ذهب معاوية، وحكى عن الحسن البصري والمشهور عنه خلافه، وإليه أشار محمد بن إسحق. وحجتهم قوله تعالى: ﴿وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.

٢- ذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد، وفى اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس، وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبى هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبى حية البدري، وابن مسعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شهاب، وابن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج. وهو قول الطبري،وابن حنبل، وجماعة عظيمة من المسلمين. وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدّثين، والمتكلمين، والمفسرين.

٣- وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يقظة، إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾، فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء، الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة، والتمدح بتشريف النبي ﷺ به، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه، قال هؤلاء: «ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد عن المسجد الأقصى، لذكره، فيكون أبلغ فى المدح».

وبعد أن انتهى القاضي عياض من عرض هذه الآراء، عرض رأيه هو بأن الإسراء كان بالروح والجسد معًا. فقال: "والحق من هذا، والصحيح إن شاء الله، أنه إسراء بالروح والجسد فى القصة كلها، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار، والاعتبار، ولا يُعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس فى الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة، إذ لو كان منامًا لقال:

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن ـ عبد الكريم الخطيب ـ (٨/ ٤٢٨)

(٢) المصدر السابق:(ص:٤٢٨/٨ ـ ٤٢٩)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ القاضي عياض (ص:١١٢ـ ١١٣)

«بروح عبده» ولم يقل «بعبده»، وقوله تعالى: ﴿ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى﴾[النجم:١٧]، ولو كان منامًا لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولا استبعده الكفار، ولا كذبوه فيه، ولا ارتدّ به ضعفاء من أسلم، وافتتنوا به، إذ مثل هذه المنامات لا ينكر، بل لم يكن ذلك الإنكار منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه، وحال يقظته"[١].

الرد على القائلين:إن الإسراء والمعراج كان بالروح

١- إن ظاهر الآية القرآنية التي أثبتت الإسراء وهى قوله تعالى: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾ يدل على أن الإسراء كان بالجسد والروح، وذلك لأنه ﷺ قال: أسرى بعبده، والعبد هو الروح والجسد، ومادام الظاهر لا دليل يناقضه من عقل أو نقل، فإنه يجب الأخذ به فإنه من المقررات أن الألفاظ تفسر بظاهرها، إلا إذا لم يمكن حملها على الظاهر للمعارض، ولا معارض[٢].

٢- لو لم يكن الإسراء والمعراج بالجسد وفي اليقظة ما كان سببًا للاستبعاد والإنكار؛ لأن مثله في المنامات لا يستبعد ولا ينكر، فلو أن شخصًا ادعى أنه طار في نومه في الشرق وفي الغرب، وهو لم يتحول عن مكانه، ولم تتبدل حاله الأولى لم ينكر أحد عليه[٣]، والكفار استبعدوا ذلك، وقالوا: كنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس شهرًا ذهابًا، وشهرًا إيابًا، ومحمد يزعم أنه أسري به إليه، فأصبح فينا[٤]، فالإسراء والمعراج الحاصل لسيدنا محمد ﷺ بالجسد والروح معًا، وفي اليقظة لا استحالة فيه عقلاً ونقلاً[٥].

٣- إن لفظ العبد يطلق على الروح والبدن جميعًا،ولا يطلق على الروح وحدَها أنها عبد، ولا يطلق على البدن وحده أنه عبد، فهذا اللفظ لايطلق إلا على مجموع الروح والبدن، والله تعالى لم يقل: سبحان الذي أسرى بروح عبده، بل قال: أسرى بعبده، والعبد هو مجموع الروح والبدن، والله جل وعلا لا يعجزه شيء، وهو القادر على كل شيء[٦].

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ للقاضي عياض (ص:١١٣)
(٢) انظر: خاتم النبيين ﷺ ـ محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة ، (١/ ٤١٥)
(٣) انظر: مختصر إظهار الحق ـ محمد رحمت الله الهندي ـ (ص: ١٩٥)
(٤) انظر: التعليقات على متن لمعة الاعتقاد ـ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين ، (ص: ١٣٧)
(٥) انظر: مختصر إظهار الحق ـ محمد رحمت الله الهندي ـ (ص: ١٩٥)
(٦) انظر: شرح ثلاثة الأصول ـ صالح الفوزان (ص: ٢٥٩)

٤- إن الخبر الوارد عن عائشة يحمل فى نفسه ما يوهم عدم صدقه عنها، ففيه: أنها قالت: «لم تفقد بدنه»، وأن ذلك يوهم أنها كانت معه في مبيت واحد، مع إجماع المؤرخين والمحدثين على أنه لم يبن بها إلا فى المدينة(١).

وقد أورد المقدسي في كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد" مجموعة من الأدلة، منها(٢):

١- أن حدوثه بالجسد جائز عقلاً، إذ لو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر.

٢- أن التسبيح في قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾ الآية، إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظمًا، ولما بادرت قريش إلى تكذيبه، ولما ارتد جماعة ممن كان أسلم.

٣- أن الرسول ﷺ حمل على البراق(٣)، وهي دابة، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح، لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه.

وللعلماء أقوال تؤكد أن الإسراء والمعراج بالروح والجسد معًا، منها:

- قول ابن حجر:"إِنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ وَقَعَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَقَظَةِ بِجَسَدِ النَّبِيِّ ﷺ وَرُوحِهِ بَعْدَ الْمَبْعَثِ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا يَنْبَغِي الْعُدُولُ عَنْ ذَلِكَ، إِذْ لَيْسَ فِي الْعَقْلِ مَا يُحِيلُهُ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى تَأْوِيلٍ"(٤).

- قول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: "مَنْ أَنْكَرَ مَا ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ وَالْإِجْمَاعِ فَهُوَ كَافِرٌ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ"(٥).

- وقول السيوطي:"إن التسبيح في قوله تعالى:﴿**سبحان الذي أسرى بعبده**﴾، إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء، ولما بادرت قريش إلى إنكاره، ولا ارتد جماعة من ضعفاء من أسلم، ولأن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، ولو كان منامًا لم

---

(١) انظر: خاتم النبيين ﷺ - محمد أبو زهرة - (١/ ٤١٦)

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد ـ للمقدسي (ص: ١٥٧)

(٣) وَهِيَ الدَّابة الَّتِي رَكِبَهَا الرسول ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ. سُمِّي بِذَلِكَ لِنُصُوع لَوْنه وشِدة بَرِيقه. وَقِيلَ لسُرعة حَرَكَتِهِ شَبَّهَهُ فِيهِمَا بالبَرق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ابن الأثير (١/ ١٢٠)

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني ، (٧/ ١٩٧)

(٥) مجموع الفتاوى - ابن تيمية - (١/ ١٠٩)

يقل لعبده بل بروح عبده، وليس في العقل ما يحيل ذلك أيضًا، ولأنه حمل على البراق والروح لا تحمل، وإنما يحمل البدن"[١].

- وقول الإمام الطحاوي -رحمه الله: "والمعراج حق، وقد أسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة، إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء"[٢].

(١) الإسراء والمعراج للسيوطي ـ الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء ـ (ص:٥٤)
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبي العز الحنفي (ص:٢٧٠)

المطلب الخامس

اشتمال الإسراء والمعراج على العديد من المعجزات

لقد اشتملت رحلة الإسراء والمعراج على العديد من المعجزات، وهي(1):

١- **الإعداد لهذه الرحلة المباركة.** بينما كان رسول الله ﷺ مضطجعًا-وهو في مكة- فُرج عنه(2)سقف بيته، ونزل جبريل، فشق صدره وغسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا، فأفرغه في صدره، ثم أطبقه(3).

٢- **الرسول ﷺ يمتطي البراق.** وبعدها أتي ﷺبالبراق، وهو دابة أبيض طويل، يقع حافره عند منتهى طرفه، وركبه رسول الله ﷺ حتى أتى بيت المقدس، فربطه بالحلقة التي تربط بها الأنبياء(4)، بعد أن خرق جبريل الحجر بأصبعه وشد به البراق(5).

٣- **الرسول ﷺ في المسجد الأقصى.** ثم دخل رسول الله ﷺالمسجد فصلى فيه ركعتين،وخرج بعدها، فجاءه جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاختار اللبن، فقال جبريل: هديت الفطرة، ولو أخذت الخمر غوت أمتك(6).

٤- **العروج إلى السماء.** وأخذ جبريل بيد رسول الله ﷺفعرج به إلى السماء(7)، فلما جاء السماء الدنيا قال جبريل لخازنها: افتح. قال: من هذا؟ قال: جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ. قال: فأرسل اليه؟ قال: نعم. ففتح، فعلا النبي ﷺ السماء الدنيا، فإذا رجل عن يمينه أسودة(8)، وعن يساره أسودة. فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى. فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح، فسأل النبي ﷺ جبريل: من هذا؟ فقال: هذا آدم،

(1) انظر: الصحيح من الإسراء والمعراج، خير الدين وانلي - (١٧- ٣٤)

(2) فرج بِضَم الْفَاء وَكسر الرَّاء وبالجيم أَي: فتح فِيهِ فتح ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ٤٢)

(3) صحيح البخاري ـ كتاب الصلاة ـ باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، ح رقم : ٣٤٩، (١/٧٨)

(4) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات،ح رقم:١٦٢ـ (١/١٤٥)

(5) المستدرك على الصحيحين للحاكم ـ كتاب التفسير، ومن تفسير سورة بني إسرائيل بسم الله الرحمن الرحيم، ح رقم: ٣٣٧٠ـ (٢/٣٩٢)

(6) صحيح البخاري ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} [مريم:١٦]"، ح رقم:٣٤٣٧، (٤/١٦٦)

(7) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ ـ ح رقم:١٦٣، (١/١٤٨)

(8)عَن يَمِينه أَسْوِدَة "أَي أشخاص"، وَهُوَ من السوَاد، والسواد: الشَّخْص، يُقَال: سَواد وأسودة كغراب وأغربة. انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٣٥٧)

وهذه الأسودة التي عن يمينه وعن شماله نَسَم[1] بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قبل[2] يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى.

٥- **الرسول ﷺ يجتاز السموات.** ثم عرج بالنبي ﷺ إلى السماء الثانية، فاستفتح كما في المرة الأولى، فإذا يحيى وعيسى(وهما ابنا خالة)[3]، فسلَّم عليهما، فقالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، وقد وصف عيسى بأنه رجل أبيض أحمر كأنه خرج من ديماس يعني من حمام، مربوعُ الخلق[4]، سَبْطُ الرأس، عريض الصدر، حديد البصر[5].ثم عرج بالرسول ﷺإلى السماء الثالثة، وفيها يوسف، وقد أعطي شطر الحسن، فرحب به ودعا له بخير[6]. وفي السماء الرابعة رحَّب بهﷺ إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السماء السادسة موسى، وكلهم يقول: مرحبًا بالأخ الصالح، والنبي الصالح، فلما جاوز النبي ﷺ بكى موسى، قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي[7]، وقد وصف موسى بأنه رَجّل[8] الشعر جسيمٌ، طُوال[9]، آدَمُ[10][11]، ثم صعد رسول الله ﷺ الى السماء

---

(١) النَّسَمَةُ: النَّفْس وَالرُّوحُ ، وكلُّ دَابَّةٍ فِيهَا رُوح فَهِيَ نَسَمَةٌ، والمراد أرواح الناس، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ــ لابن الأثير (٥/ ٤٩)

(٢) أَيْ عِيانَاً ومُقابَلة ، النهاية في غريب الحديث والأثر ــ ابن الأثير (٤/ ٨)

(٣) صحيح ابن خزيمة ــ كتاب الصلاة ــ باب بدء فرض الصلوات الخمس ـ ح رقم:٣٠١ــ (١٥٣/١) قال الأعظمي: إسناده صحيح .

(٤) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ـ ح رقم : ١٦٨(١٥٤/١)

(٥) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات ، وفرض الصلوات، ح رقم: ١٦٥(١٥٤/١)

(٦) صحيح مسلم ــ كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات ح رقم:١٦٢(١٥١/١)

(٧) صحيح البخاري ــ كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ،ح رقم:٣٨٨٧، (٥٣/٥)

(٨) أي لم يكن شعره شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٣/٢)، والحديث جاء في:صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال،ح رقم:١٦٩،(١٥٥/١)

(٩) (طوال) معناه طويل وهي لغة(شنوءة) قبيلة من القبائل المعروفة. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ـ أبو زكريا النووي (٢/ ٢٢٦)

(١٠) "وَهِيَ فِي النَّاسِ السُّمْرَة الشَّديدة. وَقِيلَ هُوَ مِنْ أَدْمَةِ الْأَرْضِ وَهُوَ لَوْنُهَا، وَبِهِ سُمِّيَ آدَمُ عليه السلام"ز انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٢/١)

(١١) صحيح مسلم: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، ح رقم:٣٢٣٩(١١٦/٤)

السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث اليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به، فنعم المجيء جاء. فلما خلص إليه إذا بإبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. قال جبريل: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه. فردَّ السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح. وقد وصفه النبي ﷺ بقوله: أنا أشبهُ ولدِه به(١).

٦- **الرسول عند سدرة المنتهى.** ثم رفع النبي ﷺإلى سدرة المنتهى، فإذا ثمرها مثل قلال(٢) هجر(٣)، "وإذا ورقها مثل آذان الفيلة"(٤)، وإذا هي يسير الراكب في الفنن(٥)، منها مائة سنة، يستظل بالفنن منها مائة راكب(٦)، "فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها"(٧).

٧- **الرسول ﷺ يسمع صريف الأقلام.** وهكذا رُفع النبي ﷺإلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام(٨)، أي أقلام القدر، وغشي السدرة ما غشيها من فراش من ذهب(٩)، ورأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح، ورآه في حلة من ياقوت قد ملأ بين السماء

---

(١) صحيح البخاري ــ كتاب أحاديث الأنبياء ــ باب {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} [مريم:١٦] "ـ ح رقم:٣٤٣٧، (١٦٦/٤)

(٢) قَالَ الْخطابِيّ:" القلال، بِكَسْر الْقَاف جمع قلَّة بِالضَّمِّ وَتَشْديد اللَّام، وَهِي الجرار، يُرِيد أَن ثَمَرهَا فِي الْكبر مثل القلال"، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧/ ٢٨)

(٣) هجر، بِفَتْح الْهَاء وَالْجِيم وَهُوَ اسْم بلد بِقرب مَدِينَة النَّبِي ﷺ مُذَكّر منصرف وَهُوَ غير هجر الْبَحْرين. عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧/ ٢٨)

(٤) صحيح البخاري ـ كتاب مناقب الأنصار ـ باب المعراج ح رقم:٣٨٨٧(٥٢/٥)

(٥) أَيِ الْغُصْنُ وَجَمْعُهُ الْأَفْنَانُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} [الرحمن:٤٨]. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٥٩٠)

(٦) المستدرك على الصحيحين للحاكم ــ كتاب التفسير ، تفسير سورة النجم ح رقم: ٣٧٤٨ـ (٥١٠/٢) وهو حديث صحيح على شرط مسلم .

(٧) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات ، ح رقم:١٦٢(١٥١/١)

(٨) صحيح مسلم ــ كتاب الإيمان ــ باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، وفرض الصلوات ـ ح رقم:١٦٣(١٤٨/١)

(٩) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب في ذكر سدرة المنتهى ــ ح رقم:١٧٣(١٥٧/١)

والأرض[١]، ورأى رفرفًا[٢] أخضر قد سدَّ الأفق، كما رأى نهرين ظاهرين ونهرين باطنين، فسأل جبريل فقال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات[٣].

٨- **النبي ﷺ في الجنة.** وأُدخل النبي ﷺ، فإذا فيها جنابذ[٤] اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك، فسمع في جانبها صوتًا خفيًّا، فقال: ماهذا؟ قال: هذا بلال المؤذن. لذا كان النبي ﷺ يقول: قد أفلح بلال، رأيت له كذا وكذا[٥].

٩- **رؤية الكوثر.** ورأى النبي ﷺ نهرًا في الجنة، حافتاه خيام اللؤلؤ فضرب بيديه إلى ما يجري فيه الماء، فاذا مِسْكٌ أَذْفرُ[٦]، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله[٧].

١٠-**رؤية البار بأمه في الجنة.** وسمع رسول الله ﷺ في الجنة قراءة، فقال: من هذا؟ قالوا: حارثة ابن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر. وكان حارثة أبر الناس بأمه[٨].

١١- **قصر عمر في الجنة.** ورأى رسول الله ﷺ قصرًا أبيضَ بفنائه جارية، قال: لمن هذا القصر؟ قال جبريل: لعمر بن الخطاب. فأراد أن يدخله فينظر إليه فذكر غيرة عمر بن الخطاب. فقال عمر حين علم ذلك: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أو عليك أغار[٩]؟!

١٢- **درجتا زيد بن عمرو بن نفيل.** ورأى رسول الله ﷺ لزيد بن عمرو بن نفيل درجتين في الجنة[١٠].

---

(١) صحيح ابن حبان مخرجًا ـ كتاب الإسراء ـ ذكر خبر أوهم من لم يحكم صناعة العلم أنه مضاد ـ ح رقم:٥٩، (٢٥٥/١) قال الشيخ الألباني: صحيح .

(٢) الرَّفْرَفُ: البِسَاط . النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٤٢)، قَالَ ابْنُ الأَعرابي: والرَّفْرَفُ فِي حَدِيثِ المِعراج البِساطُ. لسان العرب ــ ابن منظور (٩/ ١٢٦)

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب مناقب الأنصار ــ باب المعراج ــ ح رقم:٣٨٨٧(٥٢/٥)

(٤) الجنابذ: شبه القباب واحدها جنبذة بالضم وهو ما ارتفع من البناء. فتح الباري لابن حجر (٤٦٣/١). والحديث في صحيح البخاري ــ كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ذكر إدريس ﷺ ح رقم:٣٣٤٢، (١٣٥/٤)

(٥) مسند أحمد ـ ح رقم:٢٣٢٤(١٦٦/٤) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، قابوس مختلف فيه، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، وصحح ابن كثير إسناده في "التفسير" (٢٦/٥). قلنا: ولجُله شواهد.

(٦) أذفر أي طيب الريح . النهاية في غريب الحديث والأثر (١٦١/٢) والحديث جاء في صحيح البخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب في الحوض ح رقم: ٦٥٨١(١٢٠/٨)

(٧) سنن الترمذي ـ أبواب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة الكوثر ح رقم:٣٣٥٩(٤٤٩/٥) وقال الألباني: صحيح.

(٨) الجامع ـ لابن وهب ، باب البرـ ح رقم :١٤٧ (ص: ٢٢٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ـ ح رقم:٣٣٧١ وزيادته (٦٣٦/١)

(٩) صحيح البخاري ـ كتاب أصحاب النبي ﷺـ باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺـ ح رقم:٣٦٧٩(١٠/٥)

(١٠) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ـ للذهبي، (٢٥٤/٣)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها: ح رقم: ١٤٠٦، (٣٩٦/٣).

١٣- **طيران جعفر بن أبي طالب في الجنة.** ورأى رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب ملكًا يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين[١].

١٤- **رؤية مالك خازن النار.** ورآى رسول الله ﷺ مالكًا خازن جهنم، فابتدأ الرسول ﷺبالسلام[٢].

١٥- **رؤية المغتابين في النار.** ونظر رسول الله ﷺ في النار، فإذا قوم يأكلون الجيف، قال: من هؤلاء يا جبريل؟قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس[٣].

١٦- **رؤية عاقر ناقة صالح.** ورأى رسول الله ﷺ رجلاً أحمر أزرق جعدًا شعثًا، فقال: من هذا يا جبريل؟ قال: عاقر الناقة[٤].

١٧- **الدجال.** ورأى رسول الله ﷺ، وهو أقمر[٥]، هجان[٦]، إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب، وكأن شعر رأسه أغصان شجرة[٧].

١٨- **الواقعون في أعراض الناس.** ومر رسول الله ﷺ بقوم لهم أظافر من نحاس، يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم[٨].

١٩- **خطباء السوء.** ورأى رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من النار[٩]، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون.

٢٠- **عمرو بن عامر الخزاعي.** ورأى رسول الله ﷺ عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُصْبَه في النار[١٠]، وكان أول من سيب السوائب، وبحر البحيرة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ـ ذكر مناقب جعفر بن أبي طالب ـ ح رقم:٤٩٣٥. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها ــ ح رقم:١٢٢٦(٣/٢٢٦)

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب الجنائز ـ باب ما قيل في أولاد المشركين ـ ح رقم:١٣٨٦(٢/١٠٠)

(٣) مسند أحمد ـ ح رقم:٢٣٢٤(٤/١٦٦) وإسناده صحيح كما قال ابن كثير في تفسيره (٥/٢٦)

(٤) مسند أحمد ـ ح رقم:٢٣٢٤(٤/١٦٧) وإسناده صحيح كما قال ابن كثير في تفسيره (٥/٢٦)

(٥) أَقْمَرَ: أَيْ: شَدِيدِ الْبَيَاض. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٤٨٣)

(٦) هجان بكسر أوله وتخفيف الجيم أي أبيض . فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٠٠)

(٧) مسند أحمد ـ ح رقم:٣٥٤٦(٥/٤٧٦) وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح .

(٨) مسند أحمد ـ ح رقم:١٣٣٤٠(٢١/٥٣) وقال شعيب إسناده صحيح .

(٩) مسند أحمد ــ ح رقم:١٢٢١١(١٩/٢٤٤) وصححه شعيب .

(١٠) قصبه بضم القاف وسكون المهملة وبالموحدة: أمعاءه. انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ـ للقسطلاني ـ (٦/ ١٦)

٢١- **افتراض الصلاة.** وبعد ذلك فرض الله على أمة محمد ﷺ خمسين صلاة كل يوم، فرجع رسول الله ﷺ فمر على موسى، فقال: بِمَ أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة؛ فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك. فرجع فوضع عنه عشرًا. فرجع إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قال أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بنيإسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم. فلما جاوز رسول الله ﷺ نادى منادٍ: أمضيت فريضتي وخففت على عبادي(١). وقال رب العزة في المرة الأخيرة: يا محمد،إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة. من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له عشرًا. ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئًا، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة(٢).

٢٢- **الرجوع إلى بيت المقدس.** وبعد أن اجتمع النبي ﷺبالأنبياء عليهم السلام في السموات نزل بيت المقدس وهم معه، وصلى بهم فيه(٣).

٢٣- **المرور بقافلة قريش.** ثم خرج رسول الله ﷺ من بيت المقدس فركب البراق، وعاد الي مكة، وفي طريقه مر بقافلة لقريش، قد أضلت بعيرًا لها، فلما أتى أصحابه قبيل الصبح بمكة، حدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم. فقال ناس: نحن لا نصدق محمدًا بما يقولون فارتدوا كفارًا(٤).

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب مناقب الأنصار ـ باب المعراج ـ ح رقم:٣٨٨٧(٥٢/٥)

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ ـ ح رقم:١٦٢(١٤٥/١)

(٣) قال الألباني: رواه الحسن بن عرفة في جزئه المشهور: حدثنا مروان بن معاوية عن قتادة بن عبد الله التيمي.كما في "تفسير ابن كثير" وقال: "إسناد غريب ولم يخرجوه فيه من الغرائب سؤال الأنبياء عنه عليه السلام ابتداء ثم سؤاله عنهم بعد انصرافه والمشهور في الصحاح -كما تقدم- أن جبريل كان يعلمه بهم أولا ليسلم عليهم سلام معرفة وفيه أنه اجتمع بالأنبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد الأقصى والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السماوات ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيًا وهم معه وصلى بهم فيه ثم إنه ركب البراق وكر راجعًا إلى مكة. والله أعلم".قلت: ولإسناده علتان:

الأولى: الانقطاع بين أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود وأبيه فإنه لم يسمع منه.

والأخرى: جهالة قتادة بن عبد الله التيمي فقد أورده ابن أبي حاتم ٧٥٩/١٣٥/٧، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً. انظر: الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها. للألباني ـ (ص: ٩٣)

(٤) السنن الكبرى للنسائي ـ كتاب السهو ، ذكر ما ينقض الصلاة ، وما لا ينقضها ـ ح رقم:١١٢١٩(١٤٧/١٠) وحسن إسناده الألباني في موسوعة الألباني في العقيدة (٢٨١/٨)

مما سبق يتبين أن معجزة الإسراء والمعراج تشتمل على العديد من المعجزات، وقد ورد ذكرها كما اتضح في السنة الصحيحة، وهذه المعجزات هي:

١- تفريج سقف بيت النبي ﷺ، ونزول جبريل منه.

٢- شق جبريل لصدر النبي ﷺ وغسله بماء زمزم، وإفراغه طستًا من الذهب مملوءًا بالحكمة والإيمان في صدر النبي ﷺ.

٣- ركوب النبي ﷺ للبراق، ووصوله لبيت المقدس في سرعة فائقة.

٤- عروجه ﷺإلى السماء الأولى، والتقاؤه بآدم عليه السلام.

٥- اجتيازه ﷺ باقي السماوات، والتقاؤه بكل من يحيى، وعيسى، ويوسف، وإدريس، وهارون، وموسى، وابراهيم عليهم السلام.

٦- وصول النبي ﷺإلى سدرة المنتهى.

٧- سماع الرسول ﷺ لصرير الأقلام، أي:أقلام القدر.

٨- رؤيته ﷺ لجبريل عليه السلام على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، وله ستمائة جناح.

٩- دخوله ﷺ الجنة.

١٠- رؤيته ﷺ لنهر الكوثر.

١١- رؤيته ﷺ لمن هو أبر الناس بأمه، وهو حارثة بن النعمان.

١٢- رؤيته ﷺ لقصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجنة.

١٣- رؤيته ﷺ درجتين في الجنة لزيد بن عمرو بن نفيل.

١٤- رؤيته ﷺ جعفر بن أبي طالب يطير في الجنة.

١٥- رؤية النبي ﷺ لمالك خازن النار.

١٦- رؤية النبي ﷺ المغتابين للناس وهم في النار.

١٧- رؤية النبي ﷺ عاقر ناقة صالح في النار.

١٨- رؤية النبي ﷺ للأعور الدجال في النار.

١٩- رؤيته ﷺ للواقعون في أعراض الناس وهم في النار.

٢٠- رؤيته ﷺ لخطباء السوء في النار، وهم الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم.

٢١- رؤيته ﷺ لعمرو بن عامر الخزاعي وهو يجر أمعاءه في النار، وكان أول من سيب السوائب وبحر البحيرة، وهو ما ابتدعه المشركون في بهيمة الأنعام من ترك الانتفاع ببعضها وجعلها للأصنام، وهي تشريعات لم يشرعها الله تعالى، قال تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[المائدة:١٠٣].

٢٢- افتراض الصلاة على النبي ﷺ في السماوات العلى.

٢٣- رجوع النبي ﷺإلى بيت المقدس ومعه الأنبياء، وصلاته ﷺ بهم.

٢٤- مروره ﷺ بقافلة قريش في أثناء عودته إلى مكة.

المطلب السادس

مقاصد وآثار الإسراء والمعراج على الفرد والمجتمع

لم يكن الإسراء مجرّد حادث فرديّ بسيط رأى فيه رسول الله ﷺ الآيات الكبرى، وتجلّت له ملكوت السموات والأرض مشاهدة وعيانًا، بل زيادة إلى ذلك اشتملت هذه الرحلة النبوية الغيبية على معانٍ عميقة دقيقة كثيرة، وإشارات حكيمة بعيدة المدى، ومقاصد عظيمة، منها:

١- إن الإسراء والمعراج يجعلنا على يقين بأن الدنيا دار فناء، لا دار خلود، ومنزل ترح، لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، وأن الله قد جعلها دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا، لعطاء الآخرة سببًا، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضًا، فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي، وأن للمحن والمصائب حكمًا جليلة، فهي تسوق أصحابها إلى باب الله تعالى، وتلبسهم رداء العبودية، وتلجئهم إلى طلب العون من الله، وهذا ما فعله نبينا محمد ﷺ، فبعد أن اشتدت عليه الشدائد كان لجوؤه إلى الله وحده لا شريك له(١).

٢- الإيمان واليقين بأن بعد كل محنة منحة، فقد حدث الإسراء بعد تعرض الرسول ﷺ لسلسلة من الآلام الشديدة بسبب العناد والإعراض عن الدعوة، بالإضافة إلى مجموعة من الابتلاءات التي قابلها النبي ﷺ بالصبر والجلد، كان منها وفاة زوجته خديجة وعمه أبي طالب، فكانت حادثة الإسراء والمعراج تسلية له، فقد أراد الله ﷻ أن يأخذ عبده ورسوله في رحلة إيمانية، هي الإسراء والمعراج(٢).

٣- الإيمان بقدرة الله العظيمة تلك القدرة الإلهية التي خلقت هذا الكون الكبير، لن تعجز عن حمل بشر إلى عالم السماء، وإعادته إلى الأرض، في رحلة ربانية معجزة لا يدري كيفيتها بشر؛ فالإسراء: آية من آيات الله تعالى التي لا تُعَدُّ ولا تحصى، وهو انتقال عجيب بالقياس إلى مألوف البشر؛ ولهذا فقد أثار كفار قريش حوله جدلاً طويلاً، وتساؤلات كثيرة. ولا يخفى على كل ذي بصيرة أن الله تعالى واضع نظام هذا الكون وقوانينه، وأن من وضع قوانين التنفس والجاذبية والحركة والانتقال والسرعة وغير ذلك، قادر على استبدالها بغيرها عندما يريد ذلك(٣).

٤- معرفة فضل ومكانة سيدنا محمد ﷺ، حيث صعد به رب العزة والجلالة إلى مكان عظيم لم يبلغه أحد من البشر قبله، حيث عرج به إلى السموات السبع، وتخطاهن حتى وصل إلى سدرة المنتهى، وكلّمه رب العزة والجلالة، لقد أكرم الله نبيه محمدًا برحلة لم يسبق لبشر أن قام بها،

---

(١) انظر: http://www.nabulsi.com/blue، يوم السبت بتاريخ ٢٠١٥/٣/١٤

(٢) انظر: سيدنا محمد أعظم الخلق - فوزي إبراهيم - (ص:٥٩)

(٣) انظر: http://islamstory.com/ar - يوم الأحد :٢٠١٥/٣/١٥م

فقد شاهد من آيات ربه ما لا يمكن لبشر أن يراه إلا عن طريق العون الإلهي، ووصل ﷺ إلى مستوى يسمع فيه كلام الله تعالى الأزلي الأبدي الذي لا يشبه كلام البشر، فقد منحه الله في هذه الرحلة عطاءً روحيًّا عظيمًا؛ تثبيتًا لفؤاده، ليتمكن من إتمام مسيرته في دعوة الناس إلى طريق الحق والهداية(١)، فحري بكل مسلم أن ينصر الرسول الكريم ﷺ ويدافع عنه بكل ما يملك، وعلى وجه الخصوص بعد الإساءات التي يتعرض لها النبي ﷺ من حين لآخر.

٥- الإيمان بأن دعوة الرسل جميعًا واحدة، وأنّ محمدًا ﷺ هو نبيّ القبلتين، وإمام المشرقين والمغربين، ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده، فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكّة بالقدس، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى، وصلّى الأنبياء خلفه، فكان هذا مؤشرًا على عموم رسالته، وخلود إمامته وإنسانيّة تعاليمه، وصلاحيتها لاختلاف المكان والزمان، وأن أمته التي آمنت به استمدت مكانتها من مكانته ﷺ، واتضحت رسالتها ودورها الذي ستمثله في العالم، ومن بين الشّعوب والأمم(٢)، وتعتبر صلاة النبي ﷺ بالأنبياء دليلًا على أنهم سلموا له بالقيادة والريادة، وأن شريعة الإسلام نسخت الشرائع السابقة، وأنه على أتباع هؤلاء الأنبياء أن يتبعوا أنبياءهم، وأن يسلموا بالقيادة لهذا الرسول ولرسالته التي لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وعلى الذين يعقدون مؤتمرات التقارب بين الأديان أن يُدركوا هذه الحقيقة، ويدعوا إليها، وعليهم أن يتركوا هذه الديانات المنحرفة، ويؤمنوا بهذا الرسول الكريم ﷺ وبرسالته، وعليهم أيضًا أن يدركوا حقيقة هذه الدعوات المشبوهة التي تخدم وضعًا من الأوضاع أو نظامًا من الأنظمة الجاهلية والوضعية(٣).

٦- التحرر من اليأس، واليقين بأن نصر الله آتٍ لا محالة، وأن هذا النصر قد لاحت بشائره، فالرسول ﷺ حين تجمَّعت عليه الأحزان بموت عمه وزوجه، وزاد أذى قريش له، ثم عقبه أذى أهل الطائف له، وسط هذه الأحزان والشدائد يأتي الاسراء والمعراج، ليقول للرسول الكريم ﷺ: إذا ضاقت بك الأرض؛ فإن أبواب السماء تفتح لك، وإذا ازداد إيذاء الناس لك؛ فالأنبياء والملائكة ترحب بك، وربك الذي بيده ملكوت كل شيء يدنيك من عرشه ويفيض عليك من نوره:﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم:١٨]، وهذا يجعل المسلم على يقين أن الفرج بعد الكرب وأن النصر مع الصبر، قال تعالى:﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤](٤).

---

(١) http://islamstory.com/ar، بتاريخ:٢٠١٥/٣/١٥م
(٢) انظر: السيرة النبوية ـ علي أبو الحسن الندوي (ص: ٢١٩)
(٣) انظر:السيرة النبوية ـ محمد أبو فارس ـ (ص:٢٤٤)
(٤) انظر: http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title،بتاريخ: ٢٠١٥/٣/١٤.

٧- الثبات على الحق، وبث الأمل في النفوس، فالتاريخ يعيد نفسه، فحين يأس المشركون من أن يصرفوا رسول الله ﷺ ومن معه عن دينهم، فكروا في حصار المسلمين، والذي أعقب ذلك أن فتحت لرسول الله ﷺ الآفاق، فذهب إلى القدس، وصعد الى السماء، ولم تمضِ إلا بضع سنوات حتى أصبح للإسلام دولة عظيمة مرهوبة الجانب، مسموعة الكلمة:﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾[يوسف:١١٠]، فحصارنا في فلسطين زائلٌ لا محالة، وصحائف الحصار سوف يمزقها الله بقدرته، وبثباتنا المشروط بعبودية لله لا نشرك معه أحدًا:﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[النور:٥٥](١)، ومن أمثلة الثبات على الموقف في قصة الإسراء ثبات النبيﷺ عندما جهر بالحق ولم يخش في الله لومة لائم، وبلغ قريشًا أنه أُسري به إلى بيت المقدس رغم توقعه تكذيبهم له، فالإيمان القوي يولد الشجاعة العالية في قول الحق(٢)، وفي حرص النبي ﷺ على إخبار قومه بما منَّ الله عليه من التكريم بالإسراء، درسٌ واضح لخط سير الصف المسلم، ووجوب تبليغ حقيقة الدين جلية واضحة، فإن إخفاء الحقائق إرضاءً لنزوات الناس هو انحراف عن منهج الله، وكتمان لما أمر الله به من التبليغ(٣).

٨- أهمية تنقية الصف المسلم، وهذا ما برز في قوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ**﴾[الإسراء:٦٠]،"أي: وما جعلنا ما أطلعناك عليه ليلة الإسراء إلا اختبارًا وامتحانًا للنّاس، لمعرفة المؤمنين الصادقين، والكافرين المكذّبين، معرفة ينكشف بها حالهم أمام الناس"(٤).

فقد كان النبي ﷺمقدم على مرحلة جديدة،هي مرحلة الهجرة وبناء الدولة، ويريد الله تعالى للبنات الأولى في هذا البناء أنتكون قوية ومتراصة ومتماسكة، وقد جعل الله هذا الاختبار والتمحيص، ليخلص الصف من الضعاف المترددين، ويثبت الأقوياء والمخلصين، وارتد على إثر حادثة الإسراء والمعراج كثير من المسلمين،وكان في الصف المقابل أبو بكر الصديق ﷺالذي قال كلمته المشهورة التي حددت منه الإيمان:"إن كان قالها؛ فقد صدق"، ثم قال: "فو الله إنه ليخبرني الخبر يأتيه من السماء ساعة من ليل أو نهار فأصدق"، وفاز يومها أبو بكر

(١) انظر: http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title، بتاريخ: ١٤/ ٣/ ٢٠١٥م.
(٢) انظر: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ـ عبد العزيز الحميدي ـ (٣/٣٧ـ ٣٨)
(٣) انظر: التربية القيادية ـ منير الغضبان ـ (٤٥٣/١)
(٤) التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ١١١)

ﷺ بصديق هذه الأمة،وهو ﷺ الذي علمنا كيف يكون التعامل مع ما يأتي من الله ورسوله، فلا مجال للرأي بعد ثبوت النقل[١].

٩- إدراك أهمية المسجد والصلاة، فقد بدأت رحلة الإسراء من مسجد إلى مسجد،وتم فرض الصلاة في المعراج، وهذا دليل على أهمية الصلاة والمسجد وبيان أنهما أساس إصلاح النفوس[٢]، "وفي فرض الصلاة ليلة الإسراء والمعراج إشارة إلى الحكمة التي من أجلها شرعت الصلاة، فكأن الله يقول لعباده المؤمنين: إذا كان معراج رسولكم بجسمه وروحه إلى السماء معجزة، فليكن لكم في كل يوم خمس مرات معراج تعرج فيه أرواحكم وقلوبكم إليَّ، ليكن لكم عروج روحي تحققون به الترفع عن أهوائكم وشهواتكم، وتشهدون به من عظمتي وقدرتي ووحدانيتي، ما يدفعكم إلى السيادة على الأرض، لا عن طريق الاستعباد والقهر والغلبة، بل عن طريق الخير والسمو"[٣]، وفي فرض الصلاة ليلة المعراج شرف عظيم، كما قال ابن كثير: "وَفِي هَذَا اعْتِنَاءٌ عَظِيمٌ بِشَرَفِ الصَّلَاةِ وَعَظَمَتِهَا"[٤]، فعلى الدعاة أن يؤكدوا على منزلة الصلاة وأهميتها للمسلم، ووجوب المحافظة على آدائها، وأن يهتموا بالحديث عنها في خطبهم ومواعظهم[٥].

١٠- إدراك أهمية المسجد الأقصى بالنسبة للمسلمين، إذ أصبح مسرى رسولهم ﷺ ومعراجه إلى السموات العلى، واستمر كقبلة لهم طيلة الفترة المكية، وفي الاقتران الزمني بين إسراء النبي ﷺ إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماوات العلى لدلالة باهرة على أهمية هذا البيت وقدسيته، وهذا توجيه وإرشاد للمسلمين في كل عصر بأن يحافظوا على هذه الأرض المباركة، وأن يهبوا لتحريرها من اليهود الغاصبين، وألا يتخاذلوا أمام هذا العدوان البغيض،فالتفريط في الدفاع عنها وتحريرها تفريط في جنب الإسلام، وجناية يعاقب الله عليها كل مؤمن بالله ورسوله[٦]، والربط بين المسجدين الأقصى والحرام يشعر بأن التهديد للمسجد الأقصى هو تهديد للمسجد الحرام وأهله، وأن النيل من المسجد الأقصى توطئة للنيل من المسجد الحرام، فالمسجد الأقصى بوابة الطريق إلى المسجد الحرام، وزوال المسجد الأقصى من أيدي المسلمين ووقوعه في أيدي اليهود يعني أن الخطر المحدق قد لمَّ بالمسجد الحرام وبلاد الحجاز، واتجهت أنظار الأعداء إليهما لاحتلالهما[٧].

(١) انظر: فقه السيرة النبوية ـ منير محمد الغضبان ، (ص: ١٩٢)
(٢) انظر: سيدنا محمد أعظم الخلق ـ فوزي إبراهيم ، (ص:٦٠)
(٣) السيرة النبوية – دروس وعبر، مصطفى السباعي ـ (ص:٥٨)
(٤) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير (٤٣/٥)
(٥) انظر: المستفاد من قصص القرآن ـ عبد الكريم زيدان ـ (٩٣/٢)
(٦) انظر: المصدر السابق (ص:٥٨)
(٧) انظر: السيرة النبوية ـ محمد أبو فارس (ص: ٢٤٨)

لقد وقف دافيد بن غوريون(١) زعيم اليهود بعد دخول الجيش اليهودي القدس يستعرض جنودًا وشبانًا من اليهود بالقرب من المسجد الأقصى ويُلقي فيهم خطابًا ناريًا يختتمه بقوله: "لقد استولينا على القدس، ونحن في طريقنا إلى يثرب"(٢)، ووقفت غولدا مائير(٣) رئيسة وزراء اليهود بعد احتلال بيت المقدس وعلى خليج إيلات العقبة، تقول: "إنني أشم رائحة أجدادي في المدينة والحجاز، وهي بلادنا التي سوف نسترجعها"(٤)، وقام اليهود بعد ذلك بنشر خريطة لدولتهم المنتظرة التي شملت المنطقة العربية من النيل إلى الفرات(٥)، ليس ذلك فحسب؛ بل أصبحت هذه الخريطة تُدَرس للطلاب اليهود في المدارس.

١١- اليقين بأن الإسلام هو دين الفطرة الإنسانية، بمعنى أنه الدين الذي ينسجم معها، ويلبي نوازعها واحتياجاتها، ويحقق طموحاتها، ويكبح جماحها:﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الروم:٣٠]، يتضح ذلك من خلال اختيار الرسول ﷺ اللبن حين خيّر بينه وبين الخمر، وبشارة جبريل عليه السلام لهﷺ بقوله: هديت للفطرة، تؤكد أن هذا الإسلام دين الفطرة البشرية الذي ينسجم معها(٦)، فحري بكل مسلم أن يتمسك بهذا الدين العظيم،ويعمل على نصرته، ويدافع عنه.

١٢- في الإسراء والمعراج رمز إلى سمو المسلم، ووجوب أن يرتفع فوق أهواء الدنيا وشهواتها، وأن ينفرد عن غيره من سائر البشر بعلوالمكانة، وسمو الهدف، والتحليق في أجواء المثل العليا دائمًا وأبدًا(٧).

---

(١) أوّل رئيس وزراء لدولة الكيان عاش ما بين العام ١٨٨٦ الى العام ١٩٧٣، حيث ولد بمدينة "بلونسك" البولندية باسم دافيد غرين، ولتحمّسة للصهيونية،هاجر إلى فلسطين في ١٩٠٦. امتهن بن غوريون الصحافة في بداية حياته العملية، وبدأ باستعمال الاسم اليهودي "بن غوريون"، عندما مارس حياته السياسية، وكان بن غوريون من طلائع الحركة العمّالية الصهيونية في مرحلة تأسيس دولة الكيان.
انظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/% الأربعاء ٢٠١٥/٤/٨م.

(٢) السيرة النبوية . محمد أبو فارس (ص:٢٤٨) نقلاً عن جريدة الدستور الأردنية العدد (٤٦١٣) بقلم أميل الغوري

(٣) ولدت في مدينة كييف باكرانيا وعاشت ما بين ٣ مايو ١٨٩٨ – ٨ ديسمبر ١٩٧٨م، هاجرت إلى فلسطين في العام ١٩١٩، وهي رابع رئيس وزراء لدولة الكيان، حيث تولت رئاسة الحكومة في الفترة ما بين العام ١٩٦٩ إلى العام ١٩٧٤، كانت متصلبة جدًّا وتفتقر للمرونة، ما دفع المنطقة الى حرب العام ١٩٧٣، وكانت تسمى بالمرأة الرجل أو المرأة الحديدية، وقد عرفت بشدة كراهيتها للعرب والمسلمين، تم حرق المسجد الأقصى إبان رئاستها لحكومة الكيان، توفيت سنة ١٩٧٨م . انظر: https://ar.wikipedia.org الأربعاء ٢٠١٥/٤/٨م

(٤) السيرة النبوية . محمد أبو فارس (ص:٢٤٨) نقلاً عن جريدة الدستور الأردنية العدد (٤٦١٣) بقلم أميل الغوري

(٥) انظر: المصدر السابق (ص:٢٤٩)

(٦) انظر: فقه السيرة ـ للبوطي ـ (ص:١١٣)

(٧) السيرة النبوية – دروس وعبر، مصطفى السباعي (ص:٥٨)

١٣- ضرورة طهارة القلوب من الشرك والشك والذنوب التي تقطعنا عن السماء، وملؤها بالإيمان؛ حتى تتمكَّن من الاتصال بالله. ونلمح ذلك مما حدث مع النبي ﷺ في الإسراء، حيث قال: **"فَفَرَجَ صَدْرِي ثُم غَسَلَهُ بِماءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جاءَ بِطسْتٍ مِنْ ذهَبٍ مُمْتلِئ حِكْمَةً وَإيمانًا فأفْرَغَهُ فِي صَدْرِي"**(١)(٢).

١٤- وجوب الاستئذان عند الدخول، نلمح ذلك من خلال قرع جبريل عليه السلام لأبواب السماوات،التي لها أبواب وحفظة موكلون بها، وكان جبريل عليه السلام يُعرّف بنفسه وبمن معه، فكان يقول: أنا جبريل ومعي محمد، دليل على أهمية التعريف بالنفس عند الاستئذان(٣).

١٥- الاستفادة من تجارب الدعاة السابقين، والاستماع لنصحهم، متى توفر الإخلاص والأمانة والصدق، فالتجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة،كان ذلك من سيدنا موسى من قبيل أنه استند إلى تجربة سابقة مع بني إسرائيل، فكان نصحه لسيدنا محمد ﷺ بناءً عليها، وقد أشار النبي ﷺ إلى فضيلة النصيحة بقوله:"الدين النصيحة"(٤)(٥).

١٦- الحذر من الأمراض الاجتماعية والرذائل، وتجنب الوقوع فيها، فقد تحدث الرسول ﷺ عن مخاطر الأمراض الاجتماعية، وبين عقوبتها في سنته الشريفة، وشاهد ذلك في ليلة الإسراء والمعراج(٦)، فقد رأى النبي ﷺ المغتابين في النار يأكلون الجيف، ورأى الواقعين في أعراض الناس لهم أظافر من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، ورأى خطباء السوء الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم تُقرض شفاههم بمقاريض من النار، مما مر بيانه في المطلب السابق(٧).

١٧ـ وجوب الحرص على بر الوالدين، فالبار بوالديه ينتظره ثواب عظيم من الله ﷻ، يتضح ذلك من خلال رؤية النبي ﷺ للبار بأمه في الجنة، مما سبق بيانه في المطلب السابق(٨).

١٨ـ الإيمان بأن فلسطين أرض مباركة ومقدسة، فقد نصت معجزة الإسراء على أن كل فلسطين مباركة: القدس، وغيرها، فالمسجد الأقصى الذي يقع في القدس، وما حول القدس من مدن

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الصلاة ـ باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء ـ ح رقم :٣٤٩ـ (٧٨/١)
(٢) انظر: http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title، يوم الأربعاء بتاريخ ٢٣/ ٤/ ٢٠١٥ م
(٣) انظر:سيدنا محمد أعظم الخلق ـ فوزي إبراهيم (ص:٦١)
(٤) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان أن الدين النصيحة ـ ح رقم :٥٥ (٧٤/١)
(٥) انظر: سيدنا محمد أعظم الخلق (ص:٦٢).
و انظر: http://www.ikhwanwiki.com/index.php?titleيوم السبت بتاريخ ١٤/ ٣/ ٢٠١٥
(٦) انظر: السيرة النبوية ـ محمد أبو فارس (ص: ٢٥٤)
(٧) انظر: (ص: ١٧٧) من هذا البحث
(٨) انظر: (ص: ١٧٦) من هذا البحث.

وقرى، وسهول وجبال، وزروع وأشجار ومياه، فالقدس مباركة، وحيفا ويافا وغزة واللد والرملة والخليل، وكل مدن وقرى فلسطين مباركة، والبركة تستغرق بلاد الشام كلها، وعليه فإن التنازل عن شبر من أرض فلسطين لتقام عليه دولة لليهود إخوة القردة والخنازير جريمة من الجرائم، وكبيرة من الكبائر[١].

وبعد فهذه مجموعة من المقاصد لمعجزة الإسراء والمعراج، والمتتبع لأحداث المعجزة ربما يجد المزيد.

(١) انظر: السيرة النبوية ـ محمد أبو فارس (ص: ٢٤٩)

المبحث الثالث

إعجاز القران الكريم من خلال سورة الإسراء

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : التعريف بالقران الكريم لغةً و اصطلاحاً .

المطلب الثاني : صفات القران الكريم في سورة الإسراء .

المطلب الثالث : وجوه الإعجاز في السورة الكريمة .

المطلب الأول
التعريف بالقرآن الكريم لغة واصطلاحًا

أولاً:القرآن لغة

"قَرَأَ قِرَاءَةً وَقُرْآنًا بِالضَّمِّ، وَقَرَأَ الشَّيْءَ قُرْآنًا بِالضَّمِّ أَيْضًا: جَمَعَهُ وَضَمَّهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْقُرْآنُ، لِأَنَّهُ يَجْمَعُ السُّوَرَ وَيَضُمُّهَا،وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة:١٧] أَيْ: قِرَاءَتَهُ"(١)، ثم صار لفظ القرآن علمًا شخصيًا لذلك الكتاب الكريم، وهذا هو الاستعمال الأغلب له، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩](٢)، وسُمِّيَ بِذَلِكَ لأنه يجمع العديد مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْقِصَصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ من الأمور(٣).

والقِرَاءَةُ: جمع الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في ترتيل القرآن، وقد خصّ بالكتاب المنزّل على محمد ﷺ، فصار علامة عليه، كما أنّ التّوراة علامة على موسى عليه السلام، والإنجيل علامة على عيسى عليه السلام(٤)، وقد سُمي القرآن بهذا الاسم دون غيره من الكتب السماوية، لأنه يجمع فوائد وثمرات جميع الكتب السماوية، ويجمع جميع العلوم ويضمها في حروفه وكلماته وآياته، وهذا ما أشار إليه المولى عز وجل في قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩](٥).

ثانيًا: القرآن اصطلاحًا

وردت عن العلماء تعريفات كثيرة للقرآن الكريم، وهذه التعريفات تتفاوت مع بعضها البعض من ناحية الشمول، فبعضها أشمل من بعض، وتتفاوت كذلك من ناحية الألفاظ، ومنها:

- عرفه الشيخ منـاع القطان– رحمه ـ الله– نقلاً عن العلماء كما يقول: "كـلام الله المنزل على محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته"(٦).

---

(١) مختار الصحاح ـ للرازي (ص: ٢٤٩).
(٢) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ـ محمد دراز ـ (ص: ٤١)
(٣) انظر: مقاييس اللغةـ ابن فارس (٥/ ٧٩)
(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهانى، (ص:٦٦٨ـ ٦٦٩)
(٥) انظر: مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطان (ص :١٦)
(٦) مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطان (ص:١٧)

- وعرفه الشيخ الصابوني -رحمه الله:"كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس"(١).

وترى الباحثة أن تعريف الشيخ الصابوني متفق عليه بين العلماء والأصوليين، فهو تعريف شامل، لأنه ذكر في التعريف أنه منزل على خاتم الأنبياء والمرسلين،ومعنى ذلك أن الناس لا يلزمهم بعده تشريع، فالقرآن أنزله الله تعالى من أجل أن يكون دستورًا للأمة حتى قيام الساعة،وقوله المتعبد بتلاوته يبين أنه جاء لهداية الخلق لما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، فالهداية تتحقق بالتعبد به.

شرح التعريف

أ- **كلام الله المعجز:** فالقرآن هو المعجزة الخالدة، الذي أنزله الله تعالى ليكون آية على صدق الرسول ﷺ، وبرهانًا ساطعًا على نبوته ورسالته إلى يوم الدين،فهو المعجزة التي تتحدى الأجيال على مر الأزمان والعصور(٢)، والقرآن معجز كله، وهو معجز بأي سورة منه، حتى لو كانت هي أقصر سورة من سوره، قال تعالى:**﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾**[الإسراء:٢](٣).

ب- **المُنزَّل:** أخرجت من التعريف الكلام الذي استأثر الله بعلمه،أو ألقاه إلى ملائكته ليعلموا به،لا لينزلوه على أحد من البشر، قال تعالى: **﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾**[الكهف:١٠٩](٤). وقوله: على خاتم الأنبياء والمرسلين: خرج به المنزل على الأنبياء والمرسلين السابقين لسيدنا محمد ﷺ، كالتوراة والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم ﷺ(٥).

ج- **المكتوب في المصاحف:** وهذه مزية وخاصية للقرآن أنه دوّن وحفظ بالكتابة في زمن النبي ﷺ وبإشرافه واعتنائه الزائد، ولما قام الصحابة بجمع القرآن في المصحف وكُتبت المصاحف في عهد عثمانﷺ، أجمعوا على تجريد المصحف من كل ما ليس قرآنًا، وقالوا: جرّدوا

(١) التبيان في علوم القرآن ـ للصابوني ،(ص:٦)
(٢) انظر: التبيان في علوم القرآن ـ الصابوني (ص:٦-٧)
(٣) انظر:علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر (ص: ١٢)
(٤) انظر: التبيان شرح أركان الإيمان ـ .سعد عاشور.ـ (ص:٢٨٥)
(٥) انظر: المصدر السابق، (ص:٢٨٥)

المصاحف، فمن ادعى قرآنية شيء ليس في المصاحف فدعواه باطلة كاذبة، وهو من المفترين على الله وعلى رسوله[1].

د- **المنقول بالتواتر:** وهذا يعني أن القرآن قد نقله جمع عظيم غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب، ولا وقوع الخطأ منهم صدفة، هذا الجمع الضخم ينقل القرآن عن جمع مثله، ويستمر النقل إلى أن يصل إلى النبي ﷺ، وذلك يفيد العلم اليقيني القاطع دون أدنى ريب بأن هذا القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه ﷺ، وهذه الخاصية تميز بها القرآن الكريم دونًا عن غيره من الكتب السابقة، التي لم يُتَح لها الحفظ في السطور ولا في الصدور، ولم تنقل بالحفظ نقلاً متواترًا جيلاً عن جيل،أما القرآن فقد جعل الله فيه قابلية عجيبة للحفظ، كما قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾**[القمر:١٧][2].

هـ- **المتعبد بتلاوته:** خرج من التعريف الأحاديث القدسية، والمراد بالمتعبد بتلاوته أمران:

الأول: أننا نقرؤه في الصلاة، وهي لا تصح إلا به، وهو بهذا الأمر يختلف عن الأحاديث القدسية والنبوية، فهي لا تُقرأ في الصلاة[3].

الثاني: أن الأجر على تلاوته لا يساويه أي أجر لغيره، «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[4][5].

(١) انظر:علوم القرآن الكريم – نور الدين عتر (ص: ١١)
(٢) انظر:المصدر السابق (ص: ١١)
(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطان (ص:١٧)
(٤) رواه الترمذي ـ (١٧٥/٥) ـ ح رقم : ٢٩١٠، وقال: حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني:صحيح .
(٥) انظر:التبيان شرح أركان الإيمان ـ سعد عاشور(ص:٢٨٥ـ ٢٨٦)

المطلب الثاني

صفات القرآن الكريم في سورة الإسراء

أولاً: صفات القرآن الواردة في السورة

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف كثيرة منها: النور، والبرهان، والهدى، والشفاء، والبركة، وفي سورة الإسراء وصفه بالشفاء، والرحمة،والهدى، فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:١٠]، أي: أن الله تعالى يُرشد بالقرآن للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل، أي للدين الإسلامي دين الله الذي بعث به أنبياءه، فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضل عنها سائر أهل الملل المكذبين به[١].

ووصفه بالشفاء والرحمة في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء:٨٢]، وسيتم توضيح معناها ضمن خصائص القرآن الكريم الآتية .

خصائص القرآن الواردة في السورة

للقرآن الكريم مزايا وخصائص تميزه عن غيره من الكتب السماوية، ورد منها في السورة:

١. أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية السماوية، كما أنه جاء مؤيدًا ومصدقًا لما جاء في الكتب السابقة له، من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته، وجمع القرآن كل ما كان متفرقًا في تلك الكتب من الحسنات والفضائل[٢]، فقد فسرت السورة شريعة أهل السبت وشأنهم، وذكرت جميع ما شرعه الله تعالى لهم في التوراة، فعن ابن عباس ﷺ أنه قال: «إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل»[٣]، وهي مجموعة الآيات من (٢٣-٣٨) من قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الإسراء:٢٣]، إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:٣٨].

٢. القرآن هو كتاب الإسلام العظيم في عقائده، وعباداته، وحكمه، وأحكامه، وآدابه، وأخلاقه، وقصصه، ومواعظه، وعلومه، وأخباره، وهدايته، ودلالته،وهو الأساس لرسالة التوحيد، والمصدر القويم للتشريع، وهومنهل الحكمة والهداية للناس[٤]، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ

---

(١) انظر: جامع البيان ـ للطبري (١٧/ ٣٩٢)

(٢) انظر:الإيمان أركانه،حقيقته، نواقضه ـ محمد نعيم ياسين، (ص:٥٣)

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/٥٩٥)

(٤) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي (ص: ٥٨)

﴿الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء:٣٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩]. قال الإمام سيد قطب –رحمه الله: "يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولاغموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق،ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله، ولو كان هذا العمل متاعًا واستمتاعًا بالحياة، ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء. ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار. ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال، ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض: أفرادًا وأزواجًا، وحكومات وشعوبًا، ودولاً وأجناسًا، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى، ولا تميل مع المودة والشنآن، ولا تصرفها المصالح والأغراض. الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه، وهو أعلم بمن خلق، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان، ويهدي للتي هي أقوم في تبني الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها، وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها، فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووئام"(١).

٣. ومن خصائص كتاب الله العزيز الشمول فهو كتاب الحياة كلها وكتاب الإنسانية كلها، فلم يأتِ القرآن لجنس دون جنس، ولا لوطن دون وطن، ولا لقوم دون قوم كحال الكتب السماوية السابقة، إنه كتاب الجميع ودستور الجميع فى نسق فريد ونظم بديع(٢)، وقد أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ أن يقرأه على الناس، كما قال تعالى:﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[الإسراء:١٠٦].

٤. القرآن الكريم كتاب معجز على مرِّ الأيام وتعاقب الأزمان فهو آية محمد ﷺ العظمى ومعجزته الخالدة أبد الدهر، وقد تعددت جوانب إعجازه فهو معجز فى لفظه وأسلوبه ونظمه وعباراته وألفاظه، وهو معجز فى موضوعه(٣)، ولأنه معجز فقد تحدى الله به البشرية جمعاء بأن يأتوا

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب (٤/٢٢١٥)
(٢) انظر: فقه قراءة القرآن الكريم ـ أبو خالد المصري، (ص :١٩)
(٣) انظر: المصدر السابق ، (ص:١٨)

بمثله،قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء:٨٨]،فقد اشتملت الآية على التحدي للإنس والجن وفيهم العرب، الذين كانوا أرباب البيان والفصاحة على أن يأتوا بمثل هذا القرآن المنزل، في بلاغته، وحسن نظمه وبيانه، ومعانيه وأحكامه، لعجزوا عن الإتيان بمثله، حتى ولو كان الجميع متعاونين متآزرين فيما بينهم لتلك الغاية، فالأمر مستحيل، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثيل؟[١].

٥. القرآن شفاء للنفوس: فقد وصف الله تعالى القرآن بأنه شفاء ولم يصفه بأنه دواء؛ لأن الشفاء هو ثمرة الدواء والهدف منه، أما الدواء فقد يحقق استعماله نفعًا، وقد لا يحقق، فكان وصف القرآن بأنه شفاء تأكيد لثمرة التداوي به، قال تعالى:﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[الإسراء:٨٢][٢]، والشفاء الذي اشتمل عليه القرآن هو "شفاء النفوس من أوهام الباطل، وشفاء العقول من رجس الوثنية والأخلاق الجاهلية ومفاسد الأخلاق والرذائل الأثيمة، وتلك تخلية وبعدها التحلية، وتلك هي الرحمة، فتملأ النفوس بمكارم الأخلاق، وتنظم المعاملات بين الناس في شريعة محكمة وحقائق ثابتة، وتنظم أعمال الناس بنظم اجتماعية واقتصادية تحفظ للفرد حقه في التصرف والامتلاك، وتصريف أموره في ظل جماعة عادلة رحيمة مترابطة غير متقاطعة، ولا متنازعة، لَا تسلب فيها الحقوق بكلام لَا معنى له"[٣].

٦. ومن خصائصه: أنه جاء مهيمنًا على الكتب السابقة له، بمعنى أنه شاهد وحاكم ورقيب على كل كتاب قبله[٤]، وبالرجوع للسورة الكريمة يتبين أن لفظ القرآن تكرر فيها ثماني مرات، وهذا يدلل على عظمة القرآن وهيمنته على ما سبقه من الكتب، مثل التوراة والزبور، وهي الكتب التي ورد ذكرها في السورة أيضًا، قال ابن كثير –رحمه الله:"هُوَ أَمِينٌ وَشَاهِدٌ وَحَاكِمٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ، جَعَلَ اللَّهُ هَذَا الْكِتَابَ الْعَظِيمَ، الَّذِي أَنْزَلَهُ آخِرَ الْكُتُبِ وَخَاتَمَهَا، أَشْمَلَهَا وَأَعْظَمَهَا وَأَحْكَمَهَا، حَيْثُ جَمَعَ فِيهِ مَحَاسِنَ مَا قَبْلَهُ، وَزَادَهُ مِنَ الْكَمَالَاتِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِ؛ فَلِهَذَا جَعَلَهُ شَاهِدًا وَأَمِينًا وَحَاكِمًا عَلَيْهَا كُلِّهَا"[٥]، وقد بين القرآن أن هذه الكتب قد تم تحريفها وتبديلها، وبين ما أخفته تلك الكتب ورد كل مافيها من باطل.

---

(١) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ١٦٠)

(٢) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم ـ فهد الرومي (ص:٥٨)

(٣) زهرة التفاسير، محمد أ بو زهرة - (٤٤٤٢/٨)

(٤) انظر: هذا هو القرآن العظيم - محمد الشريف - (ص: ٢٣)

(٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير (٣/ ١٢٨)

٧. ومن خصائصه: أن له تأثيرًا خاصًّا في النفوس، سواء كانت هذه النفوس سوية أم جامحة متبعة للهوى[(١)]، قال تعالى:﴿ **قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا** ﴾ [الإسراء:١٠٧]، أي: إن هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول القرآن، ويُقصد بهم مجموعة من أهل الكتاب، كان منهم زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، فحدث أنهم بعدما سمعوا القرآن زادوا خشوعًا وخشية لله ﷻ، وفي قوله:﴿ **يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا** ﴾ كناية عن غاية الوله والخوف والخشية من الله تعالى[(٢)]، وهذا المعنى بينه قول الله تعالى في السورة:﴿ **وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا** ﴾[الإسراء:١٠٩]. أما تأثيره في النفوس الجامحة فذلك كتأثيره في عمر بن الخطاب ؓقبل إسلامه، فقد ورد أنه قال:"**فَلَمَّا سَمِعْتُ الْقُرْآنَ رَقَّ لَهُ قَلْبِي، فَبَكَيْتُ وَدَخَلَنِي الْإِسْلَامُ**"[(٣)]، أو من تأثر به ولكنه لم يدخل في الإسلام، كالوليد بن المغيرة، فقد وردأن "الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ جاء إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ:﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[النحل:٩٠]، قَالَ: أَعِدْ، فَأَعَادَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: وَاللهِ، إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ "[(٤)].

---

(١) انظر : دراسات في علوم القرآن ـ محمد بكر إسماعيل ـ (ص: ٣٢٧)
(٢) انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي (٤١٨/٢١)
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ـ عبد الملك المعافري، (١/ ٣٤٧)
(٤) ذكره البيهقي في كتابه الاعتقاد (ص:٢٦٨) بدون إسناد ، قال: وَرُوِّينَا عَنْ عِكْرِمَةَ مُرْسلًا فِي قِصَّةِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ... ثم ذكره .

المطلب الثالث

وجوه الإعجاز في السورة

أولاً: تعريف الإعجاز

قال صاحب القاموس: "وأعْجَزَهُ الشيءُ: فاتَهُ، وأعجز فلانًا: وجَدَهُ عاجِزًا، وصَيَّرَهُ عاجِزًا، والتَّعْجِيزُ: التَّثْبيطُ، والنِّسْبَةُ إلى العَجْزِ، ومُعْجِزَةُ النبيِّ ﷺ: ما أعْجَزَ به الخَصْمَ عندَ التَّحَدِّي، والهاءُ للمُبالَغَةِ"[١].

وقال الصابوني في التبيان: الإعجاز في اللغة العربية:"نسبة العجز إلى الغير، قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة:٣١]، وتسمى المعجزة معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، لأنها أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، وإعجاز القرآن معناه:إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله"[٢].

ثانيًا: متى ظهرت كلمة: إعجاز

لابد من التنبيه على أن هذا المصطلح لم يكن معروفًا في عهد النبي والصحابة والتابعين، ولكنه عرف بعد ذلك، والذي كان يقوم مقام المعجزة هو لفظ الآية، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾[الإسراء:١٠١][٣].

ثالثًا: التحدي بالقرآن

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي تتحدى الأجيال قرنًا بعد قرن، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد كان من ادعاءات المشركين أن القرآن الكريم من وضع البشر، وذلك يقتضي أن يكونوا قادرين على الإتيان بمثله، لا سيما أنهم كانوا أرباب البلاغة، ولكن القرآن تحداهم في مقامات متعددة في القرآن الكريم[٤].

وقد جاء التحدي بالقرآن على مراحل ثلاث[٥]:

---

(١) القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي ـ (ص: ٥١٦)

(٢) التبيان في علوم القرآن ـ للصابوني ـ (ص:٨٩)

(٣) انظر: إعجاز القرآن الكريم ـ فضل حسن عباس ـ سناء فضل عباس ـ (ص:٢٨) .

(٤) انظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم ـ زاهر بن عواض الألمعي (ص : ٨٣) .

(٥) انظر: مباحث في علوم القرآن ـ للقطان (ص:٢٦٦)، ومناهج الجدل في القرآن الكريم ـ للألمعي (ص:٨٣).

أ- تحداهم بالقرآن كله في أسلوب عام شامل، يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن، بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء:٨٨]، وقوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤]

ب- ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٣ـ ١٤].

ج- ثم تحداهم بسورة واحدة منه في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾[يونس:٣٨]، وكرر هذا التحدي في قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِه﴾[البقرة:٢٣].

رابعاً : وجوه الإعجاز في السورة

أجمع المسلمون والمنصفون من غير المسلمين على أن القرآن الكريم كتاب معجز، وهو المعجزة العظمى لسيدنا محمدﷺ، واتفقوا جميعًا على أن بيان القرآن وبلاغته ونظمه من أعظم وجوه الإعجاز وأهمها، وذلك على اعتبار أنه لا تخلو منه آية من كتاب الله ﷻ، ولكنهم اختلفوا فيما وراء ذلك، فرأى بعضهم أن القرآن الكريم معجز ببيانه فحسب، وذهب أكثر العلماء إلى أن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة، فهناك الإعجاز البياني، وهناك الإعجاز التشريعي والخلقي، وهناك الإعجاز العلمي، إلى غير ذلك من وجوه الإعجاز[1].

والباحثة تميل إلى الرأي القائل بتعدد وجوه الإعجاز، وذلك أن القرآن معجز بكل ما تتسع له كلمة إعجاز، وبكل ما يشتمل عليه القرآن الكريم من مجالات متعددة، وسيتم حصرها في خمسة وجوه، وتطبيقها على السورة الكريمة، وهذه الوجوه هي:

١. الإعجاز البياني.

٢. الإعجاز العلمي.

٣. الإعجاز التشريعي.

٤. الإعجاز الغيبي (أنباء السابقين وأخبار المستقبل).

٥. الإعجاز التأثيري.

---

(١) انظر: إعجاز القرآن، د. فضل حسن عباس، سناء فضل عباس (ص: ٢٩) .

أولاً: الإعجاز البياني

ويراد به إعجاز القرآن الكريم في نظمه وألفاظه وأسلوبه، حيث جاء بأحسن الألفاظ، متضمنًا أحسن المعاني[١]، فقد بهر بلغته السهلة الجزلة، الخالية تمامًا من التنافر والتعقيد أساطين البلاغة والبيان، وملك بأسلوبه في تأدية المعاني عقول الحكماء ودعاة الخير والإصلاح، فأيقنوا بأنه وحي منزَّل يستحيل أن يتقوَّلَه أحد، لما رأوه فيه من جمال التعبير ودقة التصوير وروعة البيان، فقد اشتمل على خصائص لغوية في تأدية المعاني لم تتوفَّر لكلام سواه، واتصف مَنْطِقُه بسمات بلاغية كأنَّ العرب لم يقعوا عليها في غير هذا القرآن، مع أنه نزل بلغتهم، وهذا منتهى التحدي، وقمة الإعجاز[٢]، ويمتاز هذا النوع عن غيره من أنواع الإعجاز بكونه موجودًا في القرآن الكريم جميعه من أوله إلى آخره، لذلك فهو يعتبر أبرز وجوه الإعجاز وأظهرها، إذ هو المطابق لأحوال العرب وقت نزول القرآن، فالتحدي يكون بجنس ما برز فيه القوم وتفوقوا، وقد تفوقوا في البيان والبلاغة والفصاحة، ولم يتفوقوا في العلوم والمعارف وأخبار الغيب والتشريع، لذلك كان الإعجاز بالبيان أظهر وجوه التحدي وأبرزها[٣].

أمثلة على الإعجاز البياني في السورة الكريمة

١- لقد ابتدأت السورة الكريمة في أول آية منها بكلمة: سبحان، لتدلل على التسبيح الذي يعني تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، لكن سورة الإسراء امتازت عن غيرها من السور التي يطلق عليها المسبحات كالحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن، وبعضها ابتدأ بالفعل الماضي سبح وبعضها بالفعل المضارع، وهناك سورة الأعلى، وهي التي ابتدأت بـ(سبّح)، وهو فعل أمر، أما سورة الإسراء فابتدأت بالمصدر، ومن المعلوم عند أهل اللغة أن المصدر هو الأصل لكل المشتقات أفعالاً كانت أم أسماء، فكانت هذه الصياغة مناسبة لهذه المعجزة العجيبة والغريبة على الناس[٤].

٢- الابتداء بلفظ الرب وهو اسم من أسمائه تعالى في قوله تعالى:﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾[الإسراء:٢٣]، والرب هو المربي كبرهان على عبادته وحده، والتربية المقصودة هي التربية بأنواعها جسمية وعقلية وروحية، فاستوجب ذلك الشكر له وحده، وما

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم- فهد الرومي (ص: ٢٨٢).
(٢) دراسات في علوم القرآن – محمد بكر إسماعيل (ص: ٣٥١)
(٣) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم- فهد الرومي (ص: ٢٨٢).
(٤) انظر: الإسراء والمعراج – دروس ونفحات – فضل عباس ، (ص:٣١).

عبادتنا له إلا شكر له على نعمه، ثم أردف ذلك الأمر بالإحسان إلى الوالدين والبر بهما، وهي أن الله مربٍّ أكبر، وكل من الوالدين مربٍّ أصغر، لأن تربيتهما لولدهما بما من الله به عليهما جسم نماه، وعقل رباه، وروح هداه، ومال أعطاه، فبعد أن أمرنا الله بعبادة المربي الأكبر، أرشدنا إلى واجبنا نحو المربي الأصغر(١).

٣- عظمة النسق وحسن الترتيب في قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[الإسراء:٢٦]، فبعد ما أمر الله ﷻ بالبر بالوالدين وهما أقرب الناس إلى المرء، أعقبهما بباقي الأقارب، فأمر بإيتاء كل قريب حقه من معونته بماله، أو مساعدته، وصلة رحمه، وتفقد أمره، ثم ذكر المساكين بعد الأقربين على اعتبار أنه يمت إلى الإنسان بالقرابة التي نشأت عن الأصل الأقصى، وحاجة الإنسان دائمة، وحاجة ابن السبيل حاجة وقتية أتبع الأول بالثاني، فترى كل كلمة تمتُّ إلى جارتها بصلة، وكل آية لاحقة ترتبط بالسابقة، فالكلمات كالآيات، نظمت في سمط واحد، وكل كلمة في مقامة واسطة عقد تستدعي الأنظار، وتبهر الأبصار، كيف لا وهو كلام رب العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(٢).

٤- حسن الترتيب، فأصل الله ﷻ كل كلمة في محلها، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[الإسراء:٢٩-٣٠]، ثم بين جل شأنه أن الإنفاق يكون في اقتصاد لا يجني على المال، ولا ينتهي إلى الفقر، وبين تعالى أن بسط الرزق وقبضه مرتبطان بمشيئة الله الموصوف بالحكمة البالغة، والخبرة الكاملة، والعلم الشامل، ثم أتبع هذه الآيات بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٣١]، فنهى تعالى عن قتل الأولاد مخافة الفقر، حيث يهيئ للقارئ أن هذه الآية لا صلة لها بسابقتها، ولكننا إذا أمعنا النظر في العلة (خشية إملاق) نجد الصلة والعلاقة، فالآية الأولى بينت أن فكرة الفقر لا ينبغي أن تحول دون الإنفاق المحدود، وأن من تعللوا بها خاطئون كخطأ الذين قتلوا أولادهم مخافة الفقر، لأن الرزق بيد الله تعالى المتكفل بأرزاق العباد، وقوله تعالى:{إن ربك يبسط الرزق} خدمت ما قبلها وما بعدها(٣)، وفي قوله

(١) انظر: إعجاز القرآن- للقاضي أبي بكر الباقلاني، (ص: ٩-١١).
(٢) انظر: إعجاز القرآن ـ للباقلاني، (ص:١٢-١٣)
(٣) انظر: المصدر السابق، (ص: ١٤)

تعالى:﴿وَلَا تَجْعَل يَدك مَغْلُولَة إِلَى عُنُقك وَلَا تَبْسُطهَا كُلّ الْبَسْط فَتَقْعُد مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[الإسراء:٢٩] استعارة تمثيلية، حيث مثل للبخيل الذي أمسك عن العطاء والإنفاق بمن شدت يده إلى عنقه، وبشدها مُنعت من الحركة ولم يستطع مدها، وشبه السرف ببسط الكف، حيث لا تمسك شيئًا(١).

٥- من مظاهر الإعجاز في الجملة القرآنية التقديم والتأخير، والمتدبر لها يلمس فيها أسرار الإعجاز ولطائف البيان، فمن أسماء الله تعالى الغفور، والحليم، فنجد المغفرة تتقدم في بعض الآيات على الحلم، وفي آيات أخرى يتقدم الحلم على المغفرة، قال تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٥]، وقال تعالى:﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء:٤٤]، فالآية الأولى ضمن سورة البقرة وهي مدنية فيها خطاب للمؤمنين اشتمل على التحذير من مخالفة حدود الله، والخروج على شرعه، لذلك قدمت فيها المغفرة على الحلم، والمغفرة ستر الذنب، والآية الثانية هي من سورة الإسراء، وهي مكية، ولم تأت خطابًا للمؤمنين، ولكنها اشتملت بيان العناية الربانية، ولم تشتمل على بيان تعجيل العقوبة للناس، وهذا هو المراد بالحلم، فسياق الآية الثانية بعيد عن سياق الآية الأولى، ونظمها غير نظم الأولى، لذلك كان التقديم والتأخير في فواصل الآيات(٢).

٦- ومن لطائف البيان وأسرار الإعجاز التقديم والتأخير في صفات الناس، حيث وصف الله تعالى المنافقين والكافرين في قوله تعالى في سورة البقرة:﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨]، وقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١]، فتقديم الصم في هذه الآيات جاء في غاية الإحكام والإتقان، لأن بداية ضلال أولئك الأقوام كان حينما أعرضوا بسمعهم عن آيات الله التي تتلى عليهم، وفي مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة عن أولئك الذين ضلوا سواء السبيل في قوله تعالى في سورة الإسراء:﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[الإسراء:٩٧]، فالصورة في هذه الآية قد تغيرت، لذلك فقد تغير معها نسق القول، لأن السماع لم ينفع أولئك الناس يوم القيامة شيئًا ولا يعود عليهم بخير، فيناسب

---

(١) انظر : التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/٥٠)

(٢) انظر: إعجاز القرآن الكريم- د. فضل حسن عباس، سناء فضل عباس، (ص: ٢١٩-٢٢٠).

حالهم في هذا الموقف أن يحشروا عميًا في بادئ الأمر، والعمى من أشد الأمور مشقة، وأكثرها صعوبة في ذلك اليوم العصيب عليهم(١).

٧- قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، وقال تعالى في سورة الرحمن: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن:٣٣]، فعند التحدي بالقرآن في الآية الأولى قدم الإنس على الجن؛ لأن النبي من الإنس وجاء يتحداهم ابتداءً، والجن تبع لهم في التحدي، أما في سورة الرحمن فقوة الجن أقوى من قوة الإنس، وقدرة الجن على الحركة في الكون أقوى وأسرع، فلذلك جاء ذكره أولاً(٢).

٨- قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنّ السّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[الإسراء:٣٦]، والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن السمع يقدم على البصر، والسبب في ذلك أن السمع يعمل في الليل والنهار، وفي الظلمة والضياء، أما البصر فلا يعمل إلا في النهار أو وقت الضوء، ولذا فالإنسان يسمع ليلاً ونهارًا، ولكنه لا يبصر إلا نهارًا، وهذا هو سبب التقديم(٣).

٩- ومن الإعجاز البياني ما يخص التكرار في القصص القرآني، فالقصة الواحدة يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو جزء من قصة قد تكررت في السور القرآنية من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، إلا وكان هناك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار، ومن مثل ذلك قصة آدم التي ورد ذكرها في عدة سور، هي: البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، وطه. ففي سورة البقرة وردت القصة في سياق تذكير الناس بنعمة الله، وجعل آدم خليفته تعالى على الأرض، وتعليمه الأسماء كلها، وفي سورة الأعراف وردت القصة في سياق أن الناس قليلاً ما يشكرون الله، الذي مكنهم في الأرض، وسخر لهم كل ما فيها لمنفعتهم، ولذلك أسهبت القصة في موقف إبليس من الإنسان(٤).وفي سورة الإسراء فقد ذكر في مناسبة ذكر هذه الآيات التي تبين قصة آدم عما قبلها في أنها عقدة مشابهة بين محنة النبي ﷺ مع قومه ومحنة آدم عليه السلام مع إبليس، فلما نازع المشركون النبي في النبوة، وكان منهم التكذيب له في الإسراء، واقتراحهم الآيات عليه كبرًا منهم وحسدًا له على

(١) انظر: إعجاز القرآن الكريم– د. فضل حسن عباس (ص: ٢٢١).
(٢) انظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة – أحمد عمر أبو شوقة – (ص : ٦٦).
(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ٧٢).
(٤) انظر: إعجاز القرآن الكريم– فضل عباس، (ص: ٢٣٤–٢٣٥).

النبوة، ناسب ذكر قصة آدم عليه السلام وإبليس، حيث حمله الكبر والحسد على الامتناع من السجود، وهذا ما يؤكد أن الحسد داء قديم(١).

١٠- ومن الإعجاز البياني قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء:٢٤] استعارة مكنية، شبه الذل بطائر ذي جناح، ثم حذف الطائر، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح، فهي استعارة تشير إلى الشفقة والرحمة بهما، ووجوب التذلل لهما(٢).

١١- في قوله تعالى:﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[الإسراء:١٢]، حيث اشتمل على المجاز العقلي، فالنهار لا يبصر، ولكن يرى فيه، فهو مجاز من إسناد الشيء إلى زمانه، بمعنى إسناد البصر والرؤية إلى الوقت الخاص بهما وهو النهار والضوء(٣).

١٢- امتياز هداية القرآن عن هداية سائر الكتب المنزلة، قال تعالى:﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩]، وأقوم من أفعل التفضيل الذي يقتضي اشتراك غير القرآن معه في أصل الهداية، ويقتضي أن طريقة القرآن في الهداية أسد وأرجح، فهو دليل على أن التحدي يكون بطريقة القرآن في الهداية، وذلك لإخباره أنها أفضل الطرق وأعدلها(٤).

١٣- ومن الإعجاز البياني، التنوع في الألفاظ بين الجمع والمفرد، وذلك من مثل كلمة الريح التي وردت في السورة، حيث لاحظ كثير من المفسرين والبلاغيين القدامى أن لفظة الريح غالبًا ما يستعملها القرآن في آيات العذاب، وقد وردت آيات كثيرة تمثل ذلك، منها قوله تعالى في السورة:﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء:٦٩]، وقوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف:٢٤]، ويُستثنى من هذه القاعدة الألفاظ التي يرد فيها وصف الريح فتأتي مفردة أيضًا، سواء كان وصفًا باللفظ من مثل قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس:٢٢]أم وصفًا ضمنيًامن مثل

---

(١) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي – (١١٥/١٥)

(٢) انظر: المصدر السابق، (٤٩/١٥)

(٣) انظر: المصدر السابق (٣١/١٥).

(٤) انظر: القرآن العظيم هدايته وإعجازه ـ محمد الصادق عرجون ـ (ص : ١٥٩)

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ:١٢]، أما لفظ الرياح فيستعمله القرآن في آيات الرحمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان:٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر:٢٢](١).

ثانيًا: الإعجاز التشريعي

القرآن الكريم هو كتاب الله ﷻ الذي نزله على سيدنا محمد ﷺ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليهديهم به إلى الصراط المستقيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، وهذا يعني أن هداية القرآن الكريم هي أعظم الهدايات على الإطلاق، وهي تظهر في أحكام القرآن وقيمه الخلقية، وقواعده التربوية، ونظمه التشريعية، فالقرآن الكريم معجزة تشريعية فضلاً عن كونه معجزة بيانية(٢).

معنى الإعجاز التشريعي

هو"ذلكم التشريع الذي جاء به القرآن الكريم الشامل الكامل المحكم المتقن،"شامل" لكافة أوجه التشريع، سواء ما يتعلق منها بالفرد أم بالمجتمع، وسواء أكان في العقيدة أم العبادة، أم المبادئ والأخلاق، أم الاجتماع، أم الاقتصاد أم السياسة في السلم أم الحرب، في السفر أم الحضر، في الليل أم النهار، "كامل" لاستيفائه لدقيق المسائل وجليلها، وصغيرها وكبيرها، "محكم متقن" لا نقص فيه ولا عيب، ولا قصور ولا خلل، أحكم تشريع، وأكمل نظام، عجز البشر ولا زالوا عاجزين عن الإتيان بمثل تشريعه، أو الإتيان بمثل سياسته أو نظامه"(٣).

أو"هوالإحكام والقوة في تشريعات القرآن الكريم ونظمه ومبادئه وقيمه"(٤)، وقد تحدث الدكتور فضل حسن عباس (٥) عن الإعجاز التشريعي بقوله: "والحق أن بيان القرآن وتشريعاته لا

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـ سليمان الطراونة ـ (ص: ٧٧)
(٢) انظر :إعجاز القرآن الكريم– فضل عباس، سناء فضل عباس (ص٢٩٥)
(٣) دراسات في علوم القرآن – فهد الرومي (ص: ٣٠٠)
(٤) http://bouizeri.net/arab يوم الأحد، ٢٠١٥/٤/١٢م.
(٥) هو الشيخ فضل حسن عباس، ولد في صفورية في فلسطي، ونشأ في العلم منذ صغره حيث أتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، من شيخه خاله يوسف عبد الرازق الذي عمل مدرساً في كلية أصول الدين في الأزهر، ومن تلاميذه د. محمد أحمد الجمل، حصل الشيخ فضل على درجة الدكتوراة من الأزهر سنة ١٩٧٢م، توفي رحمه الله تعالى في عمان بالأردن سنة ٢٠١١م . أنظر: https://ar.wikipedia.org ،يوم السبت ١٤/ ٢٠١٥/١١م

ينفصل بعضها عن بعض، فإذا عرفنا أن القرآن معجزة بيانية فيجب أن نعلم أنه معجزة تشريعية كذلك"[١]، وقد تعددت وجوه الإعجاز التشريعي في السورة فاستغرقت جميع جوانب الحياة، ومن هذه الوجوه:

١- في جانب العقيدة. حيث رد القرآن زيغ المنحرفين من المشركين عن عقيدة التوحيد، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٤٢][٢].

٢- في المجال الجنائي: تقرير قاعدة: (لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص)، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الإسراء:١٥][٣].ويعد تقرير مبدأ المسؤولية الشخصية من مبادئ الإسلام العظيم الرائعة التي عملت على تصحيح مفهوم العقاب عند الرومان والعرب وغيرهم من الأمم، إذ كانوا يعاقبون غير المجرم[٤].

وهناك مجالات أخرى كمجال الأسرة والمجال المالي والاقتصادي إضافة إلى ورود نصوص تحفظ الكليات الكبرى والمصالح الضرورية للإنسان[٥]، وسيتم تطبيق هذه المجالات على ما يناسبها من آيات السورة الكريمة.

١- في مجال الأسرة وقواعد القرابة، حيث قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٦]، فالآيات الأولى أمرت بالإحسان إلى الوالدين، وبرهما في المعاملة، فهما السبب الحقيقي لوجود الإنسان، وهما اللذان بذلا أقصى الجهد في تربيته حتى يصبح رجلاً سويًّا[٦]، والآية الثانية أمرت بإعطاء الإنسان المكلف القريب والمسكين والمسافر المنقطع في الطريق إلى بلده حق، والحق يشمل صلة الرحم والود، والزيارة، وحسن المعاشرة، والنفقة إن كان محتاجًا إليها[٧].

---

(١) إعجاز القرآن الكريم ـ فضل عباس (ص: ٢٩٥)
(٢) انظر: من أوجه إعجاز القرآن الكريم ـ نبيل بن محمد آل إسماعيل ـ (ص: ٣١)
(٣) انظر: http://bouizeri.net/arab يوم الأحد، ٢٠١٥/٤/١٢م.
(٤) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/٣٦).
(٥) انظر: http://bouizeri.net/arab يوم الأحد ٢٠١٥/٤/١٢م.
(٦) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (١٥/٥٤).
(٧) انظر: المصدر السابق (١٥/٥٧).

٢- في المجال المالي والاقتصادي، حيث دعت الآيات إلى الاعتدال والتوسط في الإنفاق محافظة على المال، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[الإسراء:٢٩]، فوقعت الحسنة بين السيئتين، فالبخل مذموم، والإسراف مذموم، والتوسط في الإنفاق هو المحمود بينهما(١)، ودعت الآيات أيضًا إلى عدم التبذير محافظة على المال من الهدر والضياع، قال تعالى:﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[الإسراء:٢٦].

وفي الدعوة إلى عدم التبذير تقول منظمة الأمم المتحدة: إن كميات كبيرة جدًّا من الطعام والغذاء تهدر تكفي لإطعام ملياري شخص سنويًا، مما دفع وكالات الأمم المتحدة إلى وضع برنامج تفاعلي جديد في مسعى لتقليص الكميات المهدرة، والحد من تقليلها قدر الإمكان، والتي من الممكن أن تكفي بسهولة لسد رمق ٨٠٠ مليون جائع في العالم.

وتقول منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (فاو): إن ما يقدر بنحو ١.٣ مليار طن من الغذاء أو نحو ٣٠ في المئة من الإنتاج العالمي تنفق أو يتم هدرها سنويًا، مما دفع الخبراء إلى توجيه نصائح للمجتمعات بعدم التبذير وعدم رمي الطعام الزائد عن الحاجة، وهي خطوة اعتبرت على الطريق الصحيح من قبل هؤلاء الخبراء، وهذا ما كان القرآن سباقًا إلى تشريعه في قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٦]، حيث اعتبر القرآن الكريم أن كل ما يزيد عن حاجة الإنسان إنما هو حق لمن يحتاجه، وأولى الناس من الفقراء الأقارب، وكأن التبذير مرتبط بعدم الإنفاق على الفقراء، ولذلك فقد أمرنا الله تعالى بأن نعطي المحتاج، وألا نهدر المال والطعام(٢).

ودعت الآيات أيضًا إلى المحافظة على مال اليتيم، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾[الإسراء:٣٤]، فقد نهت الآية الكريمة عن إتلاف الأموال، لأنها أعز الأشياء إلى الإنسان بعد النفوس، وخص أموال اليتيم بالذكر لأنه أحق الناس بالمحافظة على ماله، وذلك لصغره وضعفه وكمال عجزه(٣). ودعت الآيات بالإضافة إلى ذلك إلى إيفاء الكيل، والوزن بالقسطاس المستقيم، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[الإسراء:٣٥]، والمقصود منه إتمام الكيل، والناس محتاجون إلى البيع والشراء، وقد يكون الإنسان غافلاً لا يهتدي إلى حفظ ماله،

(١) انظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة ـ محمد أبو شوقة (ص: ٥٨).
(٢) انظر: www.kaheel٧.com/ar/index، يوم الاثنين، بتاريخ ٢٠١٥/٤/١٣م.
(٣) انظر: مفاتيح الغيب ـ للرازي (٣٣٦/٢٠).

فالشارع الحكيم بالغ في المنع من التطفيف، والنقصان سعيًا في المحافظة على الأموال، وإبقائها على أصحابها[1].

وفي مجال المحافظة على الكليات الكبرى والمصالح الضرورية للإنسان وردت آيات في السورة الكريمة تدعو لذلك، منها:

١- حفظ الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩].

٢- حفظ المال، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَل يَدك مَغْلُولَة إِلَى عُنُقك وَلَا تَبْسُطهَا كُلّ الْبَسْط فَتَقْعُد مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[الإسراء:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [الإسراء:٣٤]، وقال أيضًا في حفظ المال:﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [الإسراء:٣٥].

٣- حفظ العرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢]، ومن الإعجاز التشريعي أن العبادات في الإسلام ليست عبادات مجردة من روح الحياة، بعيدة عن روح الجماعة، أو أنها قضايا فردية تخص الإنسان بمفرده ليشبع من خلالها رغبته الروحية فحسب، إنما هي وسائل إصلاح، ودعائم خير، تسمو بها الروح وتصلح بها النفس، وهي بعد ذلك تنظم ما يصلح الفرد، وما ينهض الجماعة على حد سواء، وهي تجمع إلى الجانب الروحي والنفسي الجانب الجماعي والاجتماعي والخلقي[2]. قال تعالى:﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء:٧٨]، فهذه الصلاة التي أمرنا بها رب العزة لم تقتصر منفعتها على الإنسان بمفرده، ولكن يمتد أثرها ليشمل جميع الجوانب السابقة الذكر، وصدق الله العظيم القائل: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت:٤٥].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب- الرازي، (٣٣٨/٢٠).
(٢) انظر: إعجاز القرآن الكريم- فضل عباس (ص: ٣٠٠-٣٠١).

٤- حفظ النفس، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء:٣٣].

وترى الباحثة أن هناك فارقًا عظيمًا، وبونًا شاسعًا، بين العبادات في الإسلام والتي تشمل كل جوانب الحياة، ولها الأثر الرائع في حياة الإنسان، وبين تشريعات القوانين الوضعية والديانات المحرفة التي يدخل أصحابها إلى الكنيسة للعبادة، ثم يخرجون منها فيفعلون المحرّمات والفواحش، فلله الحمد والمنة على نعمة الإسلام العظيم، وعلى تشريعاته السامية، فهو حق من عند الله، وتشريعاته حق لا يتطرق إليه باطل، وصدق الله العظيم في قوله: ﴿وبالحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وبِالحَقِّ نَزَلَ﴾[الإسراء:١٠٥].

ومن إعجازه التشريعي تميزه عن غيره من التشريعات، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرّحْمَةِ وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:٢٣-٢٤]. إن هذا النص العظيم في تشريع البر بالوالدين قد تضمّن سبع حقائق:واحدة لله ﷻ، وستة للوالدين، وهي[1]:

١- "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه": أمر بعبادة الله تعالى.

٢- "وبالوالدين إحسانًا": فيها أمر بالإحسان للوالدين.

٣- "إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف": فيها نهي عن إيذاء الأبوين، حتى بكلمة: أف.

٤- "ولا تنهرهما": فيها نهي عن نهر الأبوين، والإساءة لهما بالكلام والفعل.

٥- "وقل لهما قولاً كريمًا": أمر بأن نقول لهما قولاً حسنًا وكريمًا.

٦- "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة": فيها الأمر ببر الوالدين لدرجة التذلل أمامهما.

٧- "وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا": أمر بالدعاء للأبوين. وهذه العبارة في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾تستوجب النظر والتركيز، حيث ركزت على مرحلة الطفولة، التي يعاني فيها الأبوان كثيرًا من المتاعب من أجل سعادة أطفالهم واستمرار حياتهم.

(١) انظر: www.kaheel٧.com/ar، يوم الاثنين، بتاريخ ١٣/٤/٢٠١٥.

ومن الإعجاز التشريعي قوله تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢]، ولقد اشتملت هذه الآية الكريمة على نوعين من الإعجاز، هما: الإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي، وسيتم الحديث عن الإعجاز التشريعي فيها، أما الإعجاز العلمي فسوف يتم الحديث عنه لاحقًا في النوع الرابع من الإعجاز.

يحاول علماء الغرب إبعاد مجتمعاتهم عن ظاهرة الزنا بشتى الأساليب، وينفقون في سبيل ذلك مبالغ طائلة، ولكنهم بالرغم من ذلك لم يستطيعوا تحقيق نتائج تذكر، وأخيرًا قرروا أن يضعوا مقررات للثقافة أو التربية الجنسية لطلاب المدارس قبل سن البلوغ، محاولةً منهم للتخفيف من هذه الظاهرة الخطيرة، وهذه المناهج يتم تدريسها للطلاب في أمريكا وأوروبا، ولقد تم وضعها وفق أحدث المعايير، ووصلوا بنتيجة الأبحاث والدراسات العلمية إلى نتيجة مفادها أن أفضل طريق للتخفيف من ممارسة الفاحشة هو القيام بنصيحة الطلاب بالابتعاد عنها، ومنعهم من ممارستها، حيث يقول المستشار بإدارة تعليم نيويورك دينيس والكوت: "إن مقرر الامتناع عن الجنس يعتبر جزءًا مهمًا من المناهج الدراسية"، وقد تضمنت هذه المقررات موضوعين رئيسين، هما:

١- الامتناع عن ممارسة الجنس، واستبدال الزواج به.

٢- تعريف الطلاب بمساوئ الزنا والمشاكل الاجتماعية الكثيرة التي يسببها والأمراض التي تصيب من يتبع هذا الطريق(١).

إن هذه المعاناة الطويلة التي عاناها العلماء اختصرها القرآن الكريم الذي أعجز الخلق بتشريعاته، ولخصها لنا في آية واحدة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢]، وهي تتألف من قسمين:

- منع الناس من ممارسة الزنا، وهذا ما ينادي به العلماء اليوم.
- التعريف بمساوئ الزنا وعواقبه المدمرة في قوله تعالى:"إنه كان فاحشة وساء سبيلاً"، وبالفعل أثبت العلماء أن أسوأ طريق يمكن للإنسان أن يسلكه هو طريق الفواحش والشذوذ الجنسي، لما يترتب عليه من أمراض قاتلة، وتفكك اجتماعي، واختلاط للأنساب(٢).

(١) انظر: www.kaheel٧.com/ar يوم الاثنين، بتاريخ ٢٠١٥/٤/١٣.

(٢) انظر: المصدر السابق .

مما سبق يتبين لنا روعة القرآن، وروعة تشريعاته، فهي التشريعات السباقة إلى كل خير، وصدق الله العظيم في قوله تعالى:﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]، فحريٌ بنا أن نتبعه ونسير في حياتنا وفقًا لتعليماته.

ثالثًا: الإعجاز الغيبي

المقصود بالإعجاز الغيبي

لفظ الغيبي من الغيب، ويعود معناها إلى معنى واحد أصيل وهو الاستتار، سواء أكان عن الأعين أم الحواس وغيرها(١).

والإعجاز الغيبي في القرآن هو:"كل ما كان غائبًا عن محمد ﷺ، ولم يشهد حوادث الواقعة ولم يحضر وقتها، فيدخل في الغيب بهذا المفهوم كل ما ورد في القرآن الكريم عن بداية نشأة الكون وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلى مبعث رسول الله ﷺ من عظيمات الأمور ومهمات السير، وكذلك يشمل ما غاب عن محمد ﷺ في وقته من الحوادث التي كانت تحدث ويخبر بها بطريق الوحي، كإخبار الله ﷻ له بما يكيده اليهود والمنافقون، ويشمل أيضًا ما تضمنه من الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان"(٢).

أو هو إثبات عجز الإنس والجن بذكر القرآن لأشياء غيبية لا يمكن أن يتنبأ بها أحد لانعدام مقدماتها وقت المعاجزة(٣).

ومن أمثلة الإعجاز الغيبي في السورة:

١- إخبار الله ﷻ به نبيه ﷺ، مما سيحدث لأهل مكة بعد إخراج النبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٧٦](٤).

والآية بينتأن أهل مكة قاربوا على إخراج النبي ﷺ من أرض مكة المكرمة، وذلك بعداوتهم ومكرهم له، وإذا أخرجوه فلا يبقون بعد إخراجه إلا زمنًا يسيرًا، فالله تعالى سيهلكهم، وقد حدث هذا الوعيد وأهلكهم الله بغزوة بدر، كان ذلك بعد إخراجه ﷺ من مكة بوقت قليل، وهو ثمانية عشر شهرًا بعد الهجرة، أو بعد ما أخرجوه من مكة(٥).

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة – ابن فارس (٤٠٣/٤).

(٢) مباحث في إعجاز القرآن ـ د مصطفى مسلم ـ (ص: ٢٥٩)

(٣) انظر: www.ansarsunna.com يوم الأربعاء ٢٠١٥/٤/١٥م.

(٤) إعجاز القرآن الكريم– فضل عباس، (ص: ٣٤١).

(٥) انظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٣٦/١٥-١٣٧).

٢- وعد الله للمسلمين بأنه سيهزم عدوهم، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء:٧٦]. ولا شك أن المخاطب في الآية هم اليهود لعنهم الله[١]، والآيات المتعلقة باليهود في السورة وبيان إفسادهم ونهاية دولتهم سيتم الحديث عنها بالتفصيل في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى.

٣- الإخبار عن عجز البشر عن تحدي القرآن إلى يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء:٨٨]، وللتحدي في الآية الكريمة شقَّان:

الشق الأول: هو التحدي بمعارضة القرآن، ولو بسورة واحدة من أقصر سوره، فقد ثبت عجز العرب عنها، واعترف بهذا الأمر زعماؤهم من المشركين.

والشق الثاني: الجزم بأمر غيبي، فلا سبيل لأن يدركه أحد ممن عاصر نزول القرآن وقيام التحدي، فربما وقع في نفوس بعض المشركين أو المعادين للإسلام من اليهود والنصارى والمنافقين بأن معارضة القرآن ولو لم تكن من مقدور أهل الجيل الأول، فإنه من المحتمل أن تكون وتقع من أهل الأجيال التي تليه، وهذا احتمال يقبله العقل المجرد ولا يدفعه، ولكن الواقع والتاريخ يبين ويثبت عدم وقوع المعارضة رغم تكرار الأيام، وتوالي القرون والأعوام بالرغم من كثرة الحريصين على هذه المعارضة[٢].

رابعًا: الإعجاز العلمي في سورة الإسراء

المقصود بالإعجاز العلمي

"إخبار القرآن بحقيقة كونية أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، مما يُظهر صدقه فيما بلّغ عن رب العزة ﷻ"[٣].

وقد عرفه الدكتور زغلول النجار بقوله:"الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يقصد به سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره، التي لم يتمكن العلم من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزل القرآن الكريم، تزيد عن العشرة قرون

---

(١) انظر: إعجاز القرآن الكريم – فضل عباس (ص: ٣٣٧).
(٢) انظر: المعجزة القرآنية ، الإعجاز العلمي والغيبي ـ محمد حسن هيتو ـ (ص : ١٣١ـ ١٣٢)
(٣) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ـ مناهج جامعة المدينة العالمية ـ (ص: ٧١)

كاملة في أقل تقدير لها، ولا يمكن لعاقل أن يتصور لهذه الحقائق العلمية مصدرًا غير الله الخالق؛ وفي ذلك تصديق للنبي والرسول الخاتم في نبوته ورسالته وفي التبليغ عن ربه"[١].

ويُعتبر الإعجاز العلمي في القرآن من سبل الدعوة إلى الله تعالى في عصر تفجر العلوم المختلفة[٢]، وهذا ما بينه الدكتور زغلول النجار فقال:"والإعجاز العلمي للقرآن الكريم أسلوب في الدعوة إلى دين الله بلغة مناسبة لعصر تفجر المعرفة العلمية وتطور الوسائل التقنية الذي نعيشه، وقد سبق القرآن الكريمبالإشارة إلى ذلك، يقول الحق ﷻ:﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل:٩٣]، وقال تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:٥٣]"[٣].

ومنهاج القرآن العلمي يعتبر إعجازًا ممتدًا على مدى العصور، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والسبب في ذلك اشتماله على العلوم الكونية والحقائق العلمية والتشريعية، التي لم تكن معروفة في عصر النبي ﷺ، وسيظل هذا المنهاج العلمي هو معجزة الأجيال كلها بما يظهر منها تباعًا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[٤].

ولابد من الإشارة إلى أن عرض القرآن الكريم لأية قضية من قضايا الكون العلمية مختلف تمامًا عن أساليب البشر في عرضهم لأية قضية، فهولا يعرضها باستعمال المقدمات والدلائل والمعادلات واستنباط النتائج، وإنما يقدمها بالإشارة أو الرمز أو المجاز أو الاستعارة، أو بالعبارات التى تومض في العقل بنور روحي باهر، بأن الله سبحانه ينزل آيات قد لا يدرك معناها أو يفهم حقائقها وأسرارها في وقتها كل المعاصرين الذين عاصروا نزولها، لأن العلم بقوانين الكون كان محدود الآفاق في ذلك الوقت، ولكن الله سبحانه يعلم أن المستقبل سوف يأتي بشرح لهذه الآيات في ضوء علوم عصورها، ومصداق ذلك قوله تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:٥٣][٥]، وتدل الدلائل على أن العلماء الذين درسوا الآيات الكونية في القرآن فيما بعد وطبقوها على ما وصل إليه العلم في زمانهم في الفلك أو الطب أو الطبيعة أو الكيمياء أو الاحياء وغيرها من العلوم وجدوا تطابقًا وتوافقًا علميًّا رائعًا، أكد لهم أن القرآن كتاب الله الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا هو السبب في أن علماء الفلك وعلماء الطب أكثر الناس إيمانًا بعظمة الخالق المبدع، وأسبقهم إقرارًا

---

(١) انظر: http://forum.el-wlid.com ، السبت بتاريخ ٢٠١٥/٤/١٩م
(٢) انظر: من أوجه إعجاز القرآن الكريم ـ نبيل بن محمد آل إسماعيل ـ (ص:٦٠)
(٣) انظر: http://forum.el-wlid.com ، السبت بتاريخ ٢٠١٥/٤/١٩م
(٤) انظر: القرآن وإعجازه العلمي ـ محمد إسماعيل إبراهيم، (ص: ٢٥)
(٥) انظر: المصدر السابق ، (ص:٥٤)

بألوهيته، لما رأوه رأى العين من أن القرآن الكريم الذي نزل على نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان كان هو نهاية العلم الذي يصلون إليه كلما جدَّ جديد في بحثهم، وهذا هو العلم الذي جاء به النبي الأمي محمد، الذي لم يكن هو ولا قومه ولا عصره يعرف شيئًا من فلك أو جيولوجيا أو كيمياء أو طب أو غير ذلك، ويجب أن يؤمن كل مسلم بأن ما يجد في عصرنا من إدراك علمي لآيات القرآن ليس معناه أن حقائق القرآن تغيرت أو تطورت في ذاتها، فالقرآن ثابت لا يتغير، وإنما الذي يتغير ويتطور هو عقل الإنسان وفكره، الذي يزيد استنارة مع كثرة البحث والدرس والتجريب، فيبدو له القرآن على حقيقته الأصيلة الخالدة(١).

وترى الباحثة أن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم هو من أروع أنواع الإعجاز، وأكثرها تأثيرًا في الناس، مما يزيد الإنسان خشوعًا ورهبة من الله ﷻ، ويزيده يقينًا بصدق الوحي والنبوة على مرِّ العصور والأزمان، وهذه بعض النماذج للإعجاز العلمي في السورة:

١- يقول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠]. والآية الكريمة تبين أن الله كرَّم أولاد أبينا آدم عليه السلام بحسن القوام والخلقة الحسنة والقدرة على النطق والكلام وتخير الأشياء التي تلزمهم، وأعطاهم الكرامة والعزة، وهيأ لهم الوسائل لحملهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن، ورزقهم من خير الطعام، وفضلهم تفضيلاً عظيمًا على كثير من المخلوقات بالعقل والقدرة على التفكير، والرأي العلمي السائد الذي يدعم هذا المعنى أن الإنسان وحيد النشأة، أي إن السلالة البشرية كلها انحدرت من أب واحد هو آدم، ولكن هجرات ذريته القديمة واستقرارهم في بيئات طبيعية مختلفة جعلت كل جماعة تتشكل بحسب ظروف تلك البيئة، وكان من الممكن أن تلتزم كل جماعة بصفاتها ومميزاتها الجنسية، ولكن الجماعات اختلطت مع بعضها بالزواج من الأجناس الأخرى، فباشر عامل الوراثة عمله في الصفات الجسمية لكل جنس من هذه الجماعات، فخلط بعضها ببعض، حتى إننا لا نستطيع أن نجد جنسًا نقيًّا في أية دولة في الوقت الحاضر(٢).

٢- قوله تعالى في السورة الكريمة: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦]. والذي يقرره العلم أن حاسة السمع تبدأ مبكرة في أداء عملها في الأسابيع القليلة الأولى بعد ولادة الطفل، أما البصر فيبدأ عمله في الشهر الثالث، ولا يتم تركيز حاسة الإبصار إلا بعد الشهر السادس، ودليل ذلك أن أذن الطفل تؤدي وظيفتها عقب ولادته، لأنه إذا سمع

---

(١) انظر: القرآن وإعجازه العلمي ـ محمد إسماعيل إبراهيم (ص:٥٤ـ ٥٥)

(٢) انظر: المصدر السابق (ص:٩٨ـ ٩٩)

صوتًا شعر به وأحسه فورًا وصدر عنه ما يدل على التأثر به، أما عين الطفل فإنها لا تؤدي وظيفتها إلا بعد فترة من ولادته، ومما يدل على ذلك أنك إذا مددت يدك قريبًا منها لا ترمش ولا تتحرك(١).

وهناك بعض الدراسات التي أثبت أن الإنسان يبدأ بسماع الأصوات قبل ولادته بأكثر من ستة عشر أسبوعًا(٢)، ومن روعة الإعجاز العلمي في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه يذكر الفؤاد بعد السمع والبصر لمعنى علمي دقيق أيضًا، وهو أن اكتساب العلم يحصل بعد الانتقال من مرحلة الإدراك الحسي بالسمع والبصر إلى مرحلة الإدراك العقلي، وهذه هي طريقة تعلم المعارف والخبرات، وكلها تأتي بحسب الترتيب الذي ذكره القرآن وهو الإدراك الحسي أولاً ثم الإدراك العقلي، ودليل ذلك واضح في أن الطفل يُولد لا يعلم شيئًا، ثم تتوالى عليه المدركات الحسية وتتكاثر عن طريق السمع ثم البصر، فإذا ما صارت مجموعة المدركات الحسية كافية يأتي دور الفؤاد ليعقل ويعي ما أدركه الطفل منها بحواسه(٣)، ومن الحقائق العلمية التي تجعل السمع أكثر أهمية من البصر، أن تعلم النطق يتم عن طريق السمع بالدرجة الأولى، وإذا وُلد الإنسان وهو أصم فإنه يصعب عليه الانسجام مع المحيط الخارجي، بينما يوجد الكثيرون ممن حُرموا نعمة البصر وهم صغار، ومع ذلك فقد نجدهم قد تعلموا وبلغوا درجات من الرقي، بل وكان منهم العلماء والمبدعون(٤).

٣- قال الله تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢]، فالآية نهت عن الاقتراب من الزنا، وذلك أبلغ من النهي عن فعله، لأن النهي عن الاقتراب منه يشمل جميع مقدمات الزنا ودواعيه، وقد وصفه الله ﷻ بأنه فاحشة، أي مستفحش في الشرع والعقل والفطرة، لما يترتب عليه من إفساد الفراش واختلاط الأنساب،وغير ذلك من المفاسد(٥). ومن ناحية علمية: فقد أثبت علم الطب أن الزنا فيه أضرار صحية خطيرة تهدد البشرية بالأمراض الخبيثة التي يصعب علاجها، فهو السبب المباشر في الزهري(٦)، وهو مرض يعدي بمجرد اللمس،

(١) انظر: القرآن وإعجازه العلمي ـ محمد إسماعيل إبراهيم ، (ص : ١١٠)
(٢) المنهج القرآني والظاهرة العلمية ـ حاتم فايز البشتاوي ، (٥٠/١)
(٣) انظر: القرآن وإعجازه العلمي ـ محمد إبراهيم (ص:١١٠ـ ١١١)
(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـ محمد علي ،(ص:١٢٣)
(٥) تيسير الكريم الرحمن ـ للسعدي (ص: ٤٥٧)
(٦) هو مرض من الأمراض المنقولة جنسيًا، تسببه الجرثومة الملتوية اللولبية الشاحبة من سلالة البكتيريا الشاحبة، ينتقل هذا المرض عن طريق الاتصال الجنسي، وهو من الأمراض التي تلحق أضرارًا كبيرة بالقلب والشريان الأبهر، والدماغ والعيون والعظام، يمرّ الزهري بمراحل عديدة في أثناء تغلغله في الجسم، ويضر في أثناء هذه المراحل بكافة أعضاء الجسم، وفي بعض الحالات قد تكون آثاره قاتلة. انظر: الإعجاز الطبي في القرآن ـ السيد الجميلي ـ (ص: ١٢٩ـ ١٣٣) و انظر:http://ar.wikipedia.org/wikiيوم الاحد ٢٠١٥/٥/٢٤م

ويؤثر تأثيرًا سيئًا في الجهاز العصبي، وهو أيضًا يسبب مرض السيلان(١)، الذي هو من الأمراض الخطيرة التي حار في علاجها الطب، وهو يترك المصاب به في حالة من الألم والمرض يعطلان حركته ويشلان تفكيره ويجعلانه عضوًا مشلولًا لا فائدة فيه، كما أنه سبب تشويه النسل، وقد ثبت أن كل امرأة اتصلت برجل مصاب بهذه الأمراض الخبيثة لابد أن تصاب هي الأخرى بها، فحري بالمسلم أن يحمد الله ويشكره على تفضله تعالى بالإرشاد إلى كل ما فيه صحة عباده وسلامتهم، فهو سبحانه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، يريد بعباده الخير دائمًا(٢).

٤- قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٨٥]، يقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح، ما هي؟ قل لهم: الروح من أمر ربي، وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلاً، وذُكِر أن الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الروح، فنزلت هذه الآية بمسألتهم إياه عنها، كانوا قومًا من اليهود"(٣).

النظرة العلمية لهذه الآية

يقرر الفلاسفة والعلماء أنه مهما بلغ اجتهادهم وتبحرهم في العلم وأكثروا من التأمل والتفكير في الكون؛ فإنهم أعجز من أن يأتوا برأي حاسم وقاطع في حقيقة الروح أو التعرف على أي شي من ماهيتها وحقيقتها، وقد حاول بعض كبار الفلاسفة القدماء أن يحلوا لغز الروح ويكشفوا عن سرها؛ فحاموا حولها وأكثروا من التأمل والتفكير في أمرها، ولكنهم فشلوا في الوصول إلى شيء يكشف عن جوهرها، وخير ما قيل في الروح ما جاء في آيات الله وأحاديث رسوله عن النفس الإنسانية ذاتها، وأنها سر مكنون في كيان الإنسان، مثل الروح من حيث أنها شيء يحس بمختلف الأحاسيس من اطمئنان وقلق وسعادة وشقاء، وغير ذلك من تقلب في شتى الانفعالات والحالات الشعورية والوجدانية، وقد اختلف العلماء في معنى الروح الإنسانية وكيفية تعلقها بالبدن وسريانها فيه أو في تجردها عنه وخروجها منه، وأشهر الآراء في ذلك قولان:

---

(١) السيلان هو مرض وعدوى شائعة تنتقل جنسيًا، وتسببها البكتيريا المكورة،والأم المصابة به ممكن أن تعدي وليدها في أثناء الولادة، وهي حالة تعرف باسم الرمد الوليدي، وهذا المرض إذا ترك دون علاج فإنه قد ينتشر في جميع أنحاء الجسم، مما يؤثر على المفاصل وصمامات القلب، وله مضاعفات كثيرة منها التهاب الكليتين، والتهاب المفاصل، والتسبب في العقم. انظر: الإعجاز الطبي في القرآن ـ السيد الجميلي (ص: ١٢٧ ـ ١٢٨) و انظر: http://ar.wikipedia.org/wiki يوم الأحد ٢٤/٥/٢٠١٥م

(٢) انظر: القرآن وإعجازه العلمي ـ محمد إبراهيم (ص: ١٢٠)

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (١٧/ ٥٤١)

أولهما: أن الروح ليست جسمًا ولا عرضًا، بل هي جوهر مجرد قائم بنفسه، وليس حالاً في بدن الإنسان، ولا متعلقًا به تعلقًا يسهل زواله، بل هو تعلق وسط بين،وهي كتعلق العاشق بالمعشوق عشقًا فطريًا إلهاميًا لا ينقطع ما دام البدن صالحًا لأن يتعلق به(١).

وثانيهما: ما قاله الحنفي: "الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَأَدِلَّةُ الْعَقْلِ أَنَّ النَّفْسَ جِسْمٌ مُخَالِفٌ بِالْمَاهِيَّةِ لِهَذَا الْجِسْمِ الْمَحْسُوسِ، وَهُوَ جِسْمٌ نُورَانِيٌّ عُلْوِيٌّ، خَفِيفٌ حَيٌّ مُتَحَرِّكٌ، يَنْفُذُ فِي جَوْهَرِ الْأَعْضَاءِ، وَيَسْرِي فِيهَا سَرَيَانَ الْمَاءِ فِي الْوَرْدِ، وَسَرَيَانَ الدُّهْنِ فِي الزَّيْتُونِ، وَالنَّارِ فِي الْفَحْمِ"(٢).

وخلاصة القول:إن مسألة الروح ستظل غامضة مجهولة مهما تقدمت الأساليب والوسائل العلمية، حتى أيقن العلماء بصدق معنى قوله تعالى:﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [الإسراء:٨٥](٣).

٥- قوله تعالى: ﴿ **أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودًا** ﴾ [الإسراء:٧٨-٧٩]. أمر الله تعالى نبيه ﷺ بإقامة الصلاة المفروضة عليه وعلى أمته، تامة الأركان والشروط، من بعد زوال الشمس إلى ظلمة الليل، وذلك يشمل الصلوات الأربع: الظهر والعصر، والمغرب والعشاء. والدلوك: ميل الشمس وزوالها عن كبد السماء ووسطها وقت الظهر. والخطاب للنبي ﷺ ولأمته، وذلك لأهمية الصلاة ومكانتها العظيمة، ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ** ﴾ هذا فرض آخر خاص بالنبي ﷺ وهو صلاة التهجد، والتهجد ما كان بعد النوم، والآية تضمنت الأمر بإقامة الصلاة في جزء من الليل، وهو أول أمر للنبي ﷺ بقيام الليل، زيادة على الصلوات المفروضة أي المكتوبة(٤)، ولأفضليتها فقد أمر الله تعالى نبيه الكريم ﷺ بأدائها والحرص عليها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَرْفَعُهُ، قَالَ: سُئِلَ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟فَقَالَ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ»(٥).

---

(١) انظر:القرآن وإعجازه العلمي - محمد إبراهيم (ص: ١٢٦- ١٢٧) وانظر: دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون - عبد الله التليدي (ص:١٧٥- ١٧٦)

(٢) شرح الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي (٢/ ٥٦٥)

(٣) انظر: مع الطب في القرآن الكريم - عبد الحميد دياب ، أحمد قرقوز - (ص: ٦٥)

(٤) انظر:التفسير المنير- للزحيلي - (١٥/١٤٤- ١٤٥)

(٥) صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب فضل صوم المحرم - ح رقم ١١٦٣- (٢/ ٨٢١)

قيام الليل والنظرة العلمية الحديثة

يؤدي قيام الليل إلى تقليل إفراز هرمون الكورتيزون (وهو الكورتيزون الطبيعي للجسد)، خصوصًا قبل الاستيقاظ بعدة ساعات، وهو ما يتوافق زمنيًا مع وقت السحر (الثلث الأخير من الليل)، مما يؤدي إلى الوقاية من الزيادة المفاجئة في مستوى سكر الدم، والذي يشكل خطرًا كبيرًا على مرضى السكر، ويقلل كذلك من الارتفاع المفاجئ في ضغط الدم، ويقي من السكتة المخية والأزمات القلبية في المرضى المعرضين لذلك،كذلك يقلل قيام الليل من مخاطر تخثر الدم في وريد العين الشبكي، الذي يحدث نتيجة لبطء سريان الدم في أثناء النوم، وزيادة لُزوجة الدم بسبب قلة تناول السوائل، أو زيادة فقدانها، أو بسبب السمنة المفرطة وصعوبة التنفس، مما يُعيق ارتجاع الدم الوريدي من الرأس، ويؤدي قيام الليل إلى تحسن وليونة عند مرضى التهاب المفاصل المختلفة، سواء كانت روماتيزمية أو غيرها، نتيجة الحركة الخفيفة والتدليك بالماء عند الوضوء،كما ثبت أن قيام الليل علاج ناجح لما يعرف باسم "مرض الإجهاد الزمني"، بسبب ما يوفره قيام الليل من انتظام في الحركة ما بين الجهد البسيط والمتوسط، الذي ثبتت فاعليته في علاج هذا المرض، ويؤدي قيام الليل إلى تخلص الجسد من ما يسمى بالجليسيرات الثلاثية (نوع من الدهون)، التي تتراكم في الدم، خصوصًا بعد تناول العشاء المحتوي على نسبه عالية من الدهون، والتي تزيد من مخاطر الإصابة بأمراض شرايين القلب التاجية،والتي تصيب الشريان التاجي بنسبة ٣٢% في هؤلاء المرضى مقارنة بغيرهم، ويقلل قيام الليل من خطر الوفيات بجميع الأسباب، خصوصًا الناتج عن السكتة القلبية والدماغية وبعض أنواع السرطان،كذلك يقلل قيام الليل من مخاطر الموت المفاجئ بسبب اضطراب ضربات القلب، لما يصاحبه من تنفس هواء نقي خال من ملوثات النهار، وأهمها عوادم السيارات ومسببات الحساسية، وقيام الليل ينشط الذاكرة وينبه وظائف الدماغ الذهنية المختلفة لما فيه من قراءة وتدبر للقرآن وذكر للأدعية واسترجاع لأذكار الصباح والمساء، فيقي من أمراض الزهايمر وخرف الشيخوخة والاكتئاب وغيرها، وكذلك يقلل قيام الليل من حدوث مرض طنين الأذن لأسباب غير معروفة،وقد جاء في كتاب "الوصفات المنزلية المجربة وأسرار الشفاء الطبيعية" وهو كتاب باللغة الإنجليزية لمجموعة من المؤلفين الأمريكيين – طبعة ١٩٩٣، أن القيام من الفراش في أثناء الليل والحركة البسيطة داخل المنزل والقيام ببعض التمرينات الرياضية الخفيفة، وتدليك الأطراف بالماء، والتنفس بعمق له فوائد صحية عديدة، والمتأمل لهذه النصائح يجد أنها تماثل تمامًا حركات الوضوء والصلاة عند قيام الليل(١).

ويقول العلماء: "إن توقيت الصلوات الخمس يتوافق مع العمليات الحيوية للجسم، مما يجعلها كالمنظم لحياة الإنسان وعملياته الفسيولوجية، مما يشعر الإنسان بالحيوية والنشاط في هذه الأوقات، إن النبي الكريم أكد في عدة مناسبات أن أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها،ويقول

(١) انظر: http://www.jameataleman.org/main ، الأحد ٢٠١٥/٤/١٩م

العلماء: إن الصلاة هي وسيلة فعالة لعلاج الأمراض النفسية، حيث تمنح المؤمن استقرارًا وطمأنينة، وينسى هموم الدنيا، وتذهب عنه الحيرة والقلق،وبخاصة صلاة قيام الليل، فهو في أثنائها وما بين أوقاتها في ملكوت الله الحامي الرحمن الرحيم، فإذا ما أديناها بخشوع ضمننا هذا الزاد الروحي، ومن الجدير بالذكر أن علماء النفس الغربيين أصبحوا يعتبرون الصلاة أهم أداة لبعث الطمأنينة في النفس، ولذلك نجد الكثيرين من العلماء يدخلون في الإسلام نتيجة لما يقومون به من دراسات يكتشفون أن نتائجها قد أثبتها القرآن الكريم قبل ما يقرب من أربعة عشر قرنًا من الزمن(١).

ومن فوائد الصلاة أيضًا: أن المؤمن عندما يحافظ على الصلوات في أوقاتها، فإن حياته ستكون منظّمة، وبالتالي سيساعد الساعة البيولوجية في خلايا جسده على العمل بكفاءة عالية واستقرار مذهل، مما يؤدي إلى زيادة النظام المناعي، وزيادة قدرة الجسم على مقاومة مختلف الأمراض العضوية، ولذلك أمرنا النبيﷺ بالصلاة، واعتبر أن أفضل الأعمال أن نؤدي الصلاة بنظام محدد، وأظهرت الدراسات مفاجآت غير متوقعة، فقد تبين أن الدعاء والصلاة لمرضى القلب يؤدي إلى تحسن حالتهم النفسية والصحية"(٢).

٦- قال تعالى في الأمر ببر الوالدين:﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤]، يقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:"ادع الله لوالديك بالرحمة، وقل ربّ ارحمهما، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك، كما تعطفا عليّ في صغري، فرحماني وربياني صغيرًا، حتى استقللت بنفسي، واستغنيت عنهما"(٣).

وقد اكتشف فريق من العلماء أن مخ الأبوين وبخاصة الأم أكثر استجابة لبكاء الأطفال، واستخدم فريق العلماء من جامعة "بازل" أسلوبًا معقدًا للمسح لقياس استجابة المخ لبكاء الأطفال وضحكهم، حيث أظهر أحد أساليب القياس أن بكاء الأطفال الرضع يثير رد فعل لدى المنجبين للأطفال، أقوى من أولئك الذين لم يرزقوا بعد بأطفال، كما أظهرت الدراسة أن الأمهات يستجبن بصورة أكبر من الرجال لبكاء الأطفال وضحكهم، وخلص العلماء في أثناء بحثهم الأخير الذي نشر في مجلة "طب الأطفال الحيوي" إلى أن بكاء الأطفال يثير نشاط منطقة معينة بمخ الوالدين، وتلعب تلك المنطقة في المخ التي تحمل اسم "أميجدالا" دورًا في إحساس الإنسان بالعواطف المختلفة(٤).

---

(١) انظر : الإعجاز الطبي في القرآن والسنة ـ محمد داوود الجزائري ـ (ص: ٢١٠)
(٢) انظر : http://www.jameataleman.org/maina الأحد ٢٧ يناير ٢٠١٣، الأحد ٢٠١٥/٤/١٩م
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (١٧/ ٤٢٠)
(٤) انظر : http://kaheel٧.com/pdetails.php?id، السبت :٢٠١٥/٤/١٨م

ترى الباحثة أننا بحاجة ماسة لمثل هذه الاكتشافات العلمية التي تخص الأبوين في زمن غابت فيه معاني الإنسانية، وفقد الكثير من المسلمين الإحساس بالذل أمام آبائهم وأمهاتهم، ونسوا تعاليم الإسلام العظيم، التي تحث على وجوب إعطاء الأبوين الحق الكامل في الإحسان والبر والمودة والدعاء لهما حال حياتهما وبعد وفاتهما، فأصبحنا نرى دور العجزة والمسنين مملوءة بالآباء والأمهات المهملين من قبل أبنائهم، فحري بكل مسلم أن يرجع لتعاليم هذا الدين العظيم، ويلتزم بها، وأن يحرص كل الحرص على برِّ والديه ورعايتهما وعلى وجه الخصوص في كبرهما.

٧- ومن آيات الإعجاز العلمي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:١٢]، لقدكشف العلم حديثًا أن القمر كان مشتعلاً في القديم، ثم محي ضوؤه وانطفأ، وهذا السر لم يُعرف إلا حديثًا بعد توفر الآلات والإمكانات للباحثين، والمحو الوارد في الآية معناه الطمس وإزالة الضوء، وكلاهما لا يكون إلا بعد الإنارة، وهذا ما يؤكد أن القمر كان مشتعلاً ثم محيَ ضوؤه(١)، وفي هذه الآية يذكرنا المولى ﷻ بأنه جعل الليل والنهار آيتين من آياته الكونية المعجزة التي تدل على طلاقة قدرته، وبالغ حكمته، وبديع صنعه في خلقه، فاختلاف هيئة كل من الليل والنهار في الظلمة والنور، وتعاقبها على وتيرة رتيبة ومنتظمة، ليدل دلالة قاطعة على أنه خالق عليم حكيم، فالليل والنهار آيتان كونيتان عظيمتان من آيات الله في الخلق، تشهدان بدقة بناء الكون، وانتظام حركة كل جرم فيه، وإحكام السنن الضابطة له، ومنها تلك الحاكمة لحركات كل من الأرض والشمس، والتي تتضح بجلاء في التبادل المنتظم للفصول المناخية، والتعاقب الرقيب لليل والنهار، وما يصاحب ذلك كله من دقة وإحكام بالغين، فبهذا التبادل بين الظلام والنور يتم التحكم في درجات الحرارة والرطوبة وكميات الضوء اللازمة للحياة في مختلف بيئاتها الأرضية، كما يتم التحكم في كثير من الأنشطة والعمليات الحياتية مثل التنفس والتمثيل الضوئي والأيض وغيرها، ويتم ضبط التركيب الكيميائي للغلاف الغازي المحيط بالأرض وضبط صفاته الطبيعية، وتتم دورة المياه بين الأرض والسماء التي لولاها لفسد كل ماء الأرض، كما يتم ضبط حركات كل من الأمواج المختلفة في البحار والمد والجزر والرياح والسحاب، ونزول المطر بإذن الله، ويتم تفتيت الصخور وتكون التربة بمختلف أنواعها، ومنها الصالحة للإنبات وغير الصالحة، وترسب الصخور، ومنها القدرة على خزن الماء والنفط والغاز ومنها غير القادرة على ذلك وتركيز مختلف الثروات الأرضية، وغير ذلك من العمليات والظواهر التي

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـ محمد علي ـ (ص:٤٦ـ ٤٧)

بدونها لا يمكن للأرض أن تكون صالحة للحياة، وتعاقب الليل والنهار على نصفي الكرة هو كذلك ضروري، لأن جميع صور الحياة الأرضية لا تتحمل مواصلة الحياة دون راحة وإلا هلكت، فالإنسان والحيوان والنبات وغير ذلك من أنماط الحياة البسيطة يحتاج إلى الراحة بالليل لاستعادة النشاط بالنهار وعكس ذلك، فيخلد إلى شيء من الراحة والعبادة والنوم، مما يعينه على استعادة نشاطه البدني والذهني والروحي، وعلى استرجاع راحته النفسية واستجماع قواه البدنية، حتى يتهيأ للعمل في النهار التالي، وما يتطلب ذلك من قيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، ثم إن هذا التبادل في اليوم الواحد بين ليل مظلم ونهار منير يعين الإنسان على إدراك حركة الزمن، وتأريخ الأحداث، وتحديد الأوقات بدقة وانضباط ضروريين للقيام بمختلف الأعمال، ولأداء جميع العبادات، وللوفاء بمختلف العهود والحقوق والمعاملات، وغير ذلك من الأنشطة الإنسانية، فلو كان الزمن كله على نسق واحد من ليل أو نهار ما استقامت الحياة، وما استطاع الإنسان أن يميز من حياته ماضيًا، أو حاضرًا أو مستقبلاً، وبالتالي لتوقفت الحياة، ولذلك يقول ربنا تبارك وتعالى في ختام الآية: ﴿لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، فالله ﷻ يمنُّ علينا وهو صاحب الفضل والمنة بتبادل الليل والنهار في العديد من آيات القرآن الكريم، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن القرآن الكريم هو من كلام الله الخالق الذي أبدع هذا الكون بعلمه وحكمته وقدرته، وعلى أن هذا النبي الخاتم ﷺ كان مؤيدًا بالوحي، ومعلمًا من قبل خالق السماوات والأرض، وأنه كما قال الله تعالى عنه:﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:٣-٤]، وإن كان القرآن جليًّا في إشاراته إلى بعض أشياء الكون وظواهره؛ فلابد أن يكون صدقه في رسالته الأساسية وهي الدين، بركائزه الأربع: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات، جليًّا كذلك(١).

٨- ومن الإعجاز العلمي قوله تعالى:﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤]، فمن الدلالات العلمية للنص القرآني أن جميع ما في الوجود من خلق الله ﷻ، بدءًا بالملائكة المطهرين، وانتهاءً بكل من الجمادات والظواهر الكونية، ومرورًا بكل من مؤمني الإنس والجن وغيرهم من الأحياء وفيها جميع الحيوانات والنباتات وكل موجود من غير ذلك، كل واحد من هؤلاء له قدر من الوعي والإدراك الذي يعينه في التعرف على ذاته وعلى خالقه وعلى غيره من المخلوقات في محيطه وعلى سلوكياتهم وتصرفاتهم، فيوافق مع كل منضبط بين الفطرة، ويتنافر مع كل مناقض لها أو متصادم معها، وهذا الوعي والإدراك يجعلان كل ما في الوجود يعبد الله تعالى ويسبح بحمده ويقدس له، إلا عصاة الجن

(١) انظر: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، د. زغلول النجار – (١/٥٤٩-٥٥٥) باختصار .

والإنس، لأن كلاً منهما من الخلق المكلف صاحب الإرادة الحرة، وحامل أمانة التكليف، ولذلك ينقسم تسبيح المخلوقات لخالقها إلى تسبيح فطري (تسخيري) للخلق غير المكلف، وتسبيح اختياري (إرادي) للمكلفين من خلق الله[١] .

٩- ومن آيات الإعجاز العلمي في السورة قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢]، فقد ثبت أن القرآن شفاء لجميع الأمراض، سواء كانت بدنية أم قلبية كالشك والشرك والنفاق، فإذا أحسن المريض التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان واعتقاد؛ يتم شفاء المريض من مرضه بإذن الله تعالى،فهو الكتاب الجامع للفوائد والمنافع[٢].

١٠- ومن آيات الإعجاز العلمي في السورة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٣١]، ومن وسائل قتل الذرية الإجهاض المتعمد، والذي يُسمى الإجهاض الجنائي، وقد أثبت الطب أن هذا النوع من الإجهاض يؤدي إلى أضرار بالغة من أهمها: موت الأم إما بشكل فوري أو تالٍ، ومنها انثقاب أحشاء الأم، وحدوث النزف الشديد بسبب احتباس بعض بقايا الجنين، كما ويتسبب الإجهاض في التسمم وحدوث رضوض في عنق الرحم، وكلها تبين معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[٣].

خامسًا: الإعجاز التأثيري في السورة

والإعجاز التأثيري في القرآن:"يعني أن القرآن الكريم له تأثير فعال بأسلوبه على سامعيه، من خلال سلطانه القاهر العجيب الذي يؤثر في قلوب الناس جميعًا، المؤمن والكافر على حد سواء"[٤].

فالقرآن يصل إلى قلوب مستمعيه بتأثرهم بأسلوبه، برز ذلك في قوله تعالى في السورة: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء:١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٩]، وهي

(١) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، (٥٥٧/١)
(٢) انظر: آيات من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـ جمال الدين حسين مهران ـ (ص: ٧٧)
(٣) انظر: مع الطب في القرآن الكريم ـ عبد الحميد دياب ، أحمد قرقوز (ص: ٦٦)
(٤) وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ـ اليوم الدراسي لقسم التفسير وعلوم القرآن ـ (ص: ١)

صورة من صور التأثر الوجداني لسماع القرآن، وأن أعينهم لتفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، فهو التأثير الذي يلمس الوجدان، ويحرك المشاعر، ويفيض الدموع[١]. وقد كان الكفار يتأثرون بالقرآن، ومما ورد في ذلك أن زعماء الشرك شعروا أن القرآن تملك قلوبهم، وأحسوا في أعماقهم هزة روعته، فكانوا يخرجون خفية لكي يستمعوا له، ومن أمثال هؤلاء أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن أبي شريك، فلما رأى هؤلاء آثاره في أتباعه الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، أدركوا شدة الخطر المحدق بهم، أوصوا أتباعهم أن يحولوا بينه وبين أنفسهم، وتعاهدوا على عدم الخروج لسماعه[٢].

مما سبق يتبين أن هناك وجوهًا متعددة من الإعجاز في آيات السورة، وهي: الإعجاز البياني، والإعجاز التشريعي، والإعجاز الغيبي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التأثيري.

(١) انظر : التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ـ (ص: ١٦)

(٢) انظر: من أوجه إعجاز القرآن ـ نبيل إسماعيل (ص: ٥٦) ، و انظر: سيرة ابن هشام (٣١٥/١)

الفصل الثالث

السمعيات (الغيبيات) في سورة الإسراء

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : اليوم الآخر من خلال سورة الإسراء

المبحث الثاني : شبهات المنكرين للبعث والرد عليهم من خلال السورة

المبحث الثالث : قضايا عقائدية أخرى في السورة

المبحث الأول

اليوم الآخر من خلال سورة الإسراء

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: التعريف باليوم الآخر وبيان أسمائه الواردة في السورة .

المطلب الثاني : حتمية الموت ومصير الروح بعده .

المطلب الثالث : البعث وحشر الأجساد

المطلب الرابع: العرض وصحائف الأعمال و الحساب .

المطلب الخامس: مقاصد وآثار الإيمان باليوم الآخر على الفرد والمجتمع من خلال السورة .

المطلب الأول

التعريف باليوم الآخر وبيان أسمائه الواردة في السورة

معنى الإيمان باليوم الآخر

"هو الاعتقاد الجازم والتصديق الكامل بيوم القيامة، والإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت، وحتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار"(١).

أو هو:"التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك. ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة. وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع وتفاصيل المحشر: نشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله ﷻ، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم ﷻ"(٢).

والإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، والمقصود به يوم القيامة، وقد سمي باليوم الآخر لأنه يأتي بعد اليوم الأول، وهو يوم الدنيا، الدنيا هي اليوم الأول، والقيامة هي اليوم الآخر(٣).

ويعتبر الإيمان باليوم الآخر أصلًا من أصول الإيمان الذي لا يتم إيمان العبد إلا به، فمن أنكره فقد كفر؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقال تعالى:﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾[النساء:١٣٦].

وقد عدَّه النبي ﷺ من أركان الإيمان في حديث جبريل المشهور، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(٤)(٥).

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ـ عبد الرحمن بن صالح (ص: ١٤٩)

(٢) أعلام السنة المنشورة ـ الحكمي(ص:٥٥)

(٣) انظر: شرح ثلاثة الأصول ـ صالح الفوزان (ص: ٢١٥)

(٤) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر ـ ح رقم ٨ ـ (١/ ٣٧)

(٥) انظر: جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ـ للطويان، (٢/ ٤٤١)

وقد أجمع المسلمون على ثبوت اليوم الآخر، وذلك مقتضى الحكمة، حيث تقتضي حكمته تعالى أن يجعل لهذه الخليقة رجوعًا ومعادًا، يجازيهم فيه على ما شرعه لهم فيما بعث به رسله، قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون:١١٥][(١)].

وقد اتضح ذلك من خلال سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾[الإسراء:١٥].

يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم"[(٢)].

وقد توعد الله ﷻ من ينكره ولا يؤمن به بالعذاب الشديد، فقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[الإسراء:١٠].

أما عن موعد الساعة فهو من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله ﷻ، وقد كثر سؤال الناس عنه، حتى أنزل الله ﷻ على رسوله: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف:١٨٧][(٣)]، وقد بيَّن الله ﷻ أن موعد الساعة قريب في قوله تعالى في السورة: ﴿**فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا**﴾ [الإسراء:٥١]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ**﴾ يقول الإمام الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: ويقولون: متى البعث؟ وفي أيّ حال ووقت يعيدنا خلقًا جديدًا، كما كنا أوّل مرّة؟ قال الله ﷻ لنبيه: قل لهم يا محمد إذ قالوا لك: متى هو؟ متى هذا البعث الذي تعدنا؟ عسى أن يكون قريبًا؟ وإنما معناه: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، ولذلك قال النبيّ ﷺ: صحيح البخاري (٧/ ٥٣)

" **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ: كَهَاتَيْنِ** "[(٤)]وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، لأن الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب"[(٥)].

---

(١) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية ـ للعثيمين، (ص: ٥٢)
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري(١٧/ ٤٠٢)
(٣) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ـ للقرطبي ـ (ص: ٥٤٤)
(٤) صحيح البخاري ـ كتاب الطلاق ـ باب اللعان ـ ح رقم : ٥٣٠١(٥٣/٧)
(٥) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٤٦٧/١٧)

أسماء اليوم الآخر الواردة في السورة

تعددت أسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم، ومنها: يوم البعث، ويوم الدين، ويوم الفصل، ويوم الحسرة، ويوم الخلود، ودار الخلد(١)، أما عن الأسماء الواردة في سورة الإسراء فهي كالآتي:

١- **الآخرة:** وسميت بهذا الاسم لأنها آخر المنازل بالنسبة للمرء، فلا انتقال بعدها إلى دار أخرى ألبتة(٢).وقد ورد اسم الآخرة في السورة أربع مرات، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[الإسراء:١٩]، ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾[الإسراء:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢]

٢- **يوم القيامة:** وسمي بهذا الاسم بسبب طول مدة قيام الناس فيه بين يدي رب العالمين(٣).وورد اسم القيامة في سورة الإسراء أربع مرات، في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾[الإسراء:١٣]، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧]

(١) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها- للميداني ،(ص:٦٢٨)
(٢) انظر: اليوم الآخر- أحداث وعبر- إيمان الكردي ،(ص:١٠)
(٣) انظر: المصدر السابق - (ص:٩)

المطلب الثاني
حتمية الموت ومصير الروح بعده

عرف القرطبي الموت بأنه:"انْقِطَاعُ تَعَلُّقِ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ وَمُفَارَقَتُهُ لَهُ"(١). ويعتبر الموت من مقدمات اليوم الآخر، ويطلق عليه القيامة الصغرى، وهي تعني وفاة كل شخص عند انتهاء أجله، وبتحققها ينتقل الإنسان من الدنيا إلى الآخرة، ولأهمية الموت ذكَّر الله تعالى العباد به؛ ليستعدوا له بالأعمال الصالحة، والتوبة من الأعمال السيئة؛ فبحدوثه؛ يختم عمل الإنسان، ومن خصائص الموت عدم قبول التأخير؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ *وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المنافقون:٩-١١]، وكما يسمى الموت القيامة الصغرى، تسمى الساعة القيامة الكبرى(٢).

قال الدكتور عمر الأشقر رحمه الله تعالى في تعريف الموت: "القيامة الصغرى هي الموت، فكل من مات فقد قامت قيامته، وحان حينه"(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: "وهو ﷻ في السورة الواحدة يذكر القيامة الكبرى والصغرى؛ كما في سورة الواقعة؛ فإنه ذكر في أولها القيامة الكبرى، وأن الناس يكونون أزواجًا ثلاثة؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا * وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ [الواقعة:١-٧]، ثم في آخرها ذكر الصغرى بالموت، وأنهم يكونون ثلاثة أصناف بعد الموت؛ فقال: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ* فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٣-٩٤](٤).

---

(١) فتح القدير- للشوكاني (٥/ ٣٠٨)
(٢) انظر:الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ـ للفوزان ،(ص: ٢٥٧- ٢٥٨)
(٣) القيامة الصغرى ـ عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر ،(ص: ١١)
(٤) مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية (٢٦٣/٤)

والنوم شبيه الموت، ولذلك يسميه العلماء بالوفاة الصغرى، فالنوم وفاة، والقيام من النوم بعث ونشور:﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام:٦٠]، وفي النوم تقبض أرواح العباد، ومن شاء الحق تبارك وتعالى أن يمسك روحه في حال نومه أمسكها، وإذا شاء تعالى بقاءها ردها إلى الأجل الذي حدده المولى ﷻ، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر:٤٢] ."فقد أخبر الحق تبارك وتعالى أن كلا من النفسين الممسكة والمرسلة قد توفيت وفاة النوم، وأمّا التي توفيت وفاة الموت فتلك قسم ثالث، وهي التي قدمها بقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢]. فإن الله تعالى ذكر في الآية توفيتين: توفي الموت، وتوفي النوم، وذكر إمساك المتوفاة وإرسال الأخرى[١]."وتسمى القيامة الصغرى أيضًا بالمعاد الأول، كما تسمى البرزخ"[٢].

يقول ابن القيم: "الموت بعث ومعاد أول، فإن الله جعل لابن آدم معادين وبعثين، يجزي فيهما الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فالبعث الأول: مفارقة الروح للبدن، ومصيرها إلى دار الجزاء الأول"[٣].

وقد دللت سورة الإسراء على حتمية الموت في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨]، وذكرت السورة الموت في قوله تعالى: ﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٥]، وقال تعالى على ألسنة الكفار في إنكارهم للبعث بعد الموت:﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[الإسراء:٤].

والإيمان بالموت يتناول أمورًا، منها[٤]:

١- أن الموت متحتم عَلَى مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وغيرهم من المخلوقات. قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

٢- أن كل مخلوق له أجل محدود لا يتجاوزه، وهو في علم الله تعالى، قد جرى به القلم بأمره تعالى، وأن الميت الهالك قد هلك بأجله المكتوب له،عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ

---

(١) انظر:القيامة الصغرى ـ عمر الأشقر (ص: ١٥)
(٢) المصدر السابق ـ (ص:١٢)
(٣) الروح ـ لابن القيم (ص:٧٤)
(٤) انظر: معارج القبول ـ حافظ الحكمي ،(٢/ ٧٠٣ـ ٧٠٨)

حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ تَعَالَى لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعَجِّلُ شَيْءٌ مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخِّرُ مِنْهَا يَوْمًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ(١).

٣- الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم الذي ينتهي فيه العمر لَا اطِّلَاعَ لَنَا عَلَيْهِ، وَلَا عِلْمَ لَنَا بِهِ، وَأَنَّ هذا الأمر مِنْ مَفَاتِحِ الْغَيْبِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهَا عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، فلا يعلمها إلا هو. قال تَعَالَى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤]، وأن هذا الموت هو ساعة كل إنسان بخصوصه، إذ هو المفضي بالعبد إلى منازل الآخرة، وقد روى مُسْلِم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتِ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ مَتَى السَّاعَةُ؟ فَيَنْظُرُ إِلَى أَحْدَثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ، فَيَقُولُ: "إِنْ يَعِشْ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ، قَامَتْ عليكم ساعتكم)(٢).

٤- ومنها ذكر العبد للموت وجعله على باله، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أكثروا ذكر هاذم اللذات (٣)،"، يعني: الموت، وللبخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"(٤).

٥- وَمِنْهَا -وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ- التَّأَهُّبُ لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِمَا بَعْدَهُ قَبْلَ حُصُولِهِ، وَالْمُبَادَرَةُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالسَّعْيِ النَّافِعِ قَبْلَ حلول البلاء، فبعد البعث إِمَّا نُعَيْمٌ مُقِيمٌ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَإِمَّا عذاب أليم في نار الجحيم، والمفلح من اغتنم حياته قبل أن يسأل الرجعة قبل الموت، قال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]، وقال تعالى أيضًا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٨، ١٩].

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب القدر ـ باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لاتزيد ولاتنقص عما سبق به القدر ـ ح رقم:٢٦٦٣ـ (٢٠٥٠/٤)

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب قرب الساعة ـ ح رقم:٢٩٥٢ـ (٢٢٦٩/٤)

(٣) سنن الترمذي: باب ما جاء في ذكر الموت ـ ح رقم:٢٣٠٧(٥٥٣/٤) ـ وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح .

(٤) صحيح البخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب قول النبي ﷺ: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" ح رقم:٦٤١٦ (٨٩/٨)

مصير الروح بعد الموت

الروح لغة: الرّوح من الرَّاحَة وَالرَّحْمَة ونسيم الرّيح، تقول:وجدت روح الشمَال: برد نسيمها، والرّوح: مَا بِهِ حَيَاة النَّفس، وهو يذكر وَيُؤَنث، والجمع: أَرْوَاح(١).

الروح اصطلاحًا: "هي جسم لطيف شفاف، مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود الأخضر، فتكون سارية في جميع البدن"(٢).

ماهية الروح وحقيقتها في البدن

اختلف الناس في حقيقة الروح التي في البدن اختلافًا كبيرًا، وأحسن ما قيل في ذلك؛ ما ذكره ابن القيم رحمه الله فقال عن الروح:"أَنه جسم مُخَالف بالماهية لهَذَا الْجِسْم المحسوس، وَهُوَ جسم نوراني علوي خَفِيف حَيّ متحرك، ينفذ فِي جَوْهَر الْأَعْضَاء، ويسري فِيهَا سريان المَاء فِي الْورْد، وسريان الدّهن فِي الزَّيْتُون، وَالنَّار فِي الفحم، فَمَا دَامَت هَذِه الْأَعْضَاء صَالِحَة لقبُول الْآثَار الفائضة عَلَيْهَا من هَذَا الْجِسْم اللَّطِيف بَقِي ذَلِك الْجِسْم اللَّطِيف مشابكًا لهَذِهِ الْأَعْضَاء، وأفادها هَذِه الْآثَار من الْحس وَالْحَرَكَة الإرادية الروح، وَإِذا فَسدتْ هَذِه الْأَعْضَاء بسب اسْتِيلَاء الأخلاط الغليظة عَلَيْهَا، وَخرجت عَن قبُول تِلْكَ الْآثَار فَارق الرّوح الْبدن وانفصل إِلَى عَالم الْأَرْوَاح، ثم قال –رحمه الله: وَهَذَا القَوْل هُوَ الصَّوَاب فِي الْمَسْأَلَة هُوَ الَّذِي لَا يَصح غَيره، وكل الْأَقْوَال سواهُ بَاطِلَة، وَعَلِيهِ دلّ الْكتاب وَالسّنة وَإِجْمَاع الصَّحَابَة وأدلة الْعقل والفطرة"(٣).

الروح في القرآن الكريم

أجاب القرآن عن التساؤلات الكثيرة التي ثارت حول الروح، وقد وردت الإجابة على هذه التساؤلات في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٨٥]، إن هذه الآية فيها ما يزجر الذين يخوضون في أمر الروح متكلفين من أجل بيان ماهيتها، فالروح قد استأثر الله تعالى بعلمها، ولم يطلع على أمرها وحقيقتها أحد .

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾دليل على خلق الروح، أي:هو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى، مبهمًا له وتاركًا تفصيله؛ ليعرف الإنسان على

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (١/ ٣٨٠)
(٢) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ـ ت :علي جمعة الشافعي، (ص:٢٧٠)
(٣) الروح ـ لابن القيم ـ (ص:١٧٨ـ ١٧٩)

القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها، وإن كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا كان يعجزه عن إدراك حقيقة الحق أولى"(١).

وقد ذكر المفسرون روايات متعددة في سبب نزول هذه الآية، منها ما روي عنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ تَسْأَلُوهُ، لاَ يُسْمِعُكُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ، فَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّى صَعِدَ الوَحْيُ، ثُمَّ قَالَ: "﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾" [الإسراء:٨٥](٢).

مصير الأرواح بعد الموت

اختلف العلماء في مستقر الأرواح بعد الموت اختلافًا كبيرًا، وذكر كلٌّ منهم حججًا كثيرة، وقد ذكر العلامة ابن القيم الرَّاجِح من هَذِه الْأَقْوَال، فقال: "إن الْأَرْوَاح مُتَفَاوِتَة فِي مستقرها فِي البرزخ أعظم تفَاوت، فَمِنْهَا(٣):

١. أرْوَاح فِي أَعلَى عليين فِي الملا الْأَعْلَى، وَهِي أَرْوَاح الْأَنْبِيَاء صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم، وهم متفاوتون فِي مَنَازِلهمْ كَمَا رَآهُمْ النَّبِي لَيْلَة المعراج.

٢. أَرْوَاح فِي حواصل طير خضر تسرح فِي الْجنَّة حَيْثُ شَاءَت، وَهِي أَرْوَاح بعض الشُّهَدَاء لا كلهم، لقوله ﷺ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ، تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الجَنَّةِ»(٤).

٣. وَمِنْهُم من يكون مَحْبُوسًا على بَاب الْجنَّة، كَمَا فِي الحَدِيث: "إِنَّ صَاحِبَكُمْ مُحْتَبَسٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فِي دَيْنٍ عَلَيْهِ"(٥).

(١) الجامع لأحكام القرآن ـ للقرطبي ـ (٣٢٤/١٠)

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب ما يكره من كثرة السؤال ـ ح رقم :٧٢٩٧ـ (٩٦/٩)

(٣) انظر: الروح، لابن القيم، (ص:١١٥ـ ١١٦)، واليوم الآخر: أحمد العمصي (ص:٢٣ـ٢٤)، والعقائد الإسلامية: سيد سابق، (ص٢٤٠ـ ٢٤١)، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (٥٨٤/٢ـ٥٨٦)، ولوامع الأنوار البهية ـ السفاريني (٥٤/٢ـ ٥٥)

(٤) سنن الترمذي ـ ت شاكر ـ باب ما جاء في ثواب الشهداء ـ ح رقم:١٦٤١ـ (١٧٦/٤) قال الشيخ الألباني: صحيح .

(٥) مسند أحمد ـ ط الرسالة ـ من حديث سمرة بن جندب ح رقم:٢٠١٢٤ـ (٣١٠/٣٣) وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح .

٤. وَمِنْهُم من يكون مَحْبُوسًا فِي قَبره، كَحَدِيث صَاحب الشملة الَّتِي غلها ثمَّ اسْتشْهد، فَقَالَ النَّاس: هَنِيئًا لَهُ الْجنَّة، فَقَالَ النَّبِيﷺ:«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا»[١].

٥. وَمِنْهُم من يكون مقره بَاب الْجنَّة، كَمَا في الحديث:"الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ -نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ- فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا"[٢]،وَهَذَا بِخِلَاف جَعْفَر بن أَبى طَالب، حَيْثُ أبدله الله من يَدَيْهِ جناحين يطير بهما فِي الْجنَّة حَيْثُ شَاءَ.

٦. وَمِنْهُم من يكون مَحْبُوسًا فِي الأَرْض لم ترتفع روحه إِلَى الْمَلأ الْأَعْلَى، فلقد كَانَت روحًا سفلية أرضية، والْأَنْفس الأرضية لَا تجامع الْأَنْفس السماوية، كَمَا لَا تجامعها فِي الدُّنْيَا، وَالنَّفس الَّتِي لم تكتسب فِي الدُّنْيَا معرفَة رَبهَا ومحبته وَذكره والأنس بِهِ والتقرب إِلَيْهِ، بل هِيَ أرضية سفلية لَا تكون بعد الْمُفَارقَة لبدنها إِلَّا هُنَاكَ، كَمَا أَن النَّفس العلوية الَّتِي كَانَت فِي الدُّنْيَا عاكفةعلى محبَّة الله وَذكره والقرب إِلَيْهِ والأنس بِهِ تكون بعد الْمُفَارقَة مَعَ الْأَرْوَاح العلوية الْمُنَاسبَة لَهَا، فالمرء مَعَ من أحب فِي البرزخ وَيَوْم الْقِيَامَة، وَالله تَعَالَى يُزَوّج النُّفُوس بَعْضهَا بِبَعْض فِي البرزخ وَيَوْم الْمعَاد، وَيجْعَل روحه -يعْنى الْمُؤمن- مَعَ النسم الطّيب، أَي: الْأَرْوَاح الطّيبَة، فالروح بعد الْمُفَارقَة تلْحق بأشكالها وَأَخَوَاتهَا وَأَصْحَاب عَملهَا فَتكون مَعَهم.

٧. وَمِنْهَا أَرْوَاح تكون فِي تنور الزناة وَالزَّوانِي، وهذا التنور من نار، يأتيهم لهبها من تحتهم، فإذا أتاهم اللهب عجوا وارتفعوا، ثم يعودون إلى مواضعهم، ويستمرون في هذا الحال إلى يوم القيامة، فقد رأى النبي ذلك في منامه، ورؤيا الأنبياء حق لا شك فيها، فقال ﷺ عن حالهم: "أَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي"[٣]، وهناك أرواح تسبح فِي نهر الدَّم وتلقم الْحِجَارَة، فليس للأرواح شقيها وسعيدها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد من الأرض.

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب غزوة خيبر ـ ح رقم:٤٢٣٤ـ (١٣٨/٥)

(٢) مسند أحمد ـ ط الرسالة ـ مسند عبد الله بن العباس ـ ح رقم:٢٣٩٠ـ (٢٢٠/٤)، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن .

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب شعب الإيمان ـ باب تحريم الفروج،وما يجب من التعفف عنها ـ ح رقم ٥٠٣٦ـ (٢٩٧/٧)

المطلب الثالث
البعث وحشر الأجساد

دللت سورة الإسراء على البعث في ثلاث آيات في قوله تعالى:﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:٤٩]، وقوله تعالى:﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[الإسراء:٥١]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:٩٨]. وسيتم في هذا المطلب الحديث عن البعث والحشر وتفاصيلهما.

أولاً: البعث لغة

الْإِثَارَةُ، يُقَالُ: بَعَثَ النَّاقَةَ فَانْبَعَثَتْ، أَيْ: أَثَارَهَا فَثَارَتْ وَنَهَضَتْ، وَمِنْهُ يَوْمُ الْبَعْثِ، يَوْمَ يَبْعَثُنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ الْقُبُور"[١]. والبَعْثُ: "الإِحْياءُ من الله للمَوْتى، وَمِنْه قولُه تَعَالَى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[البقرة:٥٦]، أَي: أَحْيَيْناكُم.وبَعَثَهُ: أَرْسَلَهُ"[٢].

ثانياً: البعث اصطلاحًا

"هو إعادة الإنسان روحًا وجسدًا كما كان في الدنيا، ثم يخرج الله الناس من الأجداث أحياء"[٣].قال العلامة ابن كثير: "البعث:وَهُوَ الْمَعَادُ وَقِيَامُ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[٤].

وقال السفاريني: "أما البعث فالمراد به المعاد الجسماني؛ فإنه المتبادر عند الإطلاق، إذ هو الذي يجب اعتقاده ويكفر منكره"[٥]، أما النشور فهو يرادف البعث في المعنى، يقال:"نشر الميت ينشر نشورًا إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله أي: أحياه، ومنه قولهم: يوم البعث والنشور"[٦].

فإذا شاء الله تعالى إعادة العباد وإحياءهم أمر إسرافيل –وهو الملك الموكل بالنفخ في الصور–،فينفخ في الصور، فتعود الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين:﴿وَنُفِخَ فِي

---

(١) المغرب في ترتيب المعرب ـ ناصر أبو الفتح، (ص:٤٦)
(٢) تاج العروس ـ محمّد الحسيني (٥/ ١٦٩)
(٣) الإيمان أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه ـ محمد نعيم ياسين (ص:٨٤)
(٤) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير (٥/ ٣٩٥)
(٥) لوامع الأنوار البهية ـ السفاريني ـ (١٥٧/٢)
(٦) المصدر السابق (٢/ ١٥٨)

الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨](١).

ونبينا محمد ﷺأول من يبعث يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(٢).

ثانيًا: حشر الأجساد

الحشر لغة: "جَمْعُ النَّاسِ لِلْقِيَامَةِ"(٣).أما الحشر اصطلاحًا:"سوقهم جميعًا إلى الموقف، وهو المكان الذي يقفون فيه من أرض القدس المبدلة"(٤)، وذلك لانتظار فصل القضاء بينهم، ويَحدُث ذلك بعد بعث الناس،حيث يأمر الله تعالى ملائكته فتسوقهم إلى الموقف"(٥)، أما عن صِفَة حشر الناس فيحشرون حفاة عراة غرلاً، أي: غير مختونين، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»(٦).

دلالة سورة الإسراء على الحشر

دللت السورة على الحشر في قوله تعالى:**﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾**[الإسراء:٩٧].

حال الناس في المحشر وبيان أصنافهم وفقًا للسورة

يكون الناس في المحشر في حال من الشدة والكرب، يزيدان أو ينقصان بحسب أعمال العباد، فالمؤمنون الذين زكت نفوسهم وصلحت أعمالهم في حال أفضل من الكافرين الذين فسدت معتقادتهم وأعمالهم، وتدنو الشمس من رؤوس العباد في ذلك اليوم دنوًا كبيرًا، حتى لا يكون بينها

(١) انظر: القيامة الكبرى ـ عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ،(ص: ٥١)
(٢) صحيح مسلم– كتاب الفضائل– باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق–ح رقم: ٢٢٧٨–. (١٧٨٢/٤)
(٣) غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق ت: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، (١/ ٢٨٣).
(٤) حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد ـ للبيجوري (ص: ٢٧٨)
(٥) الإيمان ـ محمد نعيم ياسين (ص:٨٤).
(٦) صحيح مسلم ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ـ ح رقم:٢٨٥٩ـ (٢١٩٤/٤)

وبينهم إلا مقدار ميل واحد، يجعلهم قابلين للفناء والذوبان والانصهار، ولكن هذا لا يصيبهم، فهم في الآخرة لا يموتون،فعرقهم يذهب في الأرض حتى يرويها، ثم يرتفع فوق الأرض، ويأخذهم على قدر أعمالهم. ففي صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» -قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ- قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»(١)(٢).

وهناك أناس يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"(٣).

وترى الباحثة أنه بالنظر في حديث النبي ﷺ السابق، نستطيع أن نربط حديثه ﷺ بآيات السورة الكريمة التي حثت على الصلاة، كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٨-٨٠]، فالأمر فيها للنبي ﷺ ولأمته الإسلامية، فإن من يكون ممن يلتزم بالصلاة والدعاء والذكر سيكون بإذن الله تعالى ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهذا ما أشار إليه الحديث كما في قوله ﷺ:" وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ"، وقوله: "وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"، وهذا يتحقق في الصلاة وعلى وجه الخصوص في صلاة القيام، وفي السورة أيضًا النهي عن الزنا، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٣٢]، فإن من يلتزم بما نهى الله تعالى عنه ولا يقرب الزنا ومقدماته يكون بإذن الله من الذين يظلهم الله تعالى في ظله، وهو ما أشار إليه قول النبي ﷺ: "وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ"، ودعت السورة أيضًا إلى تفقد الأقارب والمساكين

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله ـ ح رقم:٢٨٦٤ـ (٢١٩٦/٤)

(٢) انظر: القيامة الكبرى ـ عمر الأشقر(١٢٣ـ ١٢٤)

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب الأذان ـ باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ـ ح رقم:٦٦٠(١٣٣/١)

وابن السبيل بالتصدق عليهم وتفقدهم بالمال، وهذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: "وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ"، فمن يلتزم بما أمر به الله ﷻ سيكون بإذن الله تعالى ممن يظلهم الله في ظله.

وبالنظر في الكلام السابق نجد أنه يلزم من الالتزام بالصلاة الالتزام بالوضوء، وأهل الوضوء يحشرون يوم القيامة غرًّا محجلين، فعن أبي هريرة قال: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»[١].

قال ابن حجر: "(غرًّا) جمع أغر، أي: ذو غُرّة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها هنا النور الكائن في وجه أمة محمد ﷺ، وغُرًّا منصوب على المفعولية ليُدعون أو على الحال. أي: أنهم إذا دعوا على رؤوس الأشهاد نودوا بهذا الوصف، وكانوا على هذه الصفة، وقوله: (محجلين) من التحجيل، وهو بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، وأصله من الحِجل بكسر الحاء وهو الخلخال، والمراد به هنا أيضًا النور"[٢].

كيفية حشر الكفار

أما عن كيفية حشر الكفار فقد أشارت سورة الإسراء إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**﴾[الإسراء:٩٧].

جاء في التفسير المنير: "وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا أي: ونجمعهم يوم القيامة في موقف الحساب بعد الخروج من القبور، مسحوبين على وجوههم، كما قال تعالى: **﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾**[القمر:٤٨]، عميًا لا يبصرون، بكمًا لا ينطقون، صمّا لا يسمعون، أي: أنهم كما كانوا في الدنيا معطلين هذه الحواس عن الانتفاع الحقيقي بها، وإن كانوا في الظاهر مبصرين ناطقين سامعين، فهم في الآخرة لا يبصرون طريق النجاة الذي يقر أعينهم، ولا ينطقون بما يقبل منهم، ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم، كما قال تعالى: **﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾**[الإسراء:٧٢]"[٣].

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الوضوء ـ باب فضل الوضوء والغر المجلون من آثار الوضوء ـ ح رقم:١٣٦ـ (٣٩/١)

(٢) فتح الباري ـ لابن حجر العسقلاني (٢٣٦/١)

(٣) التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ١٧٣)

كيفية حشر المتكبرين

ولابد من الإشارة إلى كيفية حشر المتكبرين، فبالرجوع إلى السورة نجد أن الآيات فيها قد نهت عن الكبر، وفي ذلك إشارة إلى شدة قبح هذا الخُلق الذميم، وحشر صاحبه في صورة مهينة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[الإسراء:٣٧]. ورد في تفسير الآية:"تحريم الكبر والتجبر والتبختر في المشية، والمعنى: ولا تمش في الأرض مرحًا أي: متبخترًا متمايلًا مشي الجبارين، فذلك المشي يدل على الكبرياء والعظمة، إنك لن تخرق الأرض،أي: تثقبها أو تقطعها بمشيك إذا سرت عليها، ولن تبلغ الجبال طولًا، أي: لن تصل بتطاولك وتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك إلى قمم الجبال، وهذا تهكم بالمتكبر والمختال"(١).

والكبر جريمة كبرى في حكم الله وشرعه، والله تعالى يبغض أصحابها أشد البغض، فهم لم يلتزموا بنهي الله تعالى عن الكبر، وتكبروا على الناس؛ فيحشرهم الله في صورة مهينة ذليلة، ففي الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ"(٢). والذر: صغار النمل(٣)، وصغار النمل يطأهم الناس بأرجلهم وهم لا يشعرون(٤).

كيفية حشر التجار

ورد في السورة الأمر بالالتزام بالوفاء بالكيل، وإعطاء الميزان حقه في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[الإسراء:٣٥]. وقد ورد في تفسيرها: "أي: أتموا الكيل من غير تطفيف ونقص، وأتموا الوزن بالعدل دون جور أو حيف، فإن كلتم لأنفسكم أو وزنتم فلا تزيدوا في الكيل أو الوزن، ولا مانع إن نقصتم عن حقكم. ذلِكَ خَيْرٌ. أي: فإن عاقبة الوفاء بالعهد وإيفاء الكيل والوزن بالعدل خير لكم في الدين والدنيا في معاشكم ومعادكم، وأحسن مآلاً ومنقلبًا في آخرتكم، فلا تؤاخذون أو تعاقبون يوم القيامة، ويرغب الناس في معاملتكم، ويثنون عليكم، ولا تتعرضون لإساءة السمعة، أو عقاب السلطة، فقد ثبت بالتجربة أن التاجر الثقة الصدوق هو المحبوب الرابح الذي يقبل عليه الناس، وأن التاجر الذي يطفف الكيل أو الوزن هو المنبوذ المبغوض الخاسر الذي يعرض الناس عنه"(٥).

---

(١) التفسير المنير- للزحيلي ، (١٥/ ٧٦)

(٢) سنن الترمذي - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع - ح رقم:٢٤٩٢- (٤/٦٥٥)، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن.

(٣) تهذيب اللغة (١٤/ ٢٩١)

(٤) انظر: القيامة الكبرى - عمر الأشقر(ص: ١٤٤)

(٥) التفسير المنير - للزحيلي (١٥/ ٧٤)

وإتمام الكيل والميزان قاعدة حضارية اجتماعية سامية، وأساس راسخ ضروري في صرح التعامل بين الناس، يؤدي إلى توفير الثقة والطمأنينة، ويكون سببًا لتنمية العلاقات وزيادة الكسب والأرباح[١].

لذلك يحشر التجار فجارًا إلا المتقين منهم، فالكثير من التجار يغش في تجارته، والكثير منهم يحتكر البضاعة، والكثير منهم يطفف الكيل ولا يعطي الكيل حقه،ولذلك يحشرهم الله فجارًا.جاء عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْبَقِيعِ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ"، حَتَّى إِذَا اشْرَأَبُّوا[٢]، قَالَ: "إِنَّ التُّجَّارَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلَّا مَنِ اتَّقَى، وَبَرَّ، وَصَدَقَ"[٣][٤].

(١) انظر:التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/٧٤ـ٧٥)

(٢) اشْرَأَبَّ :ارتفعَ وَعَلَا؛ وكلُّ رافِعٍ رأْسَه مُشْرَئِبٌّ. ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ (١/ ٤٩٣)

(٣) سنن الدارمي، كتاب البيوع ـ باب في التجار ـ ح رقم:٢٥٨٠ـ (٣/١٦٥٢) وقال محمد سليم أسد إسناده جيد

(٤) انظر:اليوم الآخر ـ د.أحمد جابر العمصي ـ (ص:١٧٨)

المطلب الرابع

العرض وصحائف الأعمال والحساب من خلال السورة

إن المسلم عليه أن يؤمن بأن الجزاء يكون بعد محاكمة عادلة، يعرض فيها الناس على المولى ﷻ، وتقام فيها الحجج عليهم، فيقرؤون صحف أعمالهم، ويطلعون على أعمالهم، وجميع هذه الأمور حق لا ريب فيه، وهو ثابت بالقرآن والسنة وإجماع العلماء(١).

أولاً: صحائف الأعمال

"الصحف جمع: صحيفة، وهي الكتب كتبتها الملائكة، وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله في الدنيا القولية والفعلية"(٢)، ودل على صحائف الأعمال الكتاب والسنة والإجماع،قال السفاريني: "نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به، وعقد القلب بأنه حق لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع"(٣).

والأدلة عليها من سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ [الإسراء:١٣، ١٤].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾[الانشقاق:٨]، قَالَ: «ذَاكَ العَرْضُ يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ»(٤).

كيف يأخذ العباد كتبهم؟

قال أبو الحسن العدوي (٥):"وَخُلَاصَةُ مَا قَالُوا:إنَّ الرِّيحَ تُطَيِّرُهَا مِنْ خِزَانَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَا تُخْطِئُ صَحِيفَةٌ عُنُقَ صَاحِبِهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُهَا الْمَلِكُ مِنْ الْعُنُقِ، فَيَدْفَعُهَا لِصَاحِبِهَا"(٦)، وقد دللت

(١) انظر:الإيمان ـ محمد نعيم ياسين ، (ص:٨٦)

(٢) لوامع الأنوار البهية ـ السفاريني (٢/ ١٨٠)

(٣) المصدر السابق: (٢/ ١٨١)

(٤) صحيح البخاري ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب:{فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا}(الانشقاق:٨)، ح رقم:٤٩٣٩ـ (١٦٧/٦)

(٥) هو عليم بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله الإمام الحافظ ، أبو محمد القرشي العدوي ، ولد بشاطبة في سنة ٥٠٩هـ ، وكان أحد العلماء الزهاد، كان كثير الحفظ ، ميالاً للسنن والآثار وعلوم القرآن ، وكان كثير التواضع والمحاسن، وفاته ببلنسية سنة ٥٦٤هـ. أنظر: سير أعلام النبلاء ـ للذهبي (١٥/ ٢٢٦ـ ٢٢٧)

(٦) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، أبو الحسن العدوي (٩٤/١)

السورة على صحف الأعمال كما في قوله تعالى:﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾[الإسراء:١٣].

ومن عدل الله تعالى في عباده أن يطلعهم على ما قدموه من الأعمال، وذلك يشمل الصالح من الأعمال والطالح أيضًا، والحكمة من ذلك أن يحكموا على أنفسهم، فلا يكون لهم بعد ذلك عذر. ثم يطلع العباد على صحف أعمالهم، فيستلم كل منهم صحيفته الخاصة به ويقرأها: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء:١٤][(١)].

فأهل اليمين من المؤمنين والصالحين يستلمونها باليمين، وأهل الشمال من الكفار والمسيئين يستلمونها بشمائلهم ومن وراء ظهورهم[(٢)]، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [الإسراء:٧١]، قال الإمام الطبري في تفسير الآية:"{فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} يقول: فمن أعطي كتاب عمله بيمينه،﴿ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ﴾، ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه،﴿ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يظلمهم الله من جزاء أعمالهم فتيلاً، وهو المنفتل الذي في شقّ بطن النواة"[(٣)].

ثانيًا: الحساب

الحساب لغة

"الحِسَابُ والحِسَابَةُ: عَدُّكَ الشَّيءَ، وحَسَبَ الشيءِ، يَحْسُبُهُ حَسْبًا وحِسَابًا"[(٤)]."والحساب: ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه"[(٥)].

والحساب اصطلاحًا

توقيف الله الناس على أعمالهم خيرًا كانت أم شرًّا، قولاً كانت أم فعلاً، تفصيلاً بعد أخذهم كتبها"[(٦)]، والحساب هو مقتضى العدل الإلهي، فالله ﷻ متصف بصفات الكمال التي منها: العدل،

(١) انظر: القيامة الكبرى ـ عمر الأشقر (ص: ٢٠٦ـ ٢٠٧)
(٢) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ـ الميداني (ص:٦٥٨)
(٣) جامع البيان ـ للطبري (١٧/ ٥٠٣)
(٤) تاج العروس ـ الزبيدي (٢/ ٢٦٨)
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ص: ١٣٩)
(٦) حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد ـ ت: علي جمعة الشافعي (٢٨٢)

والحكمة؛ فهو عدل لا يظلم أحدًا من خلقه،وحكيم لا يضع الشئ في غير موضعه، ومن تمام عدله وحكمته أنه تعالى لا يساوي بين المؤمن والكافر،ولا بين المحسن والمسيء(١).

قال تعالى:﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١]، "وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ ....، أي: والتفاوت في الآخرة أكبر وأعظم، والتفاضل في درجات منافع الآخرة أكبر من التفاضل في درجات منافع الدنيا، فالدرجات أكبر، والتفاضل أعظم، لأن الآخرة ثواب وأعواض وتفضل، وكلها متفاوتة، فأهل النار في دركات سفلى متفاوتة، وأهل الجنة في درجات عليا متفاضلة، فإن الجنّة مائة درجة، ما بين كل درجتين، كما بين السماء والأرض"(٢).

أدلة الحساب

وقد دل على الحساب القرآن والسنة والإجماع:

- فمن الكتاب: دلالة السورة على الحساب في قوله تعالى:﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء:١٤]، وقوله تعالى:﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[الإسراء:٧١].
- ومن السنة ما ورد عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»(٣).
- وبين ابن عثيمين الإجماع فقال:"وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة، فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له، وأحلَّ دماءهم، وذرِّيَّاتهم، ونساءهم، وأموالهم، فلو لم يكن حساب ولا جزاء، لكان هذا من العبث الذي ينزهُ الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف:٦، ٧]"(٤). والحساب متفاوت، فمنه الحساب العسير، ومنه الحساب اليسير.

---

(١) انظر: العقائد الإسلامية ـ سيد سابق (ص:٢٧٩)

(٢) التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ٤٥)

(٣) صحيح مسلم ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تحريم الظلم ـ ح رقم:٢٥٨٢(٤/١٩٩٧)

(٤) شرح ثلاثة الأصول ـ للعثيمين(ص:١٠٢)، ونبذة في العقيدة الإسلامية ـ ضمن رسائل ابن عثيمين (ص:٥٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "يحاسب الله تعالى الخلق، ويخلو بعبده المؤمن، ويقرره بذنوبه؛ كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار؛ فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها"(١).

ويتفاوت حساب العباد، فبعض العباد يكون حسابهم عسيرًا وهم الكفرة المجرمون، الذين أشركوا بالله وعبدوا ما لايستحق العبادة، وتمردوا على شرع الله، وكذبوا بالرسل، وبعض العصاة من الموحدين قد يطول حسابهم ويكون عسيرًا، بسبب كثرة الذنوب وعظمها،وبعض من العباد يدخلون الجنة بغير حساب، وهم فئة قليلة لا يجاوزون السبعين ألفًا، وهم الصفوة من هذه الأمة، والقمم الشامخة في الإيمان والتقى والصلاح والجهاد، وبعض العباد يحاسبون حسابًا يسيرًا، وهؤلاء لا يناقشون الحساب، أي: لا يدقق، ولا يحقق معهم، وإنما تعرض عليهم ذنوبهم، ثم يتجاوز لهم عنها،وهذا معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-٨](٢).

مشهد الحساب يوم القيامة

إن القاضي والمحاسب في ذلك اليوم هو الله ﷻ، الحكم العدل، قيوم السماوات والأرض، وهذا يعكس عظم هذا المشهد وجلاله ومهابته، ولعل هذا الإشراق المنصوص عليه في الآية، إنما يكون عند مجيء الملك الجليل لفصل القضاء، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠]، وأما عن كيفية المجئ فهي مجهولة لنا، والله وحده من يعلم بكيفية ذلك،فنؤمن به ونعلم أنه حق، ولا نؤوّله ولا نحرّفه، ولا نكذب به(٣).

بيان أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال

بالرجوع إلى آيات السورة يتبين أنها حثت على الصلاة كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء:٧٨]، ونهت الآيات عن القتل، وبينت حرمته، كما في قوله تعالى:﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الإسراء:٣٣]؛ لذلك ترى الباحثة أهمية بيان أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة من الحقوق، سواء كانت متعلقة بالخالق ﷻ أم متعلقة بالمخلوق.

---

(١) مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية (١٤٦/٣)

(٢) انظر: القيامة الكبرى ـ عمر الأشقر (ص: ٢٢٤)

(٣) المصدر السابق: (ص: ١٩٤)

وأول ما يحاسب عليه العبد: صلاته، فهي حق من حقوق الله ﷻ، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء، فهي حق من حقوق المخلوق،كما في الحديث: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ"(١)، وقول رَسُول اللهِ ﷺ بشأن الدماء: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»(٢)(٣).

قال ابن حجر العسقلاني: "وَلَا يُعَارِضُ هَذَا حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ الْحَدِيثُ، أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ مَحْمُولٌ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِمُعَامَلَاتِ الْخَلْقِ، وَالثَّانِي فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِعِبَادَةِ الْخَالِقِ، وَقَدْ جَمَعَ النَّسَائِيُّ فِي رِوَايَتِهِ فِي حَدِيث ابن مَسْعُودٍ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ، وَلَفْظُهُ: أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ"(٤).

وفي مقابل ما ورد ذكره من الأعمال التي يحاسب عليها المرء كبداية للمحاسبة، ترى الباحثة أنه لابد من ذكر الأعمال التي تثقل في الميزان كحسن الخلق والتسبيح وحمد الله تعالى، في ذلك بيان عدل الله التامّ، فهو تعالى يحب عبده الخلوق المطيع، المسبح له تعالى آناء الليل وأطراف النهار، وبالرجوع إلى آيات السورة يتبين أنها دعت إلى مكارم الأخلاق،وأفضل مناهج الحياة، ودعت إلى مجموعة من الأوامر ،ونهت عن مجموعة من السلوكيات التي تمثل تكوين الفرد والمجتمع،سواء كان ذلك على صعيد الأسرة،أو الأقارب، أو التعامل مع أفراد المجتمع بشكل عام،وأساسها التعامل مع الخالق ﷻ ولزوم توحيده، واستغرقت مجموع الآيات من قوله تعالى: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾**، إلى قوله تعالى: **﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾** [الإسراء:٢٣-٣٨]، وبشأن التسبيح فقد ورد في السورة الكريمة في خمسة مواضع:

- في قوله تعالى: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾** [الإسراء:١].

---

(١) سنن الترمذي ـ أبواب الصلاة ـ باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ـ ح رقم:٤١٣ـ (٢٦٩/٢)، قال الشيخ الألباني: صحيح .

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ـ باب المجازاة بالدماء في الآخرة ، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس ،ح رقم:١٦٧٨ـ (١٣٠٤/٣)

(٣) انظر: التذكرة ـ للقرطبي (ص:٦٦٣)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ـ للفوزان (ص:٢٨٩)

(٤) فتح الباري ـ لابن حجر (١١/ ٣٩٦)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، للصديقي الشافعي،(٨/ ٦٦٦)

- وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤٣].
- وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء:٤٤].
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء:٩٣].
- وقوله تعالى:﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٨، ١٠٩].

والتسبيح يعني تنزيه الله تبارك وتعالى عن كل سوء، أما الحمد فقد دل عليه قوله تعالى في السورة:﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١].

الأعمال التي تثقل في الميزان

إن كل الأعمال الصالحة تثقل في الميزان،وتجعل الكفة الراجحة للحسنات على السيئات، ولكن هناك من الأشياء ما يجعل كفة الحسنات ثقيلة جدًّا(١)، وهذه الأعمال ذُكرت في السورة، وهي وهي كالآتي:

١- حسن الخلق. قال ﷺ: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»(٢)، فالسورة اشتملت على قواعد السلوك الفردي والجماعي التي تمثل الأخلاق الإسلامية الحسنة.

٢- تسبيح الله وتحميده. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ"(٣)، ٣- الحمد لله. قول النبي ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآَنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»(٤)، وقد ورد الحمد في

---

(١) انظر:رحلة إلى الدار الآخرة ـ جمع وترتيب ـ محمود المصري ـ (ص:٤٧٢)
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته ـ للألباني ـ ح رقم:٥٧٢٦(٢/ ٩٩٨)، وسنن الترمذي ـ أبواب البر والصلة ـ باب ما جاء في حسن الخلق ـ ح رقم:٢٠٠٣ـ (٤/٣٦٣)،قال الشيخ الألباني: صحيح.
(٣) صحيح البخاري ـ كتاب الدعوات ـ باب فضل التسبيح ـ ح رقم:٦٤٠٦ـ (٨/٨٦)
(٤) صحيح مسلم ـ كتاب الطهارة ـ باب فضل الوضوء ـ ح رقم:٢٢٣ـ (١/٢٠٣)

السورة في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١].

ما يُسأل عنه العباد؟

يُسأل العبد عن الإله الذي كان يعبده، وعن إجابته للمرسلين ودعواتهم، ويُسأل عن أعماله، وعما تمتع به من النعيم في الحياة الدنيا، كما يُسأل عن العهود والمواثيق، وعن السمع والبصر والفؤاد[١]، وسيتم بيان ما يُسأل عنه العباد حسب ما ورد في السورة.

الكفر والشرك

إن أعظم ما يُسأل عنه العبد هو الكفر والشرك، فيسأله المولى ﷻ عن الشركاء والأنداد الذي كان يعبدهم من دون الله، كما قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾[الشعراء:٩٢-٩٣]، وقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[القصص:٦٢][٢]. والسورة نهت عن الشرك وبينت عاقبته، كما في قوله تعالى:﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾[الإسراء:٣٩].

٢- العهود والمواثيق

يسأل الله عباده عما عاهدوه عليه، وكل عهد مشروع بين العبد وربه، فإن الله سائله عن الوفاء به، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٤][٣].

٣- السمع والبصر والفؤاد

يسأل الله العبد عن جميع ما يقوله، ولذلك نجد أن الله تعالى حذر العبد من القول بلا علم:﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٦][٤]، قال قتادة: "لا تقل: رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله سائلك عن ذلك كله"[٥].

(١) القيامة الكبرى ـ عمر الأشقر (ص: ٢١٦)
(٢) انظر: القيامة الكبرى ـ عمر الأشقر (ص: ٢١٦)
(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ٢٢١)
(٤) انظر:المصدر السابق (ص: ٢٢١)
(٥) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ (٢٥٧/١٠)

القواعد التي يحاسب العباد على أساسها

لو عذَّب الله جميع خلقه لم يكن ظالمًا لهم، لأنهم عبيده، وملكه، والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء.ولكن الحق تبارك وتعالى يحاكم عباده محاكمة عادلة، لم تشهد البشرية لها مثيلاً من قبل، وقد بيَّن لنا ربنا في كثير من النصوص جملة القواعد التي تقوم عليها المحاكمة والمحاسبة في ذلك اليوم(١)، وسيتم ذكر القواعد التي وردت آيات بشأنها من السورة الكريمة.

١- العدل التام الذي لا يشوبه ظلم

يُوَفِّي الحقُّ ﷻ عباده يوم القيامة أجورهم كاملة غير منقوصة، ولا تظلم نفس شيئًا، وإن كان مثقال حبة من خردل، قال تعالى:﴿**ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾[البقرة:٢٨١]، وقال تعالى:﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾[الإسراء:٧١]. هذه النصوص تبين تمام عدل الله ﷻ، لأنه يُوفِّي كل عبدٍ عمله، وأنه لا يضيع منه ولو مثقال ذرة، ولا مقدار الفتيل ولا النقير، والفتيل هو الخيط الذي يكون في شق النواة، والنقير: النقرة الصغيرة التي تكون في ظهر النواة(٢).

٢ـ لا يؤخذ أحد بجريرة غيره

وهي قاعدة في الحساب والجزاء، تمثل قمة العدل ومنتهاه، فالله تعالى يجازي العباد بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، ولا يُحَمّل الحق تبارك وتعالى أحدًا وزر غيره، كما قال تعالى:﴿**وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾[الأنعام:١٦٤]، وهذا هو العدل الذي لا عدل فوقه، فالمهتدي يقطف ثمار هدايته، والضال ضلاله على نفسه:﴿**مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء:١٥]، وتعتبر هذه القاعدة العظيمة من الشرائع التي اتفقت الرسالات السماوية على تقريرها، قال تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى**﴾ [النجم:٣٦-٤١](٣).

٣- إطلاع العباد على ما قدموه من أعمال

من إعذار الله لخلقه، وعدله في عباده أن يطلعهم على ما قدموه من صالح أعمالهم وطالحها، حتى يحكموا على أنفسهم، فلا يكون لهم بعد ذلك عذر، وإطلاع العباد على ما قدموه

(١) انظر: القيامة الكبرى ـ عمر الأشقر (ص: ٢٠٣)
(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ٢٠٣ـ ٢٠٤)
(٣) انظر: المصدر السابق نفسه، (ص: ٢٠٤)

يكون بإعطائهم صحائف أعمالهم، وقراءتهم لها،قال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء: ١٤](١).

٤ـ إقامة الشهود على الكفرة والمنافقين

أعظم الشهداء في يوم المعاد على العباد هو ربهم وخالقهم وفاطرهم، الذي لا تخفى عليه خافية من أحوالهم، قال تعالى:﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[يونس: ٦١]، وقال تعالى:﴿قُلْ كَفَى بِاللَّه شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:٩٦](٢).

وترى الباحثة ضرورة بيان قاعدة أخرى اتضحت من خلال آيات السورة، وهي:

٥ – الجزاء من جنس العمل

فالله تعالى يجازي العبد من جنس عمله، قال تعالى في بيان هذه القاعدة :﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:٩٧، ٩٨]، فكما أنهم عطلوا هذه الحواس في الدنيا ولم ينتفعوا بها، فسيعطلها الله لهم في الآخرة، مما مر بيانه سابقاً (٣)

(١) انظر: القيامة الكبرى ـ عمر الأشقر، (ص:٢٠٦)
(٢) انظر: المصدر السابق، (ص: ٢١٢)
(٣) انظر : (ص : ٢٣٦) من هذا البحث

المطلب الخامس

مقاصد وآثار الإيمان باليوم الآخر على الفرد والمجتمع من خلال السورة

إن الإيمان باليوم الآخر يمنح العبد الكثير من الفوائد، لاشتماله على العديد من المقاصد التي تهذب السلوك. وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي مجموعة من المقاصد والآثار للإيمان باليوم الآخر، فقال:"إن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح الإيمان بدونها، وكلما ازدادت معرفته بتفاصيله، ازداد إيمانه، ومنها:

- أن العلم بذلك حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب، وإن عمر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر؛ كأحوال القبر وشدته، وأحوال الموقف الهائلة، وصفات النار المفظعة،وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، ونعيم القلب والروح والبدن، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحبوب المطلوب، بكل ما يقدر عليه.
- ومنها: أنه يعرف بذلك فضل الله وعدله، في المجازاة على الأعمال الصالحة، والسيئة، الموجب لكمال حمده والثناء عليه بما هو أهله، وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب، يعرف بذلك فضل الله وعدله وحكمته"(١).

وقال في موضع آخر: "فإن الإيمان بالبعث والجزاء أصل صلاح القلوب، وأصل الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، اللذين هما أساس الخيرات"(٢).

وذكر ابن عثيمين مجموعة من المقاصد، فقال: وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة، منها(٣):

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفًا من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ـ للسعدي (ص: ٣٧)

(٢) المصدر السابق ـ (ص: ٩٦٣)

(٣) شرح ثلاثة الأصول ـ للعثيمين (ص: ١٠٥)

ويمثل المقصد الثالث من آيات السورة قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[الإسراء:١٨ ،١٩].

وهناك مجموعة من المقاصد والآثار الأخرى، منها:

١- إن الإيمان باليوم الآخر يعلم الإنسان أين مصيره بعد موته، ويعلم أنه ملاق جزاء عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وأنه سيقف للمحاسبة، وسيقتص له الله تعالى ممن ظلمه، وتؤخذ حقوق العباد منه لمن ظلمهم أو اعتدى عليهم، فمن يفلت من العقاب في الدنيا لا يمكن أن يفلت منه في الآخرة[١]، ويمثل هذا المقصد من السورة قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٣،١٤].

٢- الإيمان بالله وباليوم الآخر يحقق للبشرية الأمن والسلام والهدوء والسكينة، في زمن عزَّ فيه الأمن، ولم تتوقف فيه الحروب، وما ذلك إلا لأن الإيمان بالله وباليوم الآخر يلزم الإنسان أن يكف شره عن غيره في سره وفي علنه، كما أن الإيمان باليوم الآخر يردع الإنسان عن ظلم الآخرين وانتهاك حقوقهم، فإذا آمن الناس باليوم الآخر سلموا من ظلم بعضهم لبعض وحفظت حقوقهم[٢].

٣- الإيمان باليوم الآخر يجعل الإنسان ينظر إلى الدار الدنيا على أنها مرحلة مؤقتة من مراحل الحياة، وليست هي كل الحياة، فهناك حياة الخلود التي لا يعقبها موت[٣]، فلا يهمه إن كان أحد من الناس أحسن حالاً منه، ولا يكترث لغنى أو لفقر؛ فالتفاضل بين الناس سنة من سنن الله تعالى في هذا الكون، ويمثله قوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[الإسراء: ٢١].

---

(١) انظر: الإسلام أصوله ومبادئه ـ محمد بن عبد الله بن صالح السحيم ـ (٢/ ٨٨)

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٨٨)

(٣) انظر:المصدر السابق نفسه (٢/ ٨٩)

المبحث الثاني
شبهات المنكرين للبعث والرد عليهم
من خلال السورة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أصناف المنكرين للبعث .

المطلب الثاني : منهج القرآن الكريم في الرد على منكري البعث من خلال السورة .

المطلب الأول
المنكرون للبعث

أولاً:المنكرون للبعث بشكل عام

لقد أجمع أهل الملل والشرائع السماوية الصحيحة على أن البعث حق لا شك فيه ولاريب، والسبب في ذلك أن البعث أمر جائز الوقوع عقلاً، والبعث من الأمور المقضية المقررة بقضاء الله وقدره، كما أثبت الحياة الآخرة نخبة من المفكرين، من غير أهل الملل والشرائع السماوية، على إثر ما توصلوا إليه بالبحث والنظر العقلي الى معرفة وجود الخالق العظيم، بالإضافة إلى معرفة صفات الله تعالى العظيمة، كالعلم والإرادة والقدرة والحكمة والعدل، كان ذلك نتيجة لما رأوا في هذه الحياة الدنيا من ظالمين ومظلومين، فشاهدوا أن كثيرًا منهم يدركه الموت قبل أن يناله عدل الله الخالق، وقاموا بالتوصل بالدليل العقلي أن الخالق لابد أن يكون عادلاً، وتوصلوا إلى أنه لابد من وجود حياة أخرى يتم فيها عدل الله غير هذه الحياة، ولكن رافق تصورهم لحقيقة الحياة الآخرة مجموعة من الأوهام، والسبب في ذلك جريهم في هذا الموضوع وراء محض الخيال، دون أن يتلقوا شيئًا من علم الغيب عن طريق الوحي الإلهي(١)، وقد كذَّب كثير من الناس في العصور القديمة والحديثة بالبعث والنشور، وبعض الذين قالوا بإثباته صَوَّروه على غير الصورة التي أخبرت بها الرسل.

وقد تعرض شيخ الإسلام ابن تيمية لبيان أنواع المكذبين بالبعث والنشور من اليهود والنصارى والصابئة والفلاسفة ومنافقي هذه الأمة، فقال: "الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُنْكِرُونَ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَالنِّكَاحَ فِي الْجَنَّةِ، يَزْعُمُونَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إنَّمَا يَتَمَتَّعُونَ بِالْأَصْوَاتِ الْمُطْرِبَةِ وَالْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ مَعَ نَعِيمِ الْأَرْوَاحِ، وَهُمْ يُقِرُّونَ مَعَ ذَلِكَ بِحَشْرِ الْأَجْسَادِ مَعَ الْأَرْوَاحِ وَنَعِيمِهَا وَعَذَابِهَا. وَأَمَّا طَوَائِفُ مِنْ الْكُفَّار وَغَيْرِهِمْ مِنْ الصَّابِئَةِ وَالْفَلَاسِفَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ فَيُقِرُّونَ بِحَشْرِ الْأَرْوَاحِ فَقَطْ، وَأَنَّ النَّعِيمَ وَالْعَذَابَ لِلْأَرْوَاحِ فَقَطْ. وَطَوَائِفُ مِنْ الْكُفَّار وَالْمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ يُنْكِرُونَ الْمَعَادَ بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَا يُقِرُّونَ لَا بِمَعَادِ الْأَرْوَاحِ، وَلَا الْأَجْسَادِ، وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ أَمْرَ مَعَادِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ، وَرَدَّ عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْمُنْكِرِينَ لِشَيْءِ مِنْ ذَلِكَ بَيَانًا فِي غَايَةِ التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ لَا يُقِرُّونَ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الْمَشْهُورَةِ، فَإِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيَقُولُونَ: هَذِهِ أَمْثَالٌ ضُرِبَتْ لِنَفْهَمَ الْمَعَادَ الرُّوحَانِيَّ، وَهَؤُلَاءِ مِثْلُ الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ الَّذِينَ قَوْلُهُمْ مُؤَلَّفٌ مِنْ قَوْلِ الْمَجُوسِ وَالصَّابِئَةِ، وَمِثْلُ الْمُتَفَلْسِفَةِ الصَّابِئَةِ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى الْإِسْلَامِ وَطَائِفَةٍ مِمَّنْ ضَاهُوهُمْ: مِنْ كَاتِبٍ أَوْ مُتَطَبِّبٍ أَوْ مُتَكَلِّمٍ أَوْ مُتَصَوِّفٍ، كَأَصْحَابِ "رَسَائِلِ إخْوَانِ الصَّفَا" وَغَيْرِهِمْ، أَوْ مُنَافِقٌ، وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ـ للميداني، (ص:٦٦٥ـ ٦٦٦)

كُفَّارٌ يَجِبُ قَتْلُهُمْ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ بَيَانًا شَافِيًا قَاطِعًا لِلْعُذْرِ "[١]، وزعم الفلاسفة وادعوا أن الأنبياء قبل سيدنا محمد ﷺ لم يخبروا بالآخرة، وهذا محض الكذب، فالقرآن الكريم ذكر معرفة الأنبياء جميعًا بالآخرة، وأولهم آدم عليه السلام[٢]. قال الإمام ابن تيمية –رحمه الله– مكذبًا لهم: "وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ الرُّسُلَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ أَنْذَرُوا بِالْقِيَامَةِ الْكُبْرَى تَكْذِيبًا لِمَنْ نَفَى ذَلِكَ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ"[٣].

وبناء على ما سبق؛ يمكن تصنيف المكذبين بالبعث والنشور ثلاثة أصناف:

الأول: الملاحدة الذين أنكروا وجود الخالق، ومن هؤلاء كثير من الفلاسفة الدهرية الطبائعية، ومنهم الشيوعيون في عصرنا،وهم ينكرون صدور الخلق عن الخالق، فهم منكرون للنشأة الأولى والثانية، ومنكرون لوجود الخالق ﷻ، وهؤلاء لا يحسن مناقشتهم في أمر المعاد، بل يناقشون في وجود الخالق ووحدانيته أولاً، ثم يأتي إثبات المعاد بعد ذلك، لأن الإيمان بالمعاد فرع عن الإيمان بالله[٤].

الثاني: الذين يعترفون بوجود الخالق، ولكنهم يكذبون بالبعث والنشور، ومن هؤلاء العرب الذين قال الله فيهم: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [لقمان:٢٥]، وهم القائلون فيما حكاه الله عنهم: ﴿**وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾ [الإسراء:٤٩]، وهؤلاء يدَّعون أنهم يؤمنون بالله، ولكنهم يَدَّعون أن قدرة الله عاجزة عن إحيائهم بعد إماتتهم، وهؤلاء هم الذين ضرب الله لهم الأمثال، وساق لهم الحجج والبراهين لبيان قدرته على البعث والنشور، وأنه لا يعجزه شيء، ومن هؤلاء طائفة من اليهود يُسمون بالصدوقيين، يزعمون أنهم لا يؤمنون إلا بتوراة موسى، وهم يُكذبون بالبعث والنشور والجنة والنار[٥].

والصدوقيون فرقة من فرق اليهود، وتسميتهم بهذا الاسم هي تسمية من الأضداد، لأنهم مشهورون بالإنكار[٦]، فهم لايعترفون إلا بالعهد القديم، ويرفضون الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وهم أيضًا لا يؤمنون باليوم الآخر، ويعتقدون أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان في حياتهم، وتذكر أناجيل المسيحيين أن الصدوقيين قد حاولوا أن

(١) مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية (٤/ ٣١٣)
(٢) انظر: أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام أبو جعفر الطحاوي ـ (ص:١٦٢)
(٣) مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية (٤/ ٢٦٦)
(٤) انظر:القيامة الكبرى ـ عمر الأشقر(ص: ٧١)
(٥) انظر:المصدر السابق (ص: ٧١)
(٦) انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،(٤٩٩/١)

يستدرجوا المسيح عليه السلام حتى يوافقهم على إنكار البعث واليوم الآخر، ويوافق على الانضمام إليهم في معتقدهم الفاسد، ولكنهم لم ينجحوا في تنفيذ هذه المهمة، وأخفقوا في ذلك(١).

الثالث: الذين يؤمنون بالمعاد والبعث بصفة مخالفة لما جاءت به الشرائع السماوية(٢).

ثانيًا: المنكرون للبعث من الكفار العرب من خلال سورة الإسراء

وهؤلاء كانوا يقرون بوجود الله، لكنهم لم يؤمنوا بالبعث، وتمثل إنكارهم للبعث في السورة في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾ [الإسراء:٤٩]، وقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾ [الإسراء:٩٨]، وسيتم الحديث عن شبهتهم والردّ عليها:

الشبهة الأولى: استبعاد عودة الحياة إلى الإنسان بعد تحول جسده إلى التراب

فالإنسان بعد أن يموت ويقبر وتمضي عليه الشهور والسنين تفنى هيئته وشكله وصورته، ويتحلل جسده إلى مواد كثيرة(٣)، وترجع إلى أصلها الذي تكونت منه من عناصر الأرض، وتبدأ البكتيريا(٤) بتحليل هذه العناصر لتعود إلى أصلها الترابي(٥)، وهذه الشبهة واهية متهافتة من حيث الاستدلال العقلي المنطقي، فضلاً عن صدورها عمن لا يؤمن بالله عز وجل وبقدرته وعلمه،وقد وضح هذه القضية الإمام ابن تيمية -رحمه الله- من خلال قوله تعالى:﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾[يس:٧٨]، فقال:"فإن قول الله تعالى: {من يحيي العظام وهي رميم} قياس، حذفت إحدى مقدمتيه لظهورها، والأخرى سالبة كلية قرن معها دليلها، وهو المثل المضروب الذي ذكره بقوله:﴿**وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم**﴾، وهذا استفهام إنكار متضمن للنفي، أي لا أحد يحيي العظام وهي رميم، فإن كونها رميمًا يمنع عنده إحياءها لمصيرها إلى حال اليبس والبرودة المنافية للحياة التي مبناها على الحرارة والرطوبة، ولتفرق أجزائها

---

(١) انظر:اليهودية واليهود ـ علي عبد الواحد وافي ـ (ص:٩٤)

(٢) انظر:القيامة الكبرى ـ عمر الأشقر(ص: ٧١)

(٣) ما تم اكتشافه وظهر لأهل العلم بواسطة التحليل وهي:الأوكسجين والأزوت والبوتاسيوم والحديد والزنك والسليكون والصوديوم والفسفور والفلورايد والكوبالت والكبريت والكربون والكالسيوم واللاكور والمغنيسيوم والمنجنيز والنحاس واليود والماء. انظر مقال بعنوان الإيمان بالبعث بعد الفناء- أحمد محيي الدين العجوز ـ مجلة الوعي الإسلامي- (ص:٨٥)

(٤) البكتيريا:هي كائنات وحيدة الخلية صغيرة جدًا لا تتجاوز حجم رأس الدبوس، وهي لا ترى بالعين المجردة، ولكن يمكن رؤيتها من خلال المجهر المركب، وتعيش البكتيريا في كل مكان تقريبًا على سطح الأرض. انظر :http://www.algazalischool.com/vb/showthread.php بتاريخ ٢٠١٥/٤/١٤م

(٥) انظر: مقال بعنوان الإيمان بالبعث بعد الفناء، أحمد محيي الدين العجوز، مجلة الوعي الإسلامي، (ص:٨٦)

واختلاطها بغيرها، ولنحو ذلك من الشبهات،والتقدير: هذه العظام رميم، ولا أحد يحيي العظام وهي رميم، فلا أحد يحييها،ولكن هذه السالبة كاذبة، ومضمونها امتناع الإحياء، فبين سبحانه إمكانه من وجوه بيان إمكان ما هو أبعد من ذلك وقدرته عليه فقال:﴿ **يحييها الذي أنشأها أول مرة**﴾، وقد أنشأها من التراب، ثم قال:﴿**وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[يس:٧٩]، ليبين علمه بما تفرق من الأجزاء أو استحال"[١].

الشبهة الثانية: استحالة تجميع ما تفرق من عناصر الجسد

ولقد كان اعتماد المنكرين للبعث على أنه يستحيل وجود حياة بعد موت،وتفرق للأجزاء وانعدام لها، بل وتحولها إلى شيء آخر، ومن الذي يعيد الحياة لتلك العظام البالية التي أصبحت ترابًا أو صارت ذرات في الهواء، أو انتهى أمرها إلى بطون السباع أو بطون السمك والحيتان، وعلى أي وضع يكون حساب وعقاب؟ فنزل القرآن الكريم ينادى بالبعث، ويسوق الأدلة كالصواعق أو أشد"[٢].

"وقد أورد الرازي في تفسيره بيان هذه الشبهة والرد عليها فقال: فَهِيَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ جَفَّتْ أَعْضَاؤُهُ وَتَنَاثَرَتْ وَتَفَرَّقَتْ فِي حَوَالَيِ الْعَالَمِ، فَاخْتَلَطَ بِتِلْكَ الْأَجْزَاءِ سَائِرُ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ، أَمَّا الْأَجْزَاءُ الْمَائِيَّةُ فِي الْبَدَنِ فَتَخْتَلِطُ بِمِيَاهِ الْعَالَمِ، وَأَمَّا الْأَجْزَاءُ التُّرَابِيَّةُ فَتَخْتَلِطُ بِتُرَابِ الْعَالَمِ، وَأَمَّا الْأَجْزَاءُ الْهَوَائِيَّةُ فَتَخْتَلِطُ بِهَوَاءِ الْعَالَمِ، وَأَمَّا الْأَجْزَاءُ النَّارِيَّةُ فَتَخْتَلِطُ بِنَارِ الْعَالَمِ، وَإِذَا صَارَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يُعْقَلُ اجْتِمَاعُهَا بِأَعْيَانِهَا مَرَّةً أُخْرَى؟ وَكَيْفَ يُعْقَلُ عَوْدُ الْحَيَاةِ إِلَيْهَا بِأَعْيَانِهَا مَرَّةً أُخْرَى؟ فَهَذَا هُوَ تَقْرِيرُ الشُّبْهَةِ.

وَالْجَوَابُ عَنْهَا: أَنَّ هَذَا الْإِشْكَالَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْقَدْحِ فِي كَمَالِ عِلْمِ اللَّهِ وَفِي كَمَالِ قُدْرَتِهِ، أَمَّا إِذَا سَلَّمْنَا كَوْنَهُ تَعَالَى عَالِمًا بِجَمِيعِ الْجُزْئِيَّاتِ؛ فَحِينَئِذٍ هَذِهِ الْأَجْزَاءُ وَإِنِ اخْتَلَطَتْ بِأَجْزَاءِ الْعَالَمِ إِلَّا أَنَّهَا مُتَمَايِزَةٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمَّا سَلَّمْنَا كَوْنَهُ تَعَالَى قَادِرًا عَلَى كُلِّ الْمُمْكِنَاتِ كَانَ قَادِرًا عَلَى إِعَادَةِ التَّأْلِيفِ وَالتَّرْكِيبِ وَالْحَيَاةِ وَالْعَقْلِ إِلَى تِلْكَ الْأَجْزَاءِ بِأَعْيَانِهَا، فَثَبَتَ أَنَّا مَتَى سَلَّمْنَا كَمَالَ عِلْمِ اللَّهِ وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ زَالَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ بِالْكُلِّيَّةِ"[٣].

ودحض العلم أيضًا هذه الشبهة من خلال التجارب والتحاليل التي قام بها العلماء،فقد ثبت في علم الحياة أن أي فرد من إنسان أو حيوان مستقل في خلاياه عن غيره من أفراد جنسه، أو من أي جنس آخر، وقد ثبت لهم ذلك من خلال عملية التحليل لأعضاء بعض الحيوانات، حيث قاموا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ـ ابن تيمية(١/ ٣٣)
(٢) انظر:التفسير الواضح ـ محمد الحجازي(٢/ ٥٦٦)
(٣) مفاتيح الغيب ـ للرازي (٢٠/ ٣٥٢)

بجمع أنسجة لحمية من كبد وقلب ضفدعة، ومن طحال أرنب، وكذلك من كلية كلب، وقطعوها أجزاء دقيقة، ومزجوها ببعضها البعض، ثم قاموا ببسطها على لوح مختبر طبي، وقاموا بملاحظتها عن طريق الميكرسكوب، فشاهدوا خلايا كل نوع تزحف ببطء نحو أخواتها من نفس النوع بعامل الحياة الجزئية التي تكمن فيها،وهذا يذكرنا بقصة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[البقرة:٢٦٠]، فسبحان الله العظيم القائل: ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾[القيامة:٣،٤][(١)].

وفي المطلب التالي سيتم الرد بالتفصيل على منكري البعث من خلال استعراض منهج القرآن في إثبات البعث والرد على المنكرين له.

(١) انظر: مقال بعنوان الايمان بالبعث بعد الفناء، أحمد محي الدين العجوز، مجلة الوعي الإسلامي، (ص :٨٧).

المطلب الثاني

منهج القرآن الكريم في الرد على منكري البعث من خلال سورة الإسراء

يعتبر الإيمان بالمعاد الجسماني والبعث من أركان الإيمان التي دل عليها القرآن والسنة، إضافة إلى العقل والفطرة،ولقد استدل القرآن الكريم على إثبات عقيدة البعث بعد الموت بأدلة تجمع بين ما تقرره الفطرة ويصدقه النقل ويقبله العقل، ولقد اشتملت هذه الأدلة على عدة مسالك، هي في مجموعها غاية في الوضوح والجلاء للمسترشد المهتدي إلى الحق، وفي هذا المطلب سيتم عرض هذه المسالك كما وردت من خلال سورة الإسراء.

المسلك الأول: التواتر(١)

التواتر كما قال السيد الجرجاني: "هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب"(٢)، لاسيما إذا كان هذا التواتر ثابتًا على ألسنة المعصومين الأنبياء والرسل، فإنه لا سبيل إلى إنكاره وتكذيبه البتة، فإن من الأخبار ما لا يمكن ردها أو رفضها لثبوتها ثبوتًا قطعيًا، ومنها الأخبار الثابتة ثبوتًا قطعيًا في أمر المعاد والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال(٣).ولذلك يكفر جاحد الأمر المتواتر من حيث الرواية(٤).

وقد أخبر الله ﷻ عن جميع الأشقياء أن الرسل أنذرتهم باليوم الآخر، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[الزُّمر:٧١]، فالكفار جميعًا عندما يُسألون عند ورودهم النار يعترفون بأن رسلهم أنذرتهم لقاء اليوم الآخر، قال تعالى في سورة الإسراء:﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]. يقول الإمام الطبري في تفسيره للآية:"يقول تعالى ذكره: من استقام على طريق الحقّ فاتبعه، وذلك دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدًا ﷺ،﴿فإِنَّمَا يهتَدِي لِنَفسِهِ﴾ يقول: فليس ينفع بلزومه الاستقامة، وإيمانه بالله ورسوله غير نفسه،﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ يقول: ومن جار عن قصد السبيل، فأخذ

---

(١) انظر: منهج القرآن في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، بحث منشور على موقع جامعة أم القرى، https://uqu.edu.sa/page ،سنة ٢٠١٥م، تاريخ ويوم الاطلاع:الجمعة:٢٠١٥/٥/١م.

(٢) التعريفات،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ـ (ص:٧٠)

(٣) انظر:منهج القرآن في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، مصدر سابق.

(٤) انظر:الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ـ أبو البقاء الحنفي، (ص:٣٠٩)

على غير هدى، وكفر بالله وبمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله من الحقّ، فليس يضرّ بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه، لأنه يوجب لها بذلك غضب الله وأليم عذابه"[١].

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير قوله تعالى:﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، "أي: لكن مقتضى العدل والحكمة والرحمة أننا لا نعذب أحدًا في الدنيا أو الآخرة على فعل شيء أو تركه إلا بعد إنذار، ولا نعاقب الناس إلا بعد إعذار وبعث الرسل إليهم، لإقامة الحجة عليهم بالآيات المبينة للأحكام والحلال والحرام والثواب والعقاب، كما قال تعالى:﴿كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قالُوا: بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [الملك:٨-٩]، وقال ﷻ: ﴿وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا قالُوا بَلى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ﴾ [الزمر:٧١]، ونحو ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدًا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه، ودعوته إلى الخير، وتحذيره من الشرّ"[٢].

إن كون جميع الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ أخبروا بالبعث والنشور بعد الموت، وكون أممهم على مختلف أفرادها تلقت هذا النبأ العظيم من رسلها، سواء آمنوا أم لم يؤمنوا،بالإضافة إلى هذا التواتر القطعي الذي يعطي علمًا يقينيًا بوجوب وجود البعث بعد الموت، ولم يترك مجالًا للريب أو الشك في تحقيق وقوعه[٣].

المسلك الثاني: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى

إن قضية البعث بعد الموت كانت مثار جدل للمشركين مع النبي ﷺ، فقالوا وهم يتناجون لما سمعوا القرآن وسمعوا أمر البعث،فاستبعدوا كيف يمكن للإنسان وهو ضعيف المادة إذا مات ودقت عظامه وبليت وصارت ترابًا واختلطت بعناصر أخرى، وتناثر رفاته في الأرض، كيف يُعْقل بعد ذلك اجتماعها بأعيانها، ثم عود الحياة فيها بأعيانها مرة أخرى،قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ *أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾[النازعات:٩، ١٠][٤].

(١) جامع البيان ـ للطبري ـ (٤٠٢/١٧)
(٢) التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ٣٦)
(٣) انظر: منهج القرآن في إثبات عقيدة البعث بعد الموت: مصدر سابق
(٤) انظر: المصدر السابق.

قال الرازي:"كما أن الكفار وَصَفُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِكَوْنِهِ مَسْحُورًا فَاسِدَ الْعَقْلِ، وذَكَرُوا مِنْ جُمْلَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ عَقْلِهِ أَنَّهُ يدعي أن الإنسان بعد ما يَصِيرُ عِظَامًا وَرُفَاتًا بعد الموت فَإِنَّهُ يَعُودُ حَيًّا عَاقِلًا كَمَا كَانَ، فَذَكَرُوا هَذَا الْكَلَامَ رِوَايَةً عَنْهُ لِتَقْرِيرِ كَوْنِهِ مُخْتَلَّ الْعَقْلِ"(١).

وقد أخبر الله تعالى عنهم كمال الاستبعادِ والاستنكارِ للبعث، كما في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[الإسراء:٤٩-٥١]، فقوله تعالى:﴿أَإِذا كُنَّا عِظامًا﴾ استفهام إنكاري، وقوله تعالى:﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ تكرار للهمزة لتأكيد الإنكار والجحود(٢)، وكان هذا غاية الإنكار منهم، ففيه من الدلالة على غلوّهم في الكفر أقصى غاية، وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه(٣).

فجاءهم الجواب من الله ردًّا على هذا التعجب على جهة التعجيز لما استبعدوه: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾[الإسراء:٥٠-٥١]. قال الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه الآية:"أي: قُلْ ردًّا عليهم: إنْ كُنتم تستبعدون البعث وتَسْتصعبونه مع أنه بَعْثٌ للعظام والرُّفات، وقد كانت لها حياة في فترة من الفترات، ولها إلْف بالحياة، فمن السهل أنْ نعيدَ إليها الحياة، بل وأعظم من ذلك، ففي قدرة الخالق سبحانه أنْ يُعيدكم حتى وإنْ كنتم من حجارة أو من حديد، وهي المادة التي ليس بها حياة في نظرهم،وكأن الحق سبحانه يتحدَّاهم بأبعد الأشياء عن الحياة، ويتدرج بهم من الحجارة إلى الحديد؛ لأن الحديد أشدّ من الحجارة وهو يقطعها، فلو كنتم حجارة لأعدْناكم حجارة، ولو كنتم حديدًا لأعدْناكم حديدًا"(٤).

ذكر الفخر الرازي:"إنّ المنافاة بين الحجرية والحديدية وبين قبول الحياة أشد من المنافاة بين العظمية وبين قبول الحياة، فالعظم قد كان جزءًا من بدن الحي، أما الحجارة والحديد فما كانا البتة موصوفين بالحياة، فلو صارت أبدان الناس حجارة أو حديدًا بعد الموت، فإن الله يعيد الحياة إليها ويجعلها حيًّا عاقلًا كما كان(٥).

وقال شارح الطحاوية: "فتأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل، فإنهم قالوا أولاً:﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[الإسراء:٤٩]. فقيل لهم في جواب هذا

(١) مفاتيح الغيب ـ للرازي، (٢٠/ ٣٥٢)
(٢) انظر: التفسير المنير- للزحيلي (١٥/ ٩٢)
(٣) انظر:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبو السعود (٥/ ١٧٧)
(٤) تفسير الشعراوي ـ متولي الشعراوي(١٤/ ٨٦٠٠)
(٥) مفاتيح الغيب ـ للفخر الرازي (٢٠/ ٣٥٢)

السؤال: إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم؛ فهلا كنتم خلقًا لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم من ذلك؟ فإن قلتم: كنا خلقًا على هذه الصفة التي لا تقبل البقاء، فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقًا جديدًا؟ وللحجة تقدير آخر وهو: لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلق أكيد منهما، فإنه قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم، وينقلها من حال إلى حال، ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالإفناء والإحالة، فما الذي يعجزه فيما دونها؟ ثم أخبر أنهم يسألون آخر بقولهم: من يعيدنا إذا استحالت جسومنا وفنيت؟ فأجابهم بقوله: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الإسراء:٥١]، فلما أخذتهم الحجة، ولزمهم حكمها، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به بعلل المنقطع، وهو قولهم: ﴿مَتَى هُوَ﴾؟ فأجيبوا بقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[١].

المسلك الثالث: الاستدلال بخلق السموات والأرض وما فيهما

فإن القادر على خلق الأعظم هو على ما دونه أقدر، وخلق الأكوان من مثل السماوات والأرض أعظم من خلق الإنسان، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ...﴾ [الإسراء:٩٩][٢].

قال الإمام الطبري في تفسيره للآية:يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: "أولم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ بعيون قلوبهم، فيعلمون أن الله الذي خلق السماوات والأرض، فابتدعها من غير شيء، وأقامها بقُدرته، قادر بتلك القُدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم، وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم، وقبل ذلك، وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه إعادتهم خلقًا جديدًا، بعد أن يصيروا عظامًا ورُفاتًا"[٣]، ونظيره قول الله تعالى:﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس:٨١]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:"يقول تعالى ذكره منبهًا هذا الكافر الذي قال:﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ على خطأ قوله، وعظيم جهله،﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ السبع ﴿وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ﴾ مثلكم، فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السَّمَواتِ والأرض. يقول: فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم، فكيف

(١) شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبي العز الحنفي (٢/٥٩٣ـ ٥٩٤)

(٢) انظر: أركان الإيمان ـ للصلابي ـ (ص: ٨٨)

(٣) جامع البيان ـ للطبري (١٧/ ٥٦٢)

يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمَّت وبلِيَت؟ وقوله:﴿ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾، يقول: بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء، الفعَّال لما يريد، العليم بكل ما خلق ويخلق، لا يخفى عليه خافية"(١).

قال الإمام الشوكاني:"قَدْ عَلِمُوا بِدَلِيلِ الْعَقْلِ أَنَّ من قدر على خلق السموات وَالْأَرْضِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ أَمْثَالِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَشَدَّ خَلْقًا مِنْهُنَّ، كَمَا قَالَ: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ...﴾" [النازعات:٢٧](٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله:"فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغ، وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك"(٣).

المسلك الرابع: الاستدلال بتعاقب الليل والنهار

يذكر الله تعالى في هذا الاستدلال أمرًا من أهم الأمور التي يحتاج إليها البشر في حياتهم، ويشاهدونه على الدوام، ويأخذون العبرة منه في دقة نظام الله في تصريفه وتسييره، لا سيما في أمر معاشهم وضروريات حياتهم، ليكون ذلك شاهدًا يحملهم على الإيمان بالبعث، ثم ساق الأدلة على ذلك كله بقدرته الخالصة على تعاقب الحدثين الليل والنهار وما وراءهما من الأسرار، وقدم بتذكيرهم بالبعث ليلفت أنظار العباد أولًا إلى الاعتبار من استدامة الليل، لأن النوم فيه شبيه الموت، ثم لفت أنظار العباد إلى الاعتبار باستدامة النهار الذي هو شبيه بالحياة، فقال سبحانه:﴿وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص:٧٠-٧٢](٤).

وترى الباحثة أن نظير الآية السابقة هو قوله تعالى في سورة الإسراء:﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾[الإسراء:١٢]. قال الدكتور الزحيلي في تفسيره للآية:يقول تعالى ذكره: "وجعلنا الليل والنهار علامتين دالتين على قدرتنا وبديع صنعنا، وفيتعاقبهما واختلافهما

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري(٢٠/ ٥٥٦)
(٢) فتح القدير ـ للشوكاني (٣/ ٣١٠)
(٣) درء تعارض العقل والنقل ـ ابن تيمية (١/ ٣٢)
(٤) انظر:منهج القرآن في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، مصدر سابق.

تحقيق لمصالح الإنسان، ففي الليل سكنه وهدوؤه وراحته، وفي النهار حركته وشغله وتقلبه في أنحاء الدنيا للمعيشة والكسب، والصناعة والعمل،وجعلنا ظرف كل من الليل والنهار مناسبًا للهدف المنشود والغاية المقصودة، ففي الليل ظلام دامس ومحو للضوء يتلاءم مع راحة النفس والعين والسمع، وفي النهار ضوء ونور يناسب الحركة والعمل وإبصار الأشياء،فهذا امتنان من الله تعالى على خلقه بجعل الليل ممحو الضوء مطموسًا مظلمًا لا يستبان فيه شيء، وجعل النهار مبصرًا، أي تبصر فيه الأشياء وتستبان،﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: جعلنا تعاقب الليل والنهار لتتمكنوا كيف تتصرفون في أعمالكم، وتطلبون الرزق من الله ربكم الذي يربيكم ويمدكم من فضله وإحسانه شيئًا فشيئًا، وعلى وفق الزمان الدائر بكم صيفًا وشتاءً،﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ﴾، أي: ولتعرفوا بتعاقب الليل والنهار عدد الأيام والشهور والأعوام، وتعلموا بحساب الأشهر والليالي والأيام أوقات مصالحكم من الدورات الزراعية، وآجال الديون، والإجارات والمعاملات، وأزمان العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة، فلو لم يتغاير الليل والنهار، لما تمكن الإنسان من الراحة التامة ليلاً واكتساب المعايش والأرزاق نهارًا، ولو كان الزمان كله نسقًا واحدًا لما عرف الحساب على نحو صحيح يسير"[(١)].

ترى الباحثة أن العبادات والأعمال وكل ما يقوم الإنسان بفعله في الليل والنهار ذُكرت في تفسير الآية الكريمة، وهذا من لوازم التكليف الذي تبنى عليه قاعدة الثواب والعقاب في الآخرة، لذلك نجد أن الآية الكريمة التي تتحدث عن آية الليل والنهار في سورة الإسراء جاءت بين مجموعة من الآيات التي تتحدث عن اليوم الآخر وتفاصيله، كقوله تعالى:﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الإسراء:١٠]، وقوله تعالى:﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٣-١٥]؛ مما يؤكد دلالة الآية على البعث، وأنه أمر واقع لا محالة.

المسلك الخامس: قياس المحاسبة

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء:٧٠]. لم يكن الله ليخلق الإنسان والحيوان من مادة واحدة وبكيفية واحدة، ثم يفترق الطريق بالإنسان دون حكمة أو حكم، وما كان الله ليذر الإنسان على ما هو عليه دون محاسبة حتى يميز المؤمن من المنكر والخبيث من الطيب[(٢)].

---

(١) التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/٣٢-٣٣)

(٢) انظر: منهج القرآن في إثبات عقيدة البعث بعد الموت: مصدر سابق.

قال الدكتور الزحيلي في تفسيره للآية:"ولقد كرمنا بني آدم، أي: جعلنا لهم كرمًا، أي: شرفًا وفضلًا، بخلقهم على أحسن صورة وهيئة، ومنحناهم السمع والبصر والفؤاد للفقه والفهم، وجمّلناهم وميزناهم بالعقل الذي يدركون به حقائق الأشياء"، ثم قال:"وفضلناهم على كثير ممن خلقنا وهو ما سوى الملائكة، أو فضلناهم على أصناف المخلوقات وسائر أنواع الحيوانات بالغلبة والاستيلاء والحفظ والتمييز والثواب والجزاء"(١)، ثم أتبعها الله ﷻ بقوله:﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[الإسراء:٧١-٧٢]، وفيها بيان واضح على أمر البعث والنشور والحساب ووزن الأعمال،والمحاكمة العادلة التي لا يظلم فيها أحد.

المسلك السادس: مسلك التقصي والاستقراء

التقصي لغة: من:"قَصَّ آثارَهم يَقُصُّها قَصًّا وقَصَصًا، وتَقَصّصَها: تَتَبَّعَها بِاللَّيْلِ، وَقِيلَ: هُوَ تَتَبُّعُ الأَثر أَيَّ وَقْتَ كَانَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَارْتَدَّا عَلَى آثارِهِما قَصَصًا**﴾(٢)، والاستقراء: "هو تتبع الجزئيات للحصول على حكم كلي (قاعدة عامة)"(٣).

فإن لم يستطع المرء أن يقتنع عن طريق النقل، أو عجز عقله عن الوصول إلى الغاية المنشودة، فطريق التتبع والاستقراء فسيح مفتوح مبسط، وهو من الوسائل الموصلة إلى الواقع والحقائق التي لا محيد عنها، ولذلك نجد أن الله تعالى وجه المعرضين عن آياته إلى الاستبصار والاستنتاج، والعاقل من يتبصر ثم يستنتج العبر والعظات من أسباب الهلاك والدمار على مختلف أشكاله وألوانه، وأن وراء هذا يكمن سر في هذا الكون(٤).

قال تعالى:﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[الروم:٩]. يقول سيد قطب: "هي دعوة إلى التأمل في مصائر الغابرين، وهم ناس من الناس، وخلق من خلق الله، تكشف مصائرهم الماضية عن مصائر خلفائهم الآتية، فسنة الله هي سنة الله في الجميع. وسنة الله حق ثابت يقوم عليه هذا الوجود، بلا محاباة لجيل من الناس، ولا هوى يتقلب فتتقلب معه العواقب"(٥)، ويقول:"والقرآن الكريم يدعو المكذبين المستهزئين بآيات الله أن يسيروا في الأرض، فلا ينعزلوا في مكانهم كالقوقعة، وأن يتدبروا عاقبة أولئك

(١) التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/١٢٤)
(٢) لسان العرب ـ ابن منظور (٧/ ٧٥)
(٣) http://www.elibrary٤arab.com/ebooks يوم الأحد:٢٠١٥/٥/٣م.
(٤) انظر: منهج القرآن في إثبات عقيدة البعث بعد الموت: مصدر سابق.
(٥) في ظلال القرآن ـ سيد قطب (٥/ ٢٧٦٠)

المكذبين المستهزئين، ويتوقعوا مثلها، وأن يدركوا أن سنة الله واحدة، وأنها لا تحابي أحدًا، وأن يوسعوا آفاق تفكيرهم فيدركوا وحدة البشرية، ووحدة الدعوة، ووحدة العاقبة في أجيال البشرية جميعًا"(١)، إن كون الهلاك والعقاب وقع لأمم كثيرة وعلى أحوال وأوجه متغايرة؛ فذلك يدل على نفي القول بالطبيعة، وبالتالي يدل على وجود أمر هام خلف المعاقبة الإلهية الواسعة، وأن الهلاك سببه المخالفة الإلهية الناتجة عن إنكار البعث الناتج عن الكفر بالله تعالى، وأن هلاك الأمم ودمارها على أحوال وأوجه متغايرة ليدفع المرء إلى رفع رأسه لمعرفة أسباب ذلك.

وقد تنوعت أساليب العقاب للأقوام السابقة. قال تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[العنكبوت:٣٩-٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ* وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[الحاقَّة:٥-٦]، وقال عن قوم لوط ﷺ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾[هود:٨٢](٢)، وقال تعالى في سورة الإسراء:﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[الإسراء:١٧]، وقال تعالى:﴿وإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨].

وبعد؛ فإن القرآن الكريم عُني بهذه القضية، وبإقامة الأدلة عليها بما لا يدع مجالاً لشك ولا ريب ألبتة، ولو مع أنصاف العقول، فضلاً عن كاملي العقول، فهي أدلة تقنع القلب والعقل، وتلائم الفطرة.

---

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب (٥/ ٢٧٦٠)

(٢) انظر: منهج القرآن في إثبات عقيدة البعث بعد الموت: مصدر سابق.

المبحث الثالث
قضايا عقائدية أخرى في السورة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : الملائكة في سورة الإسراء.

المطلب الثاني : القضاء والقدر في سورة الإسراء.

المطلب الأول
الملائكة في سورة الإسراء

أولا- التعريف بالملائكة:

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان، والملائكة هم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم السلام، البررة الطاهرين ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، وهم الموصوفون بالطاعة المطلقة لله تعالى، خلقهم الله تعالى من نور لعبادته، ليسوا بناتاً لله ﷻ ولا أولاداً ولا شركاء، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون (١).

الملائكة لغة:

"الْملك وَاحِد الْمَلَائِكَة أَصله مألك من الألوكة ثمَّ تصرفوا فِي لَفظه لتخفيفه فَقَالُوا ملأك ثمَّ نقلوا حَرَكَة الْهمزَة إِلَى اللَّام وحذفوا الْهمزَة فَقَالُوا ملك ملائك وملائكة" (٢)

الملائكة اصطلاحاً:

"وَهُمْ نوعٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَسْكَنَهُمْ سماواته، ووكلهم بشؤون خَلْقِهِ، وَوَصَفَهُمْ فِي كِتَابِهِ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، وَأَنَّهُمْ يسبِّحون لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ."(٣)

"وهم أَجْسَامٌ لَطِيفَةٌ أُعْطِيَتْ قُدْرَةً عَلَى التشكل بأشكال مُخْتَلفَة ومسكنها السَّمَاوَات" (٤)

"وهم عالم من عالم الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، خلقهم الله تعالى من النور؛ لعبادته وتنفيذ أوامره في مخلوقاته"(٥)

ثانيا- تعريف الإيمان بالملائكة:

"هو التصديق الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور وإنهم كما وصفهم الله عباد مكرمون يسبحون الليل لا يفترون وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم قائمون بوظائفهم التي امرهم الله بالقيام بها "(٦)

---

(١) أنظر: معارج القبول ـ حافظ الحكمي (٢/٦٥٦)
(٢) المعجم الوسيط ـ معجم اللغة العربية بالقاهرة(١/ ٢٤)
(٣) شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ٦٢)
(٤) فتح الباري ـ لابن حجر (٦/ ٣٠٦)
(٥) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية ـ للفوزان (ص: ١٢٨)
(٦) مختصر الأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ـ عبد العزيز السلمان (ص: ١٧)

ثالثاً: دلالة سورة الإسراء على الملائكة:

ورد ذكر جبريل عليه السلام أحد الملائكة الكرام في قصة الإسراء والمعراج، وذلك في أحاديث النبي ﷺ التي تم ذكرها سلبقاً عند الحديث عن معجزة الإسراء والمعراج [1] وورد ذكر الملائكة في السورة أربع مرات في قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠]

فالآية بينت أن الملائكة لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة، ونفت الولد والشريك عن الله تعالى، وبينت افتراء المشركين على الله في قولهم أن الملائكة بنات الله [2]

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]

والآية بينت أن الملائكة معصومون من المعصية، وأنهم ملتزمون بطاعة الله المطلقة، وبينت أن خلق الملائكة متقدم على خلق الإنسان فالله تعالى أمرهم بالسجود لآدم بعدما خلقه مما يدلل على أن خلقهم متقدم على خلقه .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٩٢]

والآية بينت أمراً من الأمور التي طلبها المشركين من الرسول ﷺ ليؤمنوا به ويصدقوه، وهوأن يقابلوا الله والملائكة ويعاينونهم [3]

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٥]

والآية بينت أن طبيعة الملائكة مختلفة عن طبيعة البشر، لذلك لم يجعل الله تعالى الرسل من الملائكة، وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول للمشركين أنه لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، لأنزل الله عليهم من السماء ملكاً رسولاً، ذلك أن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصه الله من بني آدم برؤيتها، أما غيرهم فلا يقدرون على رؤيتها، فكيف يبعث

---

(١) انظر : (ص: ١٦١) في البحث
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٤٥٣/١٧)
(٣) المصدر السابق (٥٥٢/١٧)

إليهم من الملائكة رسلاً، والبشر بطبيعتهم لا يطيقون التلقي من الملائكة، ومقتضى حكمة الله تعالى ورحمته بالناس أن يبعث إليهم الرسول من جنسهم ليناقشهم ويخاطبهم ويفقهوا عنه، ويفهموا منه، ولو كان الرسول ملكاً لما استطاعوا مواجهته، فطبيعة الملك لا تصلح للاجتماع بالبشر، لذلك فإن إرسال الرسول من البشر نعمة وحكمة عظيمة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤][(١)]

رابعاً: آثار الإيمان بالملائكة على الفرد والمجتمع من خلال السورة:

إن للإيمان بالملائكة آثار عظيمة منها:

١- ما يتعلق بالاعتقاد والتصور من خلال معرفة خطأ من أخطأ وضلال من ضل في معرفة الملائكة، من أمثال العرب في الجاهلية الذين زعموا أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله تعالى الله عما قالوا علواً كبيراً، أو كالفلاسفة الذين زعموا أن الملائكة هي النجوم والكواكب، فالإيمان بالملائكة على الوجه الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة ينفي هذه الأقاويل ويبطلها، وذلك يبعد المجتمع عن الأساطير والخرافات [(٢)].

٢- الإيمان بالملائكة يدفع المسلم إلى مزيد من الطاعة اقتداء بالملائكة الذين يبلغون الطاعة المطلقة، والإلتزام التام بطاعة الله عز وجل حتى في أمره لهم بالسجود لآدم مع أن خلقهم متقدم على خلقه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] .

٣- الاستقامة على طاعة الله تعالى، والاجتهاد في البعد عما حرمه عز وجل فمن آمن بأن الملائكة تكتب أعماله كلها فإن هذا يوجب خوفه من الله تعالى، فلا يعصيه، لا في السر ولا في العلانية، ويشكره تعالى على عنايته ببني آدم حيث وكل من الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم [(٣)]، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] مما يؤدي إلى تنقية المجتمع من الرذائل والجرائم والإنحراف، وإنشاء مجتمعاً سليماً .

---

(١) أنظر: جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (١٧/٥٥٨)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ للسعدي (ص:٤٦٦)، والتفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/١٧١)

(٢) أنظر:التبيان شرح أركان الإيمان ـ سعد عاشور (ص: ٢٠٠)

(٣) أنظر: التوحيد للناشئة والمبتدئة ـ عبد العزيز آل عبد اللطيف (ص: ٥٩)

٤- الحصول على الأمن والطمأنينة، فإن الأمن والطمأنينة والحياة الطيبة للفرد وللمجتمع متوقفة على تحقيق الإيمان، ومن ذلك الإيمان بالملائكة الكرام (١) .

٥- الإيمان بالملائكة يعكس مركز الإنسان الكبير في الكون، فالملائكة مع شدة قوتهم وقوة سريرتهم قد أمرهم الله بالسجود لآدم عليه السلام، وهم مكلفون بأمور الكون، والإنسان واحد من مكوناته الأساسية التي يقومون عليها، وفي ذلك تنبيه للإنسان الذي جعله الله عز وجل خليفته على الأرض أن يعرف قيمته وقدره فتكون تصرفاته مسؤولة، ويسلك الطريق المستقيم في كافة مناحي حياته ويبتعد عما يغضب اللع تعالى (٢)، قال تعالى في بيان قيمة الإنسان وقدره: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١]

(١) أنظر: أركان الإيمان ـ علي الصلابي (ص:١٢٤)
(٢) أنظر: المصدر السابق (ص:١٢٦)

المطلب الثاني

القضاء والقدر في سورة الإسراء

الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان الستة وقد اتضح ذلك من خلال حديث جبريل المشهور عندما سأل رسول الله ﷺ : **قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ ..** " (١)

قال الإمام النووي رحمه الله: "تَظَاهَرَتِ الْأَدِلَّةُ الْقَطْعِيَّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وِالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى إِثْبَاتِ قَدَرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ " (٢)

أولاً: تعريف القضاء لغة واصطلاحاً:

"أَصله القَطْع وَالْفَصْلُ. يُقَالُ: قَضَى يَقْضِي قَضَاء فَهُوَ قاضٍ إِذا حَكَم وفَصَلَ. وقَضاء الشَّيْءِ: إِحْكامُه وإِمْضاؤُه وَالْفَرَاغُ مِنْهُ فَيَكُونُ بِمَعْنَى الخَلْق. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: القَضَاء فِي اللُّغَةِ عَلَى وُجُوهٍ مَرْجِعُهَا إِلى انْقِطَاعِ الشَّيْءِ وَتَمَامِهِ. وكلُّ مَا أُحْكِم عَمَلُهُ أَو أُتِمَّ أَو خُتِمَ أَو أُدِّيَ أَداء أَو أُوجِبَ أَو أُعْلِمَ أَو أُنْفِذَ أَو أُمْضِيَ فَقَدْ قُضِيَ. قَالَ: وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْوُجُوهُ كُلُّهَا فِي الْحَدِيثِ، وَمِنْهُ القَضاء الْمَقْرُونُ بالقَدَر، وَالْمُرَادُ بالقَدَر التَّقْدِيرُ، وبالقَضاء الخَلق كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ﴾** [فصلت:١٢] أَي خَلَقَهُنَّ، فالقَضاء والقَدَرُ أَمران مُتَلازمان لَا يَنْفك أَحدهما عَنِ الْآخَرِ، لأَن أَحدهما بِمَنْزِلَةِ الأَساس وَهُوَ القدر، وَالْآخَرُ بِمَنْزِلَةِ الْبِنَاءِ وَهُوَ القَضاء، فَمَنْ رَامَ الفَصْل بَيْنَهُمَا فَقَدْ رَامَ هَدْمَ الْبِنَاءِ ونَقْضه. وقَضَى الشيءَ قَضاءً: صنَعه وقَدَّره " (٣)

القضاء اصطلاحاً:

"إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال " (٤)

يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: " قال العلماء القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزيئات ذلك الحكم وتفاصيله " (٥)

وقد ورد لفظ القضاء في القرآن الكريم بمعاني كثيرة منها ما ورد سورة الإسراء وهي:

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ــ باب الإسلام ما هو وبيان خصاله ـ ح رقم:١٠(٤٠/١)

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ـ للنووي (١٥٥/٢)

(٣) لسان العرب ـ ابن منظور (١٨٦/١٥)

(٤) لوامع الأنوار البهية ـ للسفاريني (١/ ٣٤٥)

(٥) فتح الباري ـ لابن حجر (٤٧٧/١١)

١- معنى الأمر: قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، أي أمر سبحانه وتعالى بعبادته وحده لا شريك له [١].

٢- ومعنى الإعلام: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، أي أخبرنا وأعلمنا بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزل إليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ولتستكبرنّ على الله باجترائكم عليه استكبارا شديدا. [٢]

ثانياً: القدر لغة واصطلاحاً:

القدر لغةً:

"القَدَرُ القَضاء المُوَفَّقُ. يُقَالُ: قَدَّرَ الإِله كَذَا تَقْدِيرًا، وإِذا وَافَقَ الشيءُ الشيءَ" [٣]

القدر اصطلاحاً:

"وَالْمُرَادُ بِهِ فِي لِسَانِ الشَّرْعِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ مَقَادِيرَ الْأَشْيَاءِ وَأَزْمَانَهَا أَزَلًا، ثُمَّ أَوْجَدَهَا بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ عَلَى وَفْقِ مَا عَلِمَهُ مِنْهَا، وَأَنَّهُ كَتَبَهَا فِي اللَّوْحِ قَبْلَ إِحْدَاثِهَا " [٤]

والإيمان بالقدر هو:" أن يؤمن الرجل بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ذلك كله فضل من الله عز وجل " [٥]

قال النووي رحمه الله تعالى: " "وَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ إِثْبَاتُ الْقَدَرِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ فِي الْقِدَمِ وَعَلِمَ سُبْحَانَهُ أَنَّهَا سَتَقَعُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَلَى صِفَاتٍ مَخْصُوصَةٍ فَهِيَ تَقَعُ عَلَى حَسَبِ مَا قَدَّرَهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى " [٦]

ثالثاً: دلالة سورة الإسراء على القضاء والقدر:

لقد دلت السورة على مراتب القدر الأربع التي من لم يؤمن بها لم يتحقق له الإيمان بالقضاء والقدر، والمراتب الأربع هي:المرتبة الأولى: علم الله تعالى بالأشياء قبل كونها المرتبة الثانية الكتابة: كتابته لها قبل كونها .

المرتبة الثالثة: مشيئته لها .

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٤١٣/١٧)
(٢) أنظر: المصدر السابق ((١٧/ ٣٥٦)
(٣) لسان العرب ـ ابن منظور (٥/ ٧٤)
(٤) شرح العقيدة الواسطية ـ للهراس (ص: ٦٥)
(٥) اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث ـ محمد بن عبد الرحمن الخميس (ص:٥٢)
(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ـ للنووي (١٥٤/١)

المرتبة الرابعة: خلقه لها .

المرتبة الأولى: العلم: وهي: "الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأنه تعالى قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم وأسرارهم وعلانيتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار " (١) وقد وردت مرتبة العلم في أربع آيات في السورة، في قوله تعالى: **﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾** [الإسراء: ٢٥]، وقوله تعالى: **﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾** [الإسراء: ٤٧]، وقوله تعالى: **﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾** [الإسراء: ٥٤]، **﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾** [الإسراء: ٨٤]، فالآية الأولى تبين أن الله تعالى أعلم من الناس بما في نفوسهم من تعظيمهم أمر آبائهم وأمهاتكم وتكرمتهم، والبرّ بهم، وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بحقوقهم، والعقوق لهم، وغير ذلك من ضمائر صدورهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك (٢)

والآية الثانية تبين أن الله تعالى أعلم بالنّحو الذي يستمعون به حين يستمعون للنبي هزءا وسخرية وتكذيبا، وأعرف بما يتناجى به رؤساء كفار قريش، ويتسارّون، حين جاؤوا يستمعون قراءة النبي سرّا قائلين: إنه رجل مسحور، أو مجنون، أو كاهن (٣)

والآية الثالثة تبين أن الله تعالى أعلم بمن يستحق الهداية ممن لا يستحقها (٤)

وفي الآية الرابعة يقول عزّ وجلّ لنبيّه محمد ﷺ: "قل يا محمد للناس: كلكم يعمل على شاكلته: على ناحيته وطريقته (فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ) هو منكم (أَهْدَى سَبِيلا) يقول: ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقا إلى الحقّ من غيره"(٥)

المرتبة الثانية: الكتابة: "أي أنه تعالى قد كتب جميع ما سبق به علمه أنه كائن، وفي ضمن ذلك الإيمان باللوح والقلم"(٦) وورد الحديث عن هذه المرتبة في السورة في آية واحدة في قوله

---

(١) أعلام السنة المنشورة ـ للحكمي (ص:٧٨)
(٢) أنظر: جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (١٧/ ٤٢١)
(٣) أنظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ٩٠ـ ٩١)
(٤) أنظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/١٠٠)
(٥) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (١٧/ ٥٤٠)
(٦) أعلام السنة المنشورة ـ للحكمي (ص: ٧٨)

تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٨]، والآية تبين أنه ما من قرية إلا سيهلكها الله ويستأصلها قبل يوم القيامة، أو يعذبها إما ببلاء أو قتل، أو صنف من أصناف العذاب، إذا تركوا أمره وكذبوا رسله، وذلك قضاء من الله مكتوب في اللوح المحفوظ الذي كُتب فيه كل ما هو كائن (١)

المرتبة الثالثة: الإرادة والمشيئة:

وهي: "الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهما متلازمتان من جهة ما كان وما سيكون ولا ملازمة بينهما من جهة ما لم يكن ولا هو كائن؛ فما شاء الله تعالى فهو كائن بقدرته لا محالة وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله إياه لا لعدم قدرة الله عليه، تعالى الله عن ذلك وعز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤] "(٢)، ودلت على هذه المرتبة مجموعة من الآيات وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٤] .

ومعنى الآية الأولى "إذا دنا وقت إهلاك قوم بعذاب الاستئصال أمرنا مترفيها بالطاعات والخيرات، أي الأمر بالفعل، فإذا خالفوا ذلك الأمر وفسقوا وخرجوا عن الطاعة وتمردوا، حق أو وجب عليهم العذاب جزاء وفاقا لعصيانهم، فدمرناهم تدميرا وأبدناهم إبادة تامة، شملت جميع أهل تلك البلدة " (٣)

وأما الآية الثانية فيقول الإمام الطبري في تفسيرها "يقول تعالى ذكره: من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى، وإياها يبتغي، لا يوقن بمعاد، ولا يرجو ثوابا ولا عقابا من ربه على عمله (عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) يقول: يعجل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته. (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ

(١) أنظر: جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (٤٧٥/١٧)
(٢) أعلام السنة المنشورة ـ للحكمي (ص: ٧٩)
(٣) التفسير المنير ـ للزحيلي (١٥/ ٣٦)

جَهَنَّمَ يَصْلاها) يقول: ثم أصليناه عند مقدمه علينا في الآخرة جهنم، (مَذْمُوما) على قلة شكره إيانا، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده في الدنيا (مَدْحُورًا) يقول: مبعدا: مقصى في النار" (١).

والآية الثالثة تبين أن الله تعالى إن يشأ يرحم الناس بالتوبة والإيمان، وإن يشأ يعذبهم تعذيباً بالموت على الكفر (٢)، وهو مرتبط بشأن نجوى الكفار من التصميم على العناد والإصرار على الكفر، مما يسئ النبي ﷺ ويحزنه بسبب عدم هدايتهم، ففي الآية تسلية للنبي ﷺ، وبيان أن أمر الهداية والضلال إنما هو بمشيئة الله عز وجل (٣)

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق:

وهي:"الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه ما من ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا فيما بينهما إلا والله خالقها وخالق حركاتها وسكناتها سبحانه، لا خالق غيره ولا رب سواه" (٤)، وقد دلت سورة الإسراء على هذه المرتبة في آيتين وهما: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩]، فالآية الأولى تبين أن المخلوقات كلها خلقها الله عز وجل، والآية الثانية تبين أيضاً أن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض ومن فيهن، وخالق الإنسان، وفي ذلك بيان قدرة الله التامة .

ومما يتعلق بالقضاء والقدر كلاً من الإرادة، والهدى والضلال، وقد تم الحديث عنها في مبحث الصفات الواردة في السورة (٥)

رابعاً: آثار الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المسلم من خلال السورة:

١- الثقة بنصر الله وأنه آت لا محالة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧]

٢- عدم اليأس مما يجري للمسلم في حياته، لأنه يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقدوته في ذلك الرسول محمد ﷺ، الذي اعترضته الكثير من

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (١٧/ ٤٠٩)
(٢) أنظر: التفسير المنير ـ للزحيلي (٩٨/١٥)
(٣) أنظر: التحرير والتنوير ـ الطاهر ابن عاشور (١٣٣/١٥ـ ١٣٤)
(٤) أعلام السنة المنشورة ـ للحكمي (ص: ٧٩)
(٥) أنظر: (ص: ٨٠ـ ٨١ ـ ٨٢ـ ٨٣) في البحث .

المصاعب والتحديات أثناء دعوته، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧]

٣- عدم اليأس من رحمة الله تعالى، فهو تعالى رحيم وسعت رحمته كل شئ، قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨]

٤- الإيمان بالقدر يبعث الطمأنينة في النفس على الرزق، لأنه على يقين أن رزقه بيد الله عز وجل، والله تعالى يرزقه بمشيئته، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]

٥- ابتغاء الدار الآخرة، وترك متاع الدنيا الفاني، فلربما يركض المرء وراء الدنيا ومتاعها ويترك أمر الآخرة لكنه لا يحصل كلاً منهما، فالأمر مرتبط بمشيئة الله، فلربما يعجل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه، أو يقترها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨]

٦- الإقدام على عظائم الأمور بثبات وعزم وثقة، ومجاهدة أعداء الأمة الإسلامية من اليهود وغيرهم، فالمسلم على يقين بأن ما يصيبه قد كتبه الله له، وبذلك يكون من عباد الله أولى البأس الشديد الذين يحررون الأرض والمقدسات، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ [الإسراء: ٥]

٧- الإعتراف بالذنب والمسارعة للتوبة لأن الله تعالى عليم بما في النفوس، وهوتعالى غفور لذنوب عباده، قال تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٥]

الفصل الرابع

بنو إسرائيل في سورة الإسراء

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : إفساد بني إسرائيل كما جاء في سورة الإسراء .

المبحث الثاني : نهاية دولة يهود في سورة الإسراء .

المبحث الأول

إفساد بني إسرائيل كما جاء في سورة الإسراء

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : المقصود بإفساد بني إسرائيل .

المطلب الثاني : أقوال العلماء في قضية الإفساد و القول الراجح فيها.

مقدمة:

أجمع العلماء والمفسرون على أن بني إسرائيل أفسدوا في الأرض، لكنهم اختلفوا في تحديد هذين الإفسادين اللذين يقعان من بني إسرائيل وزمن وقوعهما. وستعرض الباحثة في المطالب الآتية هذه الآراء بشيء من التلخيص والمناقشة.

المطلب الأول

المقصود بإفساد بني إسرائيل، وزمن وقوعه

تمهيد

الإفساد لغةً: الفاء والسين والدال كلمة واحدة، فسد الشيء يفسد فسادًا وفسودًا وهو فاسد وفسيد، ويقال: قوم فَسْدَى كما قالوا ساقِطٌ وسَقْطَى، قال سيبويه: جمعوه جمع هَلْكى لتقاربهما في المعنى...، وتَفَاسَدَ القومُ: تدابَرُوا وقطعوا الأَرحام...، والمَفْسَدَةُ: خلاف المصْلَحة...، والاستفسادُ: خلاف الاستصلاح...، وقالوا: هذا الأَمر مَفْسَدَةٌ لكذا، أَي: فيه فساد، وفَسَّدَ الشيءَ إذا أَبَارَه(١). وقيل: فَسَدَ كنَصَرَ...، ضِدُّ صَلُحَ، فهو فاسِدٌ، وفَسيدٌ، "وقد اخْتَلَفت عباراتُهم في معناه، فقيل: فَسَد الشيءُ: بَطَلَ واضْمَحَلّ ويكون بمعنَى تَغَيَّر"(٢).

وقيل: الفساد: "بمعنى الجدب، قال ﷻ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[الروم:٤١]، قيل: الفساد هنا الجَدْب في البرّ والقحط في البحر، أَي: في المُدُن التي على الأَنهار"(٣).

وقيل: الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً، كان الخروج عنه أو كثيرًا، ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة(٤).

أما الإفساد اصطلاحًا: فقال الطبري: "هو الكفر والعمل بالمعصية"(٥)، وقال أبو حيان: "التغير عن حالة الاعتدال والاستقامة"(٦)، وقال البيضاوي: "خروج الشيء عن الاعتدال"(٧)

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٣)، لسان العرب (٣/ ٣٣٥).

(٢) انظر: القاموس المحيط (ص: ٣٠٦)، تاج العروس (٨/ ٤٩٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل ـ أبو إسحاق الزجاج، (١٨٨/٤).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ـ الراغب الأصفهاني، (ص:٦٣٦)، والمعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم، لنبيل عبد السلام هارون، (ص:١٥٦).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن ـ للطبري (١/ ٢٨٨).

(٦) البحر المحيط في التفسير ـ أبو حيان الأندلسي (١/ ١٠٠).

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للشيرازي البيضاوي، (١/ ٤٦).

المطلب الثاني
أقوال العلماء في قضية الإفساد والقول الراجح فيها

أولاً: أقوال العلماء في قضية الإفساد

القول الأول: القول بأن الإفسادَيْن قد وقعا قبل الإسلام

ذهب أكثر المفسرين القدامى[1] والمحدثين[2] إلى أن الإفسادين اللذين ذكرتهما آيات الإسراء قد وقعا قبل الإسلام بمدة طويلة، وأن بني إسرائيل واقعون تحت القانون الإلهي، المتمثل في قوله سبحانه في آخر سياق تلك الآيات:﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾[الإسراء:٨].

أدلة هذا الرأي

١. إن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ أشارت إلى كون الإفسادين قبل الإسلام، قال ابن سلام: "تَفْسِيرُ الْحَسَنِ: أَنَّ اللَّهَ عَادَ لَهُمْ بِمُحَمَّدٍ فَأَذَلَّهُمْ بِالْجِزْيَةِ"[3]. وقال عبد الرزاق: "فَعَادُوا فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، فَهُمْ يُعْطُونَ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"[4]، ونقل الطبري عن ابن عباس وقتادة أنهم المؤمنون، وعن معمر أنه النبي ﷺ[5].

٢. احتجاج المحدثين والمعاصرين: باتفاق المفسرين القدماء على أمرين:

---

(١) انظر كمثال: تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، (ص: ٤٢٨)، تفسير القرآن العظيم، للرازي ابن أبي حاتم،(٧/٢٣١٥)، بحر العلوم ـ للسمرقندي، (٢/ ٣٠١)، النكت والعيون، للماوردي، (٢٢٩/٣)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي المحاربي، (ص: ٦٢٨)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السنة، للبغوي الشافعي،(٣/ ١١٣)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري.

(٢) انظر كمثال: تفسير المراغي (١٥/ ١٢)، في ظلال القرآن (٤/ ٢٢١٤)، زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٣٦)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، (٣/ ١٧٧)، صفوة التفاسير، للصابوني، (١٤٠/٢)، التفسير الوسيط (٢/ ١٣٢٦)، القدس قضية كل مسلم، ليوسف القرضاوي، (ص:٦٨-٧٣)،بنو إسرائيل في ميزان القرآن، للبهي الخولي، (ص:٢٠٥-٢١٥)، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، لسيد طنطاوي، (ص:٧٦٤)، بنو إسرائيل والإفساد الأول والثاني والثالث ونهايتهم على أيدي أصحاب مملكة المسلمين الأبدية، خليل حسن جابر، (ص:٣٣-٤٠).

(٣) تفسير يحيى بن سلام، ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، (١/ ١١٨).

(٤) تفسير عبد الرزاق، للصنعاني (٢/ ٢٩٠).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن (١٧/ ٣٨٩).

أ- وقوع الإفساد من بني إسرائيل قبل الإسلام، وإن اختلفوا في تحديد ماهيته، لكنهم متفقون في كونه واقعًا قبل الإسلام(١).

ب- أن المسلطين على بني إسرائيل في المرتين كانوا قبل الإسلام، وإن اختلفوا في تعيينهم(٢).

القول الثاني: أحد الإفسادين وقع قبل الإسلام، والآخر سيقع في المستقبل. قال بهذا الرأي بعض المعاصرين(٣).

أدلة هذا الرأي

١. ارتباط الإفساد من بني إسرائيل بصفة دالة عليه، وهو العلو الكبير، يكونون فيه أصحاب دولة، وهذه الحالة لم يتصفوا بها إلا بعد سليمان عليه السلام، الذي أقام لهم دولة(٤).

٢. بعد الأسر البابلي، لم نجد لهم دولة، وإنما هم دويلات ممزقة، إلى أن جاء الفتح الإسلامي، فأصبح المسجد الأقصى من مساجد الإسلام، ليس لبني إسرائيل شأن به منذ ذلك الوقت إلى يوم الناس هذا(٥).

---

(١) أ- إن الإفساد الأول لبني إسرائيل كان قتلهم نبي الله زكريا عليه السلام، مع ما كان سلف منهم قبل ذلك وبعده من الأفعال المنكرة، إلى أن يبعث الله عليهم من أحل عليهم نقمته جزاء ما وقع منهم من معاصي الله، والعتو عن أوامره. وهو رأي ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (٣٥٧/١٧).
ب- وقيل: كان الإفساد الأول ما وصف من قتلهم للناس ظلمًا، وتغلبهم على أموالهم قهرًا. قاله ابن اسحاق.
ج- وقيل: كان الإفساد الأول مخالفة أحكام التوراة وقتل شعياء، وقيل: أرمياء. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (٦/ ٨٤).
وأما الإفساد الثاني: فقد كان يجمع أصحاب هذا الرأي على أنه قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام. وخالف البيضاوي في ذلك فقال: "قتل زكريا ويحيى، وقصد قتل عيسى عليه السلام". انظر: تفسير الطبري،(٤٥٩/١٠)، درج الدرر في تفسير الآي والسور، للجرجاني، (٣/ ١٠٩٥).

(٢) قيل: هم البابليون على يد نبوخذ نصر، وكان هذا في الإفساد الأول، وأما الإفساد الثاني فكان على يد الرومان. انظر: تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد بن علي رضا (١٧٤/١)، تفسير المراغي (٦/ ١٦٤)، التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٤٤٦).

(٣) الدكتور عبد الكريم الخطيب في: التفسير القرآن للقرآن (٨/ ٤٤٤- ٤٥٧)، والأستاذ بسام جرار في: زوال إسرائيل ٢٠٢٢م، نبوءة أم صدف رقمية، (ص:١٧-٥١)، وخالد عبد الواحد في: نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، من ومتى وكيف، دراسة تحليلية في القرآن والسنة والتوراة والإنجيل، (ص١٤- ٥٦)، وعدنان الرفاعي في مقال له على موقع http://www.alargam.com بعنوان نهاية إسرائيل في القرآن الكريم، ويذهب لإثباته بالإعجاز العددي.

(٤) انظر: زوال إسرائيل ٢٠٢٢م(ص٢٤، ٢٥)، هامش التفسير البسيط، للواحدي، (١٣/ ٢٦٣).

(٥) انظر: زوال إسرائيل (ص٢٧، ٢٨)، الإسراء والمعراج دروس ونفحات، لفضل عباس (ص١١٤)، وزوال دولة إسرائيل حتمية قرآنية، للشيخ أسعد بيوض التميمي، (ص١٨٥)، ونفحات من الدراسات الإسلامية، لعبد الحميد كشك، (ص:٢٥).

٣. الإفساد الأول جاء الإخبار عنه بلفظ الماضي:﴿بَعَثْنَا-فَجَاسُوا﴾، أما الثاني فجاء بلفظ المستقبل:﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾، فدل اختلاف سياق اللفظ على اختلاف زمن الوقوع[١].

٤. ذكر بيت المقدس باسم المسجد يشير إشارة واضحة إلى أن المرة الثانية التي يقع فيها من بني إسرائيل هذا الإفساد، إنما تكون في العهد الإسلامي، وفي الوقت الذي يكون فيه بيت المقدس مسجدًا للمسلمين[٢].

٥. قوله: ﴿كما دخلوه أول مرة﴾ يعني وجود دخول سابق، وأول دخول للمسلمين كان في زمن عمر، وأما دخولهم له في زمن صلاح الدين فهو في زمن الصليبيين لا دولة يهود[٣].

٦. تسميتهم دولتهم بإسرائيل، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[٤]

القول الثالث: وقوع الإفسادين في زمن الإسلام

ذهب فريق من المفسرين[٥] إلى أن كلا الإفسادين لبني إسرائيل حاصل وواقع في زمن الإسلام.

---

(١) انظر: نهاية إسرائيل والولايات المتحدة، لخالد عبد الواحد (ص:٣٨)، والإسراء والمعراج دروس ونفحات (ص١١٩، ١٢٠).

(٢) انظر: نهاية إسرائيل، لخالد عبد الواحد (ص:٤٣)، والقدس بين رؤيتين ـ لحسن مصطفى الباش، (ص١١٦).

(٣) انظر: حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينيةـ لصلاح الخالدي، (ص١٨٧).

(٤) انظر: الشخصية اليهودية من خلال القرآن ـ لصلاح عبد الفتاح الخالدي، (ص:٤٣)، وليتربوا ما علوا تتبيرا بشرى المؤمنين بالنصر العظيم على اليهود الغاصبين، (ص١٦٨).

(٥) وممن قال بهذا القول: الشيخ عبد المعز عبد الستار في مقال له بعنوان: سورة الإسراء تقص نهاية إسرائيل، نشرته مجلة الأزهر في مجلتها، (٦٨٩/٢٨)، والشيخ الشعراوي في تفسيره (٨٣٤٨/١٣- ٨٣٦٩)، والدكتور فضل حسن عباس في الإسراء والمعراج، دروس ونفحات (ص:١١٣- ١٣١)، والدكتور أحمد نوفل في مقال له بعنوان: حدث الإسراء وحديث الإسراء، والدكتور صلاح الخالدي في مجلة فلسطين المسلمة بعنوان: حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، وجوزه دون أن يرجحه الشيخ سعيد حوى في تفسيره (٣٠٤٠/٦)، وذهب مذهبهم الدكتور عمر الأشقر في كتابه: وليتبروا ما علوا تتبيرًا، (ص:١٠١-١٠٣)، لكنه خالفهم فقال بوقوع الإفسادين في زماننا الحاضر، وهو زمان اغتصاب اليهود لفلسطين وإقامة دولة لهم فيها، وأن (وعد أولاهما) يتمثل في قيام المجاهدين المسلمين بعمليات موجعة لليهود في فلسطين، وجوسهم خلال ديار اليهود، وأن (الجدار العازل) من (الكرة) التي ذكرتها الآيات الكريمة. وأما (وعد الآخرة) فهو ما ينتظر من فتح الأقصى وفلسطين وإزالة وتدمير الكيان الصهيوني الغاصب.

أما الإفساد الأول فقد وقع فعلاً في زمن النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ، حين أخرجوا اليهود من المدينة المنورة، بعدما نقضوا عهودهم مع رسول الله ﷺ فيها، فقد جاس عليه الصلاة والسلام خلال ديارهم في المدينة، وفي بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير، وأجلاهم إلى أذرعات بالشام، ثم انقطعت الصلة بين المسلمين واليهود فترة من الزمن.

وأما الإفساد الثاني فهو ما نحن بصدده الآن، حيث سيتجمع اليهود في وطن واحد ليتحقق وعد الله بالقضاء عليهم.

أدلة هذا الفريق

١. إن ما ذكره المفسرون من أن إفساد بني إسرائيل كان قبل الإسلام أيًّا كان زمنه لا ينسجم مع السياق ومع روح الآيات وتوجيهها؛ إذ إن المتأمل لسورة الإسراء يجدها قد ربطت الإفسادين بالإسلام، فالحق ﷻ بعد أن ذكر الإسراء ذكر قصة بني إسرائيل(١).

٢. إذا قلنا بأن الإفسادين قد حصلا قبل الإسلام، فعندها لا يكون هناك فائدة من تحديد الإفساد بمرتين، وذلك أن المطالع لتاريخ اليهود سيجد أن حياتهم مليئة بالإفساد كاتخاذهم العجل، وقتلهم الأنبياء وغيرها(٢).

٣. المقصود بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ رددنا لكم يا بني إسرائيل الكرة على ذرية هؤلاء الذين بعثهم الله عليكم أول مرة.

القول الراجح، ودفع الاعتراضات عليه، وبيان مؤيداته

يترجح أن الإفسادة الأولى وقعت في زمن النبي ﷺ، وأن الصحابة هم المقصودون بالعباد أولي البأس الشديد، وأما الإفسادة الثانية فهي التي نعيشها وهي المحفوفة بالعلو الكبير والإمداد بالأموال والبنين، وكل ذلك لا يجادل اليوم فيه أحد، وعليه فإن المسلمين اليوم هم الموعودون بوعد الآخرة حين يتحقق فيهم وصف العباد أولي البأس الشديد كما تحقق في أسلافهم من الصحابة، فيسوءون وجوههم ويدخلون المسجد الأقصى كما دخله أسلافهم في عهد الفاروق عمر ﷺ.

واعترض بما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾[الإسراء:٤]، والمراد به التوراة، لأنه قال قبلها: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء:٢]، وأسفار التوراة تدل

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١٣/ ٨٣٥٢)، وليتبروا ما علوا تتبيرا (ص:١٦٤)، والإسراء والمعراج دروس ونفحات (ص١٠٩، ١١٠)، وبيت المقدس والمسجد الأقصى، لمحمد حسن شراب، (ص:٧١).

(٢) انظر: الإسراء والمعراج دروس ونفحات ـ فضل عباس (ص:١١٤).

على أن هاتين المرتين وقعتا، كما في سفر تثنية الاشتراع.

وأجيب: إن التوراة الموجودة اليوم ليست مصدرًا لنا نحن المسلمين لا في التفسير ولا في غيره، ولا تصلح دليلاً في موطن النزاع؛ لأنها محرفة يقينًا، فلا نجزم بشيء منها أنه حق وصواب، إلا ما قام عليه الدليل الصريح من الكتاب أو السنة .

٢- إن قبائل بني قينقاع والنضير وقريظة لا تمثل بني إسرائيل في قوتهم وملكهم، إنما هم شرائح صغيرة من بني إسرائيل بعد أن قطعوا في الأرض أممًا.

والجواب: إن آيات الإسراء لا تشترط في الإفساد الأول أن يكون بنو إسرائيل في حال قوة وملك؛ وإنما ذلك في الإفساد الثاني(١).

٣- إن الرسول ﷺ وصحابته لم يجوسوا خلال ديار بني إسرائيل، إذ لم تكن لهم ديار، وإنما هي ديار العرب في أرض العرب.

والجواب: إن القرآن سمى تلك الديار ديارهم، وتلك الأرض أرضهم، فقال في شأن بني قريظة: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:٢٧]، وهل ديار القوم إلا ما يسكنونها، وهل أرضهم إلا ما يتصرفون فيها؟(٢).

٤- إن قوله تعالى:﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[الإسراء:٦]، يتضمن امتنان الله تعالى عليهم بذلك، والله لا يمتن على بني إسرائيل بإعطائهم الكرة على المسلمين.

والجواب: إننا لا نسلم أن الآية تتضمن امتنانًا، وإنما هي توصيف لمرحلة الإفساد الثاني، وأن هذه الآية من قبيل قوله تعالى:﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[المؤمنون:٥٥، ٥٦]، وكيف يمكن الامتنان عليهم بحالة هم فيها مفسدون في الأرض وعالون علوًا كبيرًا؟(٣).

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١/ ٣١٤)، وليتبروا ما علوا تتبيرا (ص١٦٨، ١٦٩).

(٢) وليتبروا ما علوا تتبيرا ـ عمر الأشقر (ص١٠١-١٠٣)، وبين رحمه الله أن معنى الجوس هو الدخول مع بقائهم فيها (ص:١٦٥).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٣٦١)، زوال دولة إسرائيل حتمية قرآنية ـ أسعد التميمي (ص١٨٧).

٥- إن الله تعالى إنما رد الكرة لبني إسرائيل على أعدائهم بعد أن عاتبهم في المرة الأولى، لأنهم أحسنوا وأصلحوا: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾[الإسراء:٧]، واليهود لم يحسنوا ولم يصلحوا قط، ولذا سلط الله عليهم هتلر وغيره.

والجواب: هذا الاعتراض يجعل رد الكرة من باب الامتنان والجزاء الحسن، وهو ليس كذلك، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[الإسراء:٧]، فهو قاعدة عامة، جيء بها هنا للتنبيه على أن إفسادهم واقع بمحض إرادتهم واختيارهم وليس بقهر من الله ﷻ لهم أو اجبار[(١)].

٦- المسلمون لم يدخلوا المسجد قبل ذلك بالسيف والقهر، ولم يتبروا ما علوا تتبيرًا، بل لم يكن شأن المسلمين أبدًا التتبير والتدمير في حروبهم وفتوحهم، إنما هو شأن البابليين والرومان الذين سلطوا على الإسرائيليين.

والجواب: أن الآية تشبه دخولاً بدخول، وتبين أن الداخلين ثاني مرة قد كان لهم دخول أول مرة، ولا يشترط أن يكون لليهود صلة أو علاقة بدخولهم الأول، لأن التشبيه لهيئة الدخول بصرف النظر عن المدخول عليهم، والمعنى أن المسلمين سيدخلون المسجد الأقصى فاتحين كما دخلوه أول مرة فاتحين، ويكون معنى التتبير هو التدمير المادي لكل ما بناه يهود متفاخرين به ليظهروا باطلهم، ولكل ما يعتقدون أنه حصون يتحصنون بها، فكل معلم يدل على اليهود وباطلهم مهما كان صغيرًا سيزول بإذن الله[(٢)].

٧- إن الإجماع من المفسرين القدامى هو أقوى دليل على أنهما قبل الإسلام، ولا يسلم ذلك لأمور، سبق ذكرها، ولعل أقواها:

أ- أنهم قد اختلفوا في هذا التنزيل، وإن كانت أقوالهم دائرة في زمن ما قبل الإسلام، إلا أنه لو قال قائل منهم بوقوع أحد الإفسادين في زمن الإسلام لم يكن الأخذ بقولهم أولى من الأخذ بقوله.

ب- الاعتراض ليس على ماذهبوا إليه من حيث الاجتهاد، وإنما على أن يكون هو الصواب الذي لا يوجد غيره، أو مخالفته، إذ لم يزعم ذلك أحد منهم[(٣)].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ـ سيد قطب (٤/ ٢٢١٤).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن ـ عبد الكريم الخطيب (٨/ ٤٥١).

(٣) انظر: وعدا بني إسرائيل المعاني والدلالات، http://www.alukah.net. يوم الاثنين ٢٠١٥/٥/٢٥م

تلخيص ما سبق

١. إن ترجيح الباحثة لهذا القول ليس إلا عملًا اجتهاديًا لا يمكن جعله أمرًا حاسمًا قاطعًا، فالمجال محتمل، ولا يوجد ما يجزم بأن هذا القول الذي رجحته الباحثة هو المراد من الآيات قطعًا، ولكنه غاية ما أدى إليه اجتهاد الباحثة.

٢. ما من قول من الأقوال التفسيرية إلا وقد استند إلى ما يراه مؤيدًا له من سياق الآيات وألفاظها، إلا أن القول الراجح الذي تم ذكره (وهو أنهما في زمن الإسلام) هو القول الأوفق بقواعد التفسير، والأنسب بهدي القرآن.

٣. إن هذا الخلاف الطويل العريض في تفسير الآيات، ليس بقادح في حتمية زوال (إسرائيل) وانتهاء ظلم اليهود وإفسادهم واغتصابهم لفلسطين؛ ذلك أن القرآن ختم تلك الآيات بقاعدة حاسمة حازمة لا تتخلف في أي مكان أو زمان يتجدد فيه إفساد بني إسرائيل، وهي قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء : ٨].

المبحث الثاني

نهاية دولة إسرائيل في سورة الإسراء

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : مراحل و مقومات النصر و التمكين للمسلمين .

المطلب الثاني : نهاية دولة يهود حتمية قرآنية وسنة نبوية وإرهاصات واقعية.

المطلب الثالث : البدائل المرشحة لخلافة دولة يهود.

تمهيد

إن مما امتازت به سورة الإسراء أن لها إسمان عُرفت بهما: الإسراء، وبني إسرائيل[1]، وهما اسمان توقيفيان، وهنا يبرز سؤال له شأنه، هو أن حديث سورة الإسراء عن بني إسرائيل إنما هو في بضع آيات، وإن كثيرًا من السور القرآنية كان الحديث فيها عن بني إسرائيل أكثر كثيرًا، كسورة البقرة مثلاً، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وغيرها، فلماذا لم تسمَّ أي منهم بسورة بني إسرائيل؟! إن السور المذكورة تحدثت عن نشأة بني إسرائيل وإنعام الله عليهم، فهو حديث يتصل بعمق الماضي، ولكن سورة الإسراء تتحدث عن بني إسرائيل فيما يخص هذه الأمة بعد بعثة النبي ﷺ، وما ستعانيه هذه الأمة من أولئك القوم، وما العوامل التي تمكن المسلمين من تفويت الفرص على أولئك القوم، وعدم تمكينهم من أن يُعيثوا في الأرض فسادًا[2].

المطلب الأول

مراحل ومقومات النصر والتمكين للمسلمين

أولاً: مراحل التمكين

من البدهي أن التمكين من شروط النصر ومقوماته، وهو أمر ضروري حتى يقوى المسلمون ويكونوا بالفعل من عباد الله أولي البأس الشديد كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٥] وهذا التمكين لا يمكن أن يتم في لحظة عابرة أو برهة من الزمن، بل له مراحل يتدرج فيها مرحلة مرحلة، ولكون هذه المراحل ليست على درجة واحدة بل كل مرحلة يقوى فيها التمكين ويشتد عوده أكثر من المرحلة السابقة، لذا آثرت الباحثة أن تسميها بـ"مراتب التمكين"، فهي مراتب عامة لارتقاء التمكين من البداية إلى الذروة القصوى.

ومراتب التمكين سبع:

المرتبة الأولى: السلامة من الخسران

هذه المرتبة هي الدرجة الأولى في سلم مراتب التمكين للفئة أو الجماعة المؤمنة، وهي لازمة حتمية، لا يمكن أن تبدأ للتمكين بداية دون البداية بها، ولقد بينها الله جل وعلا في كتابه،

(١) مسند أحمد (٤٠/ ٤٥٢)، ح رقم: ١٣٤٧٤، وصححه شعيب: عَنْ أَبِي لُبَابَةَ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: مَا يُرِيدُ أَنْ يُفْطِرَ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: مَا يُرِيدُ أَنْ يَصُومَ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالزُّمَرِ ".

(٢) انظر: الإسراء والمعراج، دروس ونفحات ـ فضل عباس (ص: ٣٢ ، ٣٣).

وجزم بها، وأقسم عليها، فقال ﷻ: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣]، إن هذه الخصال حين تتوافر في جماعة من الجماعات أيًّا كانت فهي كفيلة بأن تجعلها في ضمان وأمان من كل خسارة أخروية،أو دنيوية، والباحث المتحري لعوامل النصر، والناظر المتفحص لأحداث الأمم في التاريخ، يجد أن السورة لخصت الصفات المطلوبة في من يؤهل لبلوغ النصر ويُمكَّن له في الأرض، خصوصًا من الأمة الإسلامية(١).

المرتبة الثانية: التأييد

التأييد: التقوية(٢)، ومنه ما وقع لنبي الله عيسى عليه السلام، أي: قواه(٣) بجبريل عليه السلام، ومنه ما أيد الله به شاعر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت فقال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ اللهَ ﷻ لَيُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ، يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ"(٤). فالتأييد مرحلة من مراحل التمكين، وهي تدخل كل مجال من مجالات الدعوة من توفيق أو سداد رأي أو حجة، أو التأييد بالنصر أو الجماعة، كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢]، فالتأييد يعد المرتبة الثانية من مراتب التمكين، وهو أعلى من المرتبة السابقة الأولى(٥).

المرتبة الثالثة: الظهور

هو القوة مع البروز(٦)، قال تعالى في شأن الحواريين: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[الصف:١٤]، وبيَّن الظهور المقصود هنا فقال في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران:٥٥].

وهذه المرتبة هي نتاج مرتبة التأييد وحصيلتها، وهي مرتبة من التمكين بيَّن نبينا محمد ﷺ أنها لن تنعدم من أمته إلى قيام الساعة، فمهما أصاب الأمة من نكبات ومهما ضعفت وتمزقت ونقص حظها من التمكين؛ فلن تنعدم منها هذه المرتبة من التمكين، وهي الظهور في علو وقوة من فئة أو جماعة في شرق الأمة أو غربها، ولا يمكن بحال أن تنحط كل طوائف الأمة الإسلامية

---

(١) انظر: مفاتيح النصر على أعداء الله وأعداء رسوله، لمحمد آل مجاهد، (ص:٧٥).
(٢) انظر: المخصص، لابن سيده، (١/ ٥٠٨).
(٣) انظر: فتح القدير ـ للشوكاني (١/١١١).
(٤) مسند أحمد (٤٠/ ٤٩٥)، ح رقم: ٢٤٤٣٧، وصححه شعيب.
(٥) انظر: عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، أحمد الشهري، بحث منشور على موقع، http://www.alkutubcafe.com.
(٦) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/٤٧١).

جميعًا عن هذه المرتبة. قال ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1][2].

المرتبة الرابعة: النصر

النصر يرد بمعانٍ، أشهرها: نيل الظفر على العدو[3]، وقد ورد بهذا المعنى في القرآن في مواضع عدة منها قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾[آل عمران:١٦٠]، وكذلك النصر يأتي في لغة العرب بمعنى الانتقام وإعانة المظلوم[4]، وجاء بهذا المعنى في الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَاأَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى:٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال:٧٢]، والحاصل أن الله ﷻ قد جزم بالنصر للمرسلين وأتباعهم من المؤمنين، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الصافات:١٧١-١٧٣]، وقال ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧] [5].

المرتبة الخامسة: الغلبة

والغلبة أعلى من النصر، فهي تزيد عليه بالقوة مع القهر والشدة[6]، فهي رتبة أعلى ومرحلة يصل بها التمكين إلى مشارف الكمال، ولقد تكفل الله ﷻ بها لرسله وجنده المؤمنين، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[المجادلة:٢١]. وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣]، وقد حقق العلماء أن غلبة الأنبياء على قسمين:

١- غلبة بالحجة والبيان، وهي ثابتة لجميعهم.

٢- غلبة بالسيف والسنان، وهي ثابتة لمن أمر بالقتال منهم.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء، ح رقم: ١٦٥،(١/ ١٣٧).
(٢) انظر: فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي الصلابي، (ص:٤٣٧).
(٣) مقاييس اللغة ـ ابن فارس (٥/٤٣٥).
(٤) انظر: لسان العرب ـ ابن منظور (٥/ ٢١٠).
(٥) انظر: فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم ـ علي الصلابي (ص: ٤٣٧)
(٦) انظر: مقاييس اللغة ـ ابن فارس (٤/٣٨٨).

لكن أغلب معاني الغلبة في القرآن الكريم غلبة بالسيف والسنان، كقوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[الأنفال:٦٥]، وقوله:﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ [آل عمران:١٢][١].

المرتبة السادسة: الملك أو الولاية

ولاية الأمر ووحدة القيادة متحتمة لازمة في كل مراحل ومراتب التمكين، ولكن حين يبلغ الحال بأتباع دعوة الحق باتحادهم واجتماعهم على رجل واحد يكون ملكًا عليهم، فهذه الحال هي حالة التمكين العليا والأكثر في الأمة الإسلامية وفي أمم الأرض جميعًا، قديمًا وحديثًا، وليس فوقها إلا الخلافة التي على منهاج النبوة، فهي أعلى حالات التمكين لدعوة الحق، ولقد امتن الله بإعطائه الملك لأقوام مؤمنين من أنبياء وغيرهم، ولأقوام كافرين، وبيَّن سبحانه أنه لا يعطى لأحد إلا بإذنه وتصرفه، وهو بيده، فهو مالك الملك، قال ﷻ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]. وقال ﷻ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[النساء:٥٤][٢].

المرتبة السابعة: الخلافة

وهي خلافة النبوة، وهي المرتبة الأعلى في مراتب التمكين لدعوة المرسلين، وهي أفضل من الملك، وهي الأصل[٣].قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].قال الإمام القرطبي عند هذه الآية: "هذه الآية أصل في نصب خليفة وإمام يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة"[٤].

وكل نبي ملِكٍ فهو خليفة، قال تعالى: ﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾[ص:٢٦][٥].وكذلك الحاكم أو الملك وإن لم يكن نبيًا إذا كان على نهج النبوة وقد اتخذ ولايته دينًا وقربة إلى الله، كان خليفة من خلفاء الله في الأرض، سواء كان خلفًا

---

(١) انظر: عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين ـ مصدر سابق (ص:٣١).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص:٣١).

(٣) مجموع الفتاوى ـ لابن تيمية (٢٢/٣٥ – ٢٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن ـ للقرطبي (٢٦٤/١).

(٥) انظر مجموع الفتاوى ـ لابن تيمية (٢٠/٣٥).

لنبي مباشرة، أو كان بينه وبين النبي فترة من الزمن،أي: مدة، وعندما يسمى الحاكم خليفة وهو على غير نهج خلافة النبوة أمثال من جاء من الحكام بعد الخلفاء الأربعة، فإنما ذلك من باب التجوز في التسمية والتوسع، وإلا فالحقيقة أنه ليس بخليفة يصدق عليه مصطلح خلافة النبوة المتعارف عليه عند المسلمين وعلمائهم(١).

ثانيًا: مقومات التمكين

مقومات النصر والتمكين على نوعين، أحدهما: روحي معنوي، لا صلة له بالمادة والعدة والعتاد، ميدانه الإيمان والعقيدة وما يتصل بهما من قواعد، أما الآخر فمادي بحت لا شأن له بالنواحي الروحية والمعنوية، ورغم التباين الكبير بينهما، إلا أنه لا غنىً لأحدهما عن الآخر، فهما وجهان لعملة واحدة، فالمقومات الروحية لوحدها لا تصنع نصرًا، وكذا المقومات المادية، لذلك ينبغي العمل على إعداد كل المقومات بنوعيها، قبل خوض غمار المعركة، ولا مندوحة من الصبر والمثابرة على الدعوة وبناء النفوس بناءً روحيًا، بينما يتم الإعداد المادي والعسكري قدر الاستطاعة(٢).

أولاً: المقومات الروحية والمعنوية

١. قوة الإيمان والعقيدة. إن الإيمان الصادق بالله ﷻ هو أهم أسباب النصر، ولقد تكفل الله بنصر المؤمنين كما تكفل بنصر المرسلين، فقال تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾ [غافر:٥١]، وهذه سنة الله في خلقه، قال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ"(٣)، بل وأكرم أهل الإيمان بتثبيت الملائكة لهم، فقال:﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ [الأنفال:١٢]، لكن كلمة الإيمان وحدها لا تجزئ للتبلغ إلى الآخرة، والوصول إلى شاطئ الأمان، إذ لابد من العمل، فالإيمان كما يقول سيد قطب: "ليس كلمات تقال، ولا مشاعر تجيش، ولا شعائر تقام، ولكنه طاعة لله والرسول، وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول"(٤)، وعليه فإن تحقق الإيمان الصادق على أرض فلسطين سيكون له أثره الإيجابي لصالح المسلمين في مواجهة الصهاينة المغتصبين.

---

(١) انظر: عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين ـ مصدر سابق (ص:٣٥).
(٢) انظر: مقومات النصر في ضوء القرآن الكريم والسنة ـ لأحمد أبو الشباب، (٢٠/١).
(٣) صحيح البخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب التواضع ـ ح رقم: ٦٥٠٢، (٨/ ١٠٥).
(٤) في ظلال القرآن ـ سيد قطب (١/ ٣٨٧).

٢. بناء الشخصية الإسلامية. إن ما أصاب الأمة الإسلامية من تقهقر وانحطاط، ما كان ليصيبها لو كانت الشخصية الإسلامية قوية معافاة، ولذلك فإن بناءها بناءً صحيحًا لا تشوبه شائبة، يسهم في وضع حجر الأساس للخطوات الأساسية في طريق الإعداد [١].ومن أهم الوسائل التي تسهم في بناء الشخصية الإسلامية: الفهم الصحيح لمبادئ الإسلام [٢]، والاستيعاب الكامل لأساليب الدعوة الإسلامية[٣]، وتنمية روح الجهاد[٤].

٣. الدعاء. وهو من أمضى الأسلحة التي تسهم في تحقيق النصر، ومهما أعد المسلمون من أسلحة وعدة وعتاد؛ فإنهم يظلون عرضة للفشل والهزيمة والإحباط إذا امتنعوا عن استخدام هذا السلاح، أو أساءوا استخدامه[٥].وهو السلاح الوحيد الذي لا يكلف المسلمين شيئًا سوى التقوى والالتزام بتعاليم الإسلام جملة وتفصيلاً، وعدم الاستكبار والتراخي عن مناجاة الحق ﷻ، لاستمطار الرحمة واستنزال النصر المؤزر.

٤. التكامل والوحدة. لا يخفى على كل ذي بصيرة أن أبرز المشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي تتمثل في التفكك الذي يمزق قلب الأمة، ويقطع أوصالها إربًا إربًا، ولذلك تعتبر الوحدة بين الأقطار المتنافرة في العالم الإسلامي من المطالب الأساسية والعوامل المهمة في تحقيق النصر، إذ كيف يتصور إمكانية تحقيق النصر على الأعداء والديار الإسلامية مفككة النظام، مقطعة الأوصال، تسودها العصبية القبلية، وتحكمها عصابات وأحزاب شيطانية لا صلة لها بالإسلام، كيف يمكننا أن نتصور ذلك في وقت تسود فيه أجواء التناحر والتباغض والتحاسد والنفاق، إلى غير ذلك من أمراض قاتلة، طالما حذر منها النبي ﷺ[٦].

٥. التعاون والإيثار. يعتبر التعاون من أكثر أسباب النجاح والقوة في كل أمر من الأمور، لأن اجتماع القوى يقوي بعضها بعضًا، ويشد بعضها من أزر بعض، ولعل من محاسن العمل الجماعي قدرة الجماعة على تربية أفرادها عن طريق رعايتهم وحفظهم في الفتن، والحفاظ على سلامة تصورهم، وبالأخص الشباب الذين يتساقط الكثير منهم في الفتن، وتتخطفهم الأحزاب غير الإسلامية، ويعيشون حياة الضياع في اللهو واللعب، والانحراف في الشهوات، وإضاعة

(١) انظر: مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة ـ لأحمد أبو الشباب (١/١٤٠).
(٢) انظر: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ـ لمالك بن نبي، (ص:٧٦).
(٣) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرـ لمحمد أبو فارس ، (ص:٣٠).
(٤) انظر: أبجديات التصور الحركي ـ لفتحي يكن ، (ص:٨٩ـ٩٠).
(٥) انظر: مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة، لأحمد أبو الشباب (١/٢٤١-٢٦٢)، و انظر: من عجائب الدعاء، لخالد الربعي، (ص:٧).
(٦) الوحدة الإسلامية ـ لمحمد أبو زهرة، (ص:٢٨).

زهرة العمر فيما لا ينفع، وهذه في تقدير الباحثة من أهم الجوانب الإيجابية، ولو لم يكن من المحاسن إلا هذه لأجزأت(١).

ثانيًا: المقومات المادية

١. التأهيل والإعداد. وتعتبر عملية الإعداد من المقومات الأساسية لتحقيق النصر، وهي تشمل شقين اثنين، أحدهما: يتعلق بأفراد الرعية، والآخر: بالجند، وذلك أن إعداد أحدهما لا يجزئ إلا بالآخر، وتبقى خطة النبي ﷺ في التأهيل والإعداد خير أنموذج يحتذى في هذا المجال، لحاضرنا ومستقبلنا، لتحقيق كل الطموحات والآمال التي نتطلع إلى تحقيقها(٢).

٢. الإعداد البدني والعسكري. كي تستوي عملية الإعداد على سوقها، لابد أن يتم الإعداد على محورين، حتى يصبح الفرد مؤهلاً لاقتحام لجج القتال، أما المحور الأول: فإنه يرتبط بالفرد مباشرة، فبعد الانتهاء من عملية الانتقاء والتوزيع للمقاتلين، ينبغي أن تبدأ عملية التدريب بكافة أنواعه بما فيه اللياقة البدنية، وممارسة الألعاب الرياضية، وتعلم فنون القتال. أما المحور الثاني: فيتعلق بعملية التسليح الخاصة بكل الوحدات المقاتلة، على اختلاف أنواعها، بدءًا من السلاح الفردي ومرورًا بسلاح الدبابات والمشاة، وانتهاء بسلاح الجو والدفاع الجوي، إلى غير ذلك من أسلحة حديثة(٣).

٣. بناء الجبهة الداخلية القوية. تعتبر الجبهة الداخلية لأية دولة من الدول الركيزة الأساسية التي تستند إليها القوات المسلحة، من هنا فإنها ترتبط بها إلى حد كبير وتتأثر بها إيجابًا أو سلبًا، تبعًا لحالتها من القوة والتماسك أو الضعف والتفكك، ولقد أثبتت التجارب أن الجيش يستمد قوته من قوة الجبهة الداخلية التي ينطلق منها ويستند إليها، ولا يصح أن يُوصف جيش ما بالقوة إذا كانت جبهته الداخلية مقطعة الأوصال مضطربة النظام، مهما يكن حجم السلاح الذي يملكه وعدد المقاتلين الذين يتكون منهم، لأن هذا الجيش سريعًا ما يتهاوى أمام خصومه عند أدنى مواجهة(٤).أما إذا كانت الجبهة الداخلية قوية متراصة، فإن قوتها تنعكس على جيشها، الذي يكتسب مزيدًا من القوة والتماسك، "وفي الحرب الحديثة بعد أن زال الخط الفاصل بين ميدان القتال والجبهة الداخلية وأصبح الصراع يشكل الشعب بأسره لا قواته المسلحة فحسب؛ فقد

---

(١) انظر: العمل الجماعي ـ محاسنة وجوانب النقص فيه ـ لعبد الوهاب الديلمي، (ص:٣٤).

(٢) انظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ـ لمحمد محفوظ، (ص:٤٨)، القيادة والجندية في الإسلام ـ لمحمد الوكيل، (١٣٣/١).

(٣) انظر: التربية البدنية في الإسلام ـ لمحمد الردع، (ص:٨٩، ٩٠)، منهج التربية الإسلامية ـ لمحمد قطب (ص:١١).

(٤) انظر: مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة ـ أحمد أبو الشباب (١٦٤/٢).

أصبح من الحقائق الاستراتيجية أن قوة الجبهة الداخلية وقوة الإرادة القتالية للشعب ضرورة حيوية لكسب الحرب، بل لقد أصبحت الإرادة القتالية والروح المعنوية للقوات المسلحة ثمرة لروح الشعب وموقفه وراءها"(١).

٤. الاقتصاد الإسلامي. لا يخفى على أحد ما يعنيه الاقتصاد في حياة الأمم واستقرارها، حيث يمثل محورًا من المحاور المهمة وقوامًا من المقومات التي تقوم عليها أركان الدولة، ويتحقق بواسطتها النصر، فالدولة التي تتمتع اقتصادياتها بالقوة فإنها تكون أقدر على حل المعضلات التي تواجهها وتكون أسرع في حشد طاقاتها، لذلك لابد من الوقوف على الواقع الاقتصادي في العالم الإسلامي، وعلاجه من خلال التعرف على ملامح الاقتصاد الإسلامي وضرورته لحل المعضلات الاقتصادية في العالم أجمع، ثم انتهاء بالوقوف على أهمية الموارد المالية لإعداد الجيوش، مع الإلمام بمكانة الإنفاق في سبيل الله في الشريعة الإسلامية(٢).

٥. الإعلام الإسلامي. ثمة حرب من نوع آخر خلاف ما عهدناه من حروب، ليس للعدة والعتاد دور فيها، إنها حرب الإعلام، تلك الحرب الباردة كما يسمونها، والتي لا تستخدم فيها الأسلحة التقليدية البتة، حيث تقتصر على استخدام سلاحي القلم واللسان، وما شاكلهما،ومن البدهي أن من يملك قوة الحجة والكلمة يستطيع أن يخرس خصومه ويلجمهم، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله لأصحابه محذرًا: "إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، بِقَوْلِهِ: فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلاَ يَأْخُذْهَا"(٣).

ومما لا ريب فيه أن إعادة الإسلام إلى سابق عهده من الريادة يحتاج ليس فقط إلى قوة الساعد. وإذا ما عرفنا أن أعداء الله تعالى قد أعلنوا الحرب الإعلامية على الإسلام والمسلمين، فضلاً عن الحرب العسكرية، وأنهم لا يدخرون وسعًا في استخدام كل هذه الطرق وغيرها لإخضاع المسلمين لرغباتهم، وجب عليهم أن يُعنوا بهذه الحرب، وألا يقللوا من أهميتها، نظرًا لشدة تأثيرها على نتيجة المعركة وقدرتها على قلب الحقائق، وتشويه صورتها، إذ بمقدور الإعلام أن يقلب الحق إلى باطل، والأبيض إلى أسود، والعكس صحيح(٤).

---

(١) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ـ لمحمد محفوظ (ص:٤٢٦).

(٢) انظر: الإسلام ومعضلات الاقتصاد ـ لأبي يعلى المودودي، (ص:٢٤-٣٥)، ومجلة العربي، العدد ٤٣٣، السنة السابعة والثلاثون، ديسمبر ١٩٩٤م (ص:١٤٠)، ومدخل إلى الاقتصاد الإسلامي ـ لعبد العزيز هيكل، (ص:٤٤).

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب الشهادات ـ بَابُ مَنْ أَقَامَ البَيِّنَةَ بَعْدَ اليَمِينِ، ح رقم: ٢٦٨٠، (١٨٠/٣).

(٤) انظر: الإعلام قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي ـ لمحمد سعد الدين، (ص: ٢١، ٢٢).

المطلب الثاني

نهاية دولة يهود حتمية قرآنية وسنة نبوية وإرهاصات واقعية

أولاً: حتمية قرآنية

إن التكييف العام لهذا الأمر قد ورد في آيات من سورة الإسراء، حيث ورد في ثلاثة مواضع:

الأول: بيان الارتباط العقدي بين القدس، (وهي منطلق المعراج وعاصمة فلسطين)، وبين مكة (مهبط الوحي وأم القرى)، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١](١).

الثاني: بيان علو بني إسرائيل في الأرض وإفسادهم فيها، ثم هزيمتهم واندحارهم في نهاية كل صراع، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:٤-٨]، ويمكن فهم كلمة النفير في ضوء المعاني الآتية:

- أكثر حشدًا وتعبئة: كلمة نفير معناها: "عدة وعدد"(٢)، و"النفير العام: قيام الناس عامة لقتال العدو، التعبئة العامة"(٣)، فاليهود هم أكثر نفيراً من العرب والمسلمين -حشدًا واحتشادًا، وعدة وعددًا، وتعبئة للقوى والجنود في كل حرب دخلوها منذ بداية مشروعهم وفي جولات الصراع وحتى الآن، وهذا لتقصير العرب والمسلمين في إعداد العدة اللازمة لمواجهة العدو، أو لتفرق الكلمة، أو للظروف الدولية الضاغطة التي حظرت السلاح عن العرب والمسلمين ومنحته بلا حساب لليهود، إلى غير ذلك من الأسباب، ففي حرب ١٩٤٨: حشد اليهود حوالي سبعة وستين ألف مقاتل، أي بنسبة ١١% من إجمالي قوة اليهود البشرية بفلسطين، بينما حشد العرب واحدًا وعشرين ألف مقاتل. وبالتالي حقق اليهود تفوقًا في القوة العسكرية البشرية على الجيوش العربية بنسبة ٣:١ لصالح اليهود، أما في حرب ١٩٦٧، فقد "استطاعت إسرائيل حشد

---

(١) تم تناوله بالحديث في التمهيد (ص: ٢٨٦)

(٢) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءته ـ أحمد مختار عمر، (ص:٤٥١).

(٣) المصدر السابق ـ (ص: ٤٥١)

١% من مجموع سكانها للقتال في الجيش العامل، واستطاعت حشد كل قادر على حمل السلاح للدفاع عن أرضها خارج الجيش العامل، بينما استطاع العرب حشد ٣ بالألف فقط من تعداد العرب، واستطاعت إسرائيل حشد كل طاقاتها المعنوية للحرب، فكم استطاع العرب أن يحشدوا من طاقاتهم المعنوية للحرب"(١)، وهم أكثر احتشادًا وتعبئة لمشروعهم الصهيوني، فكل يهودي إلا القليل في أي بقعة من بقاع الأرض يعتبر نفسه مجندًا لخدمة المشروع الصهيوني، وولاؤه الأساسي ليس للدولة التي يقيم فيها بل لإسرائيل(٢).

- أكثر إرادة على اتخاذ قرار الحرب: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[الإسراء:٦]، أي: "أكثر نافرًا"(٣)، و"أكثر خروجًا إلى الغزو"(٤)، و"أكثر نفيرًا من أعدائكم"(٥)، ففي كافة جولات الصراع منذ نشأة المشروع الصهيوني في فلسطين وحتى اليوم كان اليهود هم البادئين فيها بالقتال، أو جاءت ردًّا على اعتداءاتهم، أو إزالة لآثار عدوانهم، والصهاينة هم (أكثر نفيرًا) لامتلاكهم الإرادة السياسية على القتال، بينما كانت الحكومات العربية ومازالت باستثناء حرب ١٩٤٨، وحرب الاستنزاف، وحرب العاشر من رمضان ١٩٧٣ تمتلك الإرادة على الكلام، والإرادة على التنازع والاختلاف، لا الإرادة على مواجهة العدو(٦).
- قوة دعاية وإعلام: النفير هو "البوق"(٧)، "بوق يُنفخ فيه ليصدر صوتًا"(٨)، فبنو إسرائيل هم (أكثر نفيرًا) من العرب والمسلمين في مجال الدعاية والإعلام، يقلبون الحق باطلاً والباطل حقًّا، ويشوهون الحقائق، ويتلاعبون بعقول الناس عبر وسائل الإعلام التي يمتلكونها، ووسائل التأثير التي يسيطرون عليها من مسرح وفن وثقافة وتعليم، وبنو إسرائيل هم أكثر نفيرًا من العرب لكثرة الأبواق المدافعة عنهم سواء منهم أو من غيرهم، أبواق تتبنى مشروعهم الصهيوني، وتدافع عن وجهات نظرهم وتبريراتهم لأعمالهم العدوانية، وتسكت وتطارد كل صوت يدافع عن الحق العربي في فلسطين(٩).

---

(١) أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية ـ محمود شيت خطاب (ص:٣٥).
(٢) انظر: الخطر اليهودي ـ عباس محمود العقاد، (ص: ١٢٨).
(٣) اللباب في علوم الكتاب ـ لابن عادل الدمشقي، (١٢/ ٢١١).
(٤) المصدر السابق ـ (٢١١/١٢)
(٥) المصدر السابق ـ (٢١١/١٢)
(٦) ماذا بعد حرب رمضان؟ أحمد صدقي الدجاني، (ص: ٩٣).
(٧) تاج العروس (١٤/ ٢٧٢).
(٨) معجم اللغة العربية المعاصرة ـ أحمد مختار عمر وآخرون، (٢٢٥١/٣).
(٩) انظر: الإعلام اليهودي المعاصر ـ يوسف أبو هلالة، (ص: ٥٦)، والمال والإعلام في الفكر اليهودي والممارسة الصهيونية ـ لعثمان بك زاده، (ص: ٨٧).

- أكثر داعمًا ونصيرًا: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء:٦]، أي: أكثر داعمًا ومؤيدًا ونصيرًا، قال ابن عادل –رحمه الله: "أكثر نافرًا، أي: من ينفر معكم"[١]، وقال ابن الجوزي[٢] والنيسابوري[٣] رحمها الله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ "عددًا وأنصارًا منهم"، "قال الزجاج: وجعلناكم أكثر منهم أنصارًا"[٤]، فالكيان الصهيوني أكثر نفيرًا من العرب لاجتماع القوى الدولية على عونه وتأييده، والنفير معه، وإمداده بالمال والسلاح، وبالدعم السياسي والمعنوي والتقني، وبالقتال الفعلي معه، مثلما حدث في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، الذي شنته كل من إسرائيل وفرنسا وإنجلترا[٥].
- أكثر انتشارًا وشتاتًا في الأرض: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء:٦]، أي: أكثر خروجًا من مواطنكم، وأكثر انتشارًا في الأرض، فاليهود يتنقلون من بلد إلى بلد، إلى حيث مواقع القوة والتأثير، فكلمة "نَفَرَ: خرج من موطنه"[٦]، و"نَفَرَ الشخص: هجر وطنه وضرب في الأرض"[٧]، و"يوم النفير: يوم النفر"[٨]، وهذا المعنى هو جين سلوكي لدى بني إسرائيل، وسمة متأصلة لديهم يبشر بزوال كيانهم في فلسطين، يقول الكاتب اليهودي أ. ب. يهوشواع: "إن اصطلاح نازح وُلد في قصة إبراهيم، واليهودي الأول هو المهاجر الأول والنازح الأول، وقد ظل اليهودي يحمل في داخله هاتين الصفتين المرتبطتين بالهجرة والنزوح عبر التاريخ"[٩].
- أكثر بعدًا عن الحق: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء:٦]، تعني أيضًا أكثر شرودًا وبُعدًا عن الحق، فمعنى "نفر الشخص: بَعُد عن الحق"[١٠]، و"يقال: نفرت الدابة تنفر وتنفر نفارًا ونفورًا: جزعت وتباعدت، فهي نافر ونفور، ونفر الظبي: شرد وبَعُد"[١١]. وإذا شرد الإنسان عن الحق فإنه يُفسد في الأرض ولا يُصلح، ويكون وجوده نكبة على كل من يحل عليه، أما إذا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ـ لابن عادل الدمشقي (١٢/ ٢١١).

(٢) زاد المسير في علم التفسير ـ جمال الدين الجوزي ، (٣/ ١١).

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ـ للواحدي، (٣/ ٩٧).

(٤) تاج العروس (١٤/ ٢٦٧).

(٥) انظر: قضايا شرق أوسطية: مستقبل الدولة اليهودية، مركز دراسات الشرق الأوسط، (ص:١٤٨).

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية، (١١١٤/٢).

(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة ـ أحمد مختار عمر وآخرون (٢٢٥١/٣).

(٨) تاج العروس ـ للزبيدي(١٤/ ٢٦٦).

(٩) اليهود واليهودية في العصور القديمة: بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات، ترجمة: رشاد الشامي، (ص:٣٤)، القوة هي الحل، كوبي نيف، مجلة معاريف، ٢٠٠٨/٥/٥م.

(١٠) معجم اللغة العربية المعاصرة ـ أحمد مختار عمر وآخرون (٢٢٥١/٣).

(١١) المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن ـ د. محمد التونجي، (ص:٤٨٢).

شردت الدولة عن الحق، فإنها لا تقيم وزنًا لخلق أو قانون أو إرادة دولية، ويصبح قانونها هو القوة الغاشمة المنفلتة من كل عقال قانوني أو أخلاقي(١).

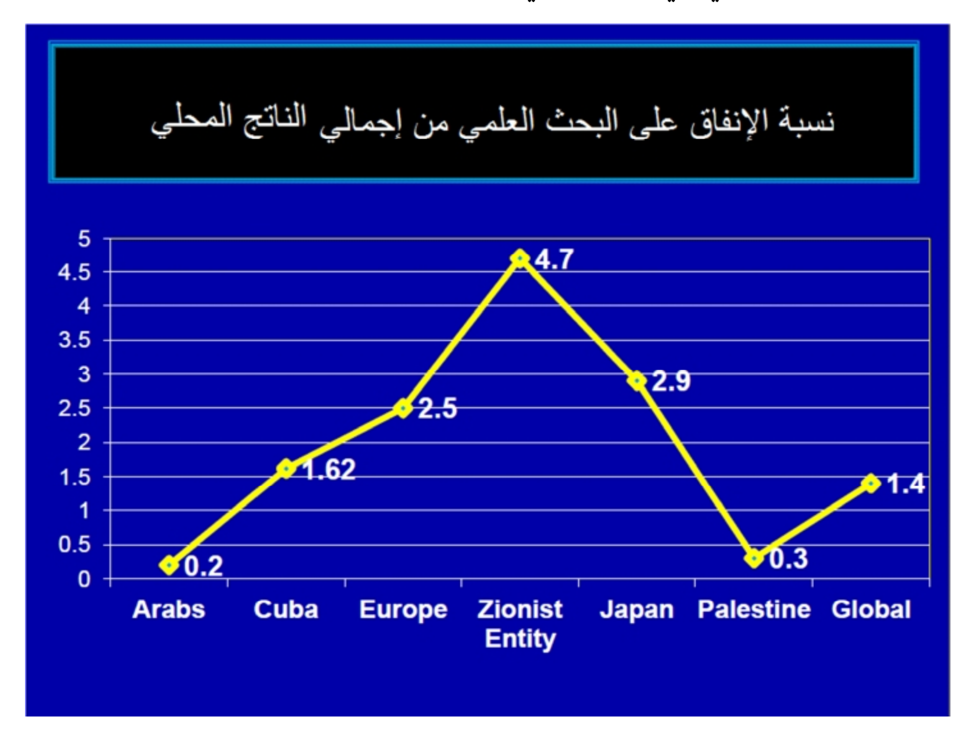
- أكثر فرقة واختلافًا: بنو إسرائيل هم (أكثر نفيرًا): أي أكثر فرقة واختلافًا، و"النَّفر: التفرق"(٢)، فالمجتمع الصهيوني مجتمع متنافر، يعج بأسباب الفرقة والاختلاف، ويحمل في طياته بذور التفسخ والتصدع والانهيار، وصدق الله العظيم إذ يقول فيهم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤] (٣).
- أكثر جبنًا وهلعًا: (أكثر نفيرًا) أي: أكثر جبنًا وهلعًا وجزعًا وهربًا، "يقال: نفرت الدابة تنفِر وتنفُر نِفارًا ونُفورًا: جزعت وتباعدت، فهي نافر ونفور"(٤). فالصهاينة مع كل ما لديهم من قوة، إلا أن المخاوف والهواجس الوجودية تعشش في قلوبهم، وتستولي على عقولهم، ويصيبهم الهلع والرعب من امتلاك العرب والمسلمين أية وسيلة للقوة ولو كانت بسيطة ومحدودة النفع، متى كانت اليد التي تحملها يدًا مقاومة، وهم يجبنون عن المواجهة المباشرة، فهم كما قال عنهم القرآن: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾[الحشر:١٤] (٥)،ولعلنا نرى هذه السمات والصفات والمعاني واضحة جلية في واقع دولة الكيان اليوم.
- التفوق العلمي: يتمتع بنو إسرائيل اليوم بتفوق علمي على خصومهم: في العلوم العسكرية، والأمنية، والمناحي العلمية المختلفة، وتفوقهم في الإعداد والجاهزية، والإنفاق على هذا التقدم، فهم كما وصفهم ربنا ﷻ:﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء:٦]، وبالتقصي عن ذلك فقد ثبت أن دولة الكيان هي الأكثر إنفاقًا على البحث العلمي من بين خصومها في المنطقة، بل وتمتلك العدد الأكبر من العلماء والأوراق العلمية المنشورة، وكذلك تتميز في نسبة الاقتباسات من أبحاثها في العلوم المختلفة، كما أنها الأكثر حصولًا على جوائز نوبل العالمية في العلوم المختلفة، وقد أوضحت الباحثة ذلك من خلال بعض المعلومات التي حصلت عليها من تقارير لمنظمة الصحة العالمية(٦)، وهي كالآتي:

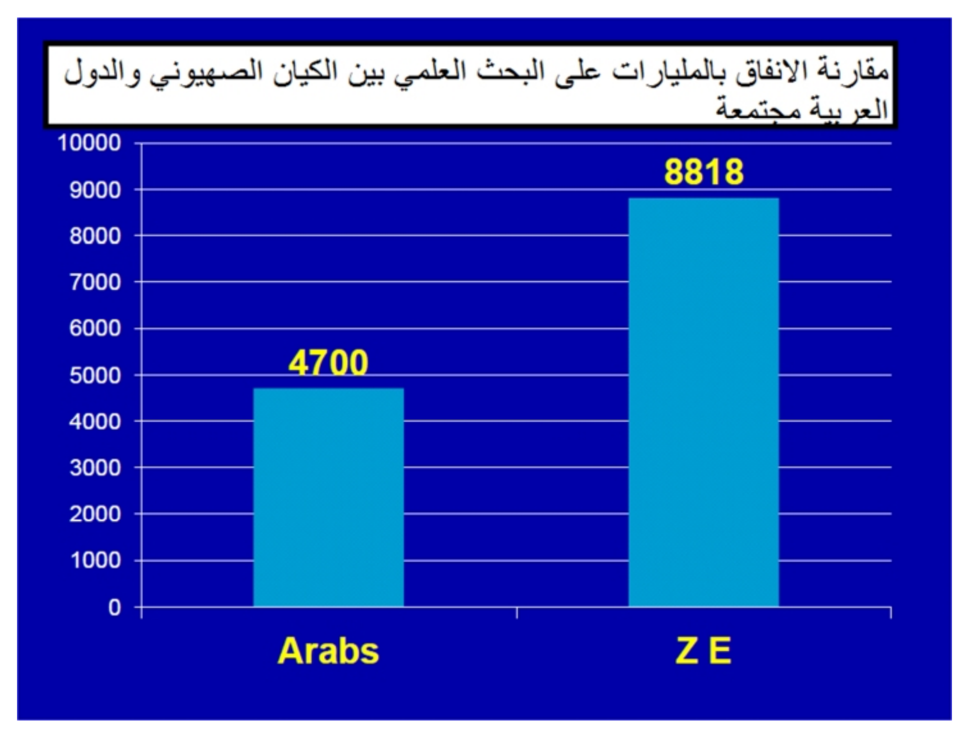
أ- معدل الإنفاق العالمي على البحوث العلمية يبلغ ١.٤% من إجمالي الناتج المحلي مجتمعًا، بينما لا يتعدى معدل الإنفاق للدول العربية مجتمعة ٠.٢% من إجمالي الناتج

---

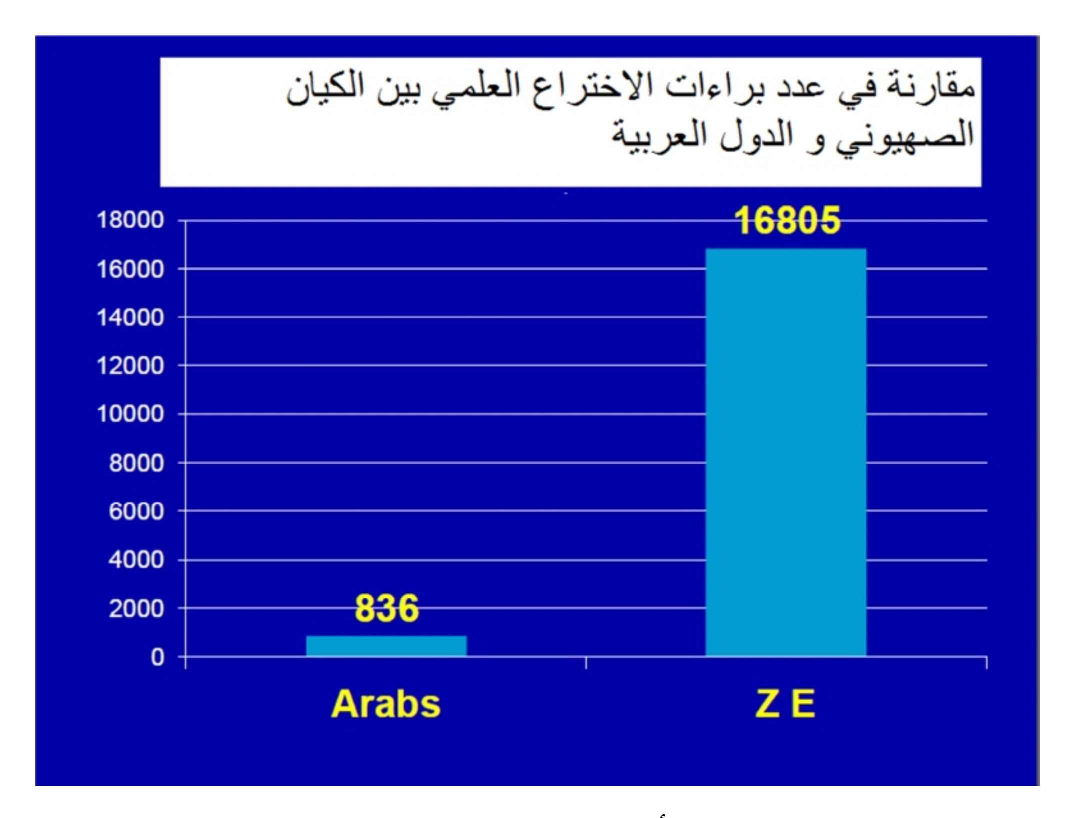
(١) انظر: المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع الإسلامي ـ لسيد عبد الله حسين (ص: ١١١).
(٢) المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن ـ محمد التونجي ، (ص:٤٨٢).
(٣) المجتمع اليهودي ـ زكي شنوده، (ص:٤٩٥)، ومن هو اليهودي ـ عبد الوهاب المسيري، (ص:٦٣).
(٤) المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن ـ محمد التونجي ، (ص:٤٨٢).
(٥) انظر: الجدار العازل، صراع الدبلوماسية من مجلس الأمن إلى المحكمة الدولية ـ نبيل العربي، (ص:٢٢١).
(٦) انظر: http://apps.who.int/gho/data/?theme=main، و http://ar.unesco.org/، وقد ألقيت هذه الاحصائيات ضمن محاضرات في برنامج ماجستير الإدارة والسياسات الصحية بجامعة القدس (أبو ديس).

المحلي لها، وفلسطينيًا بلغ ما يعادل ٠.٣% من إجمالي الناتج المحلي، أي: أعلى بقليل من المعدل العربي، في حين بلغ معدل الإنفاق علىالبحث العلمي في دولة الكيان حوالي ٤.٧% من إجمالي الناتج المحلي لها، وهي بذلك تُعدّ الأعلى في المنطقة، بل وأعلى مما يُنفق على البحث العلمي في اليابان وفي أوروبا.

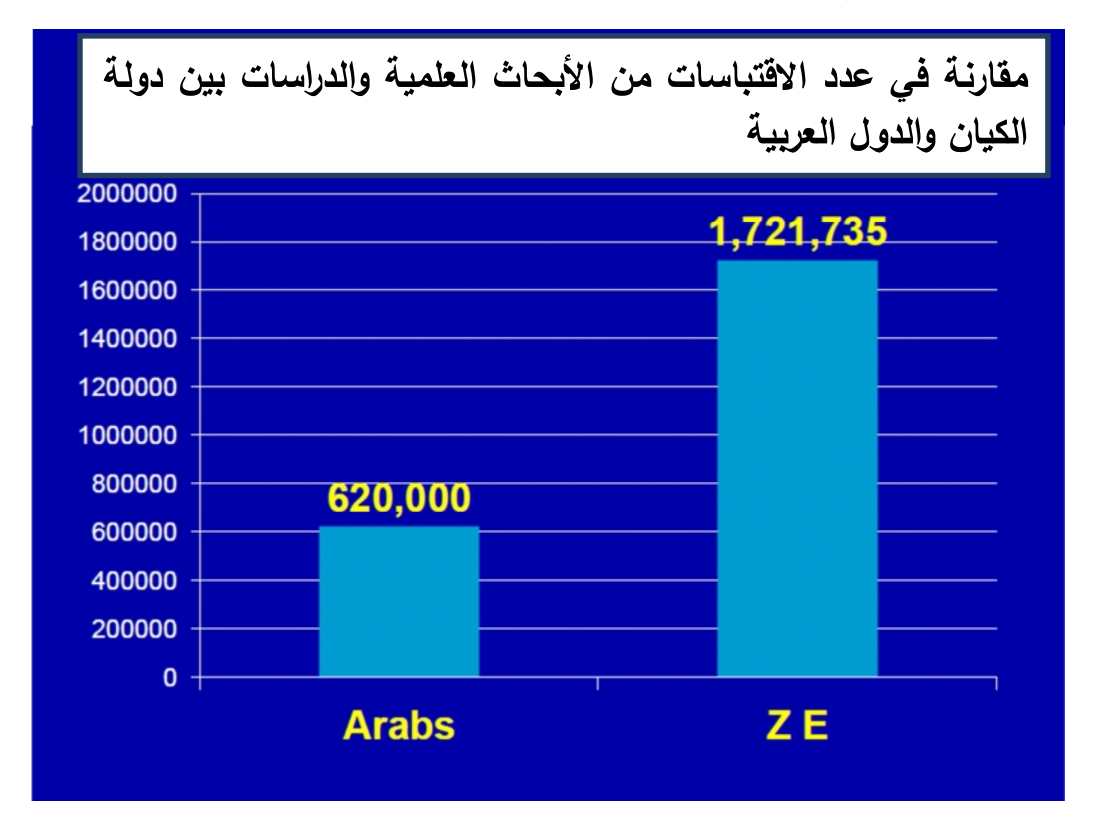




ب- مجموع ما سجل من براءات اختراع لجميع الدول العربية مجتمعة بلغ ٨٣٨ براءة اختراع، بينما بلغت في دولة الكيان لوحدها حوالي ١٦٨٠٥ براءة اختراع.



ج- عدد الاقتباسات العلمية من الأبحاث والدراسات العلمية بلغت من جميع الدول العربية مجتمعة حوالي ٦٢٠,٠٠٠ اقتباس، بينما من أبحاث ودراسات دولة الكيان بلغت ١,٧٢١,٧٣٥ اقتباسًا.



د- نسبة مساهمة القطاع الخاص في البحث العلمي عربيًا لا يتجاوز ٣%، بينما يبلغ في دولة الكيان حوالي ٦٠%.

هـ- مجموع ما حصلت عليه الدول العربية من جوائز نوبل العالمية لشتى المجالات بما فيها للعلوم المختلفة ٦ مرات،بينما حصلت دولة الكيان على ٩ جوائز

مقارنة في بعض المتغيرات ما بين دولة الكيان و الدول العربية

المتغيــرات المقــارنة	الدول العربية	دولة الكيان
الانفاق على البحث العلمي مقابل كل فرد	$ 15	$1272.8
مساهمة القطاع الخاص بالبحث العلمي	3%	60%
عدد جوائز نوبل المحصلة	6	9

ثالثًا: بيان ارتباط نهاية الصراع مع قرب الآخرة بعد أن يتجمعوا من أنحاء الأرض، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء:١٠٤]، قال الزجاج: اللفيف: الجماعات من قبائل شتى(١)، إن مساحات الصراع مع اليهود المغتصبين لفلسطين كثيرة ومتداخلة ومتسعة، فهي شاملة لمجالات الحياة كلها.

ثانيًا: من السنة النبوية

١. عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا"(٢)، وعنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ"(٣). فهذان الحديثان من أجمع ما أخبر به النبي ﷺ، فهما يؤكدان حتمية رجوع الإسلام إلى مركز الريادة، وموضع القيادة، ومقام السيادة، فيخبر ﷺ أنه لن يبق مكان تشرق عليه الشمس، ولن يبق مكان يبلغه الليل والنهار إلا دخله هذا الدين، وفي هذا إشارة لكل ذي لب إلى حقيقة زوال دولة إسرائيل،

(١) معاني القرآن وإعرابه ـ للزجاج (٣/ ٢٦٣).
(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الفتن ـ باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض،ح رقم: ٢٨٨٩،(٤/ ٢٢١٥).
(٣) مسند أحمد (٢٨/ ١٥٤)، ح رقم: ١٦٩٧٥، وصححه شعيب.

بل جاء الحديث صريحًا في ذلك، خاصًّابهم دونًا عن غيرهم، فقال ﷺ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: "بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ"(١). وهذا حديث صحيح يقوي صحته الواقع الذي نعيشه اليوم، فعلى الرغم من الإجراءات المشددة التي تمارسها قوات الاحتلال للحول دون قيام المجاهدين الفلسطينين بالعمليات الاستشهادية في القدس وجوارها فضلاً عن الجهود التي يقوم بها أعوانهم في هذا الصدد، إلا أن هذه العمليات لا تزال مستمرة، لاشيء يستطيع أن يُوقف عجلتها(٢).

٢. عن عمرو بن العاص قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي، أَتَتْنِي الْمَلَائِكَةُ فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا فَالْإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ"(٣). وبذلك يتبين أن ساحة الجهاد في إقامة دولة الإسلام هي بلاد الشام، وأكناف بيت المقدس، وهذه بشارة أخرى دالة على أن الإسلام لابد أن يحكم، وأن فلسطين لابد أن تتحرر، وأن الدولة الإسلامية لابد أن تعود، وها هي ذي الظواهر تلوح بالأفق تبشر بنصر قريب بإذن الله.

٣. إننا كمسلمين نعتقد اعتقادًا جازمًا لاشك فيه أن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام أخبر أن اليهود يبلغون في زمن من الأزمان الذروة في القوة والسيطرة، وأنهم سيجتمعون في مكان واحد، ثم يتسلط عليهم المسلمون، ويضعون فيهم السيف، ويناديهم كل شيء حتى الحجر والشجر، قال ﷺ: "تَقْتَتِلُونَ أَنْتُمْ وَيَهُودُ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ"(٤).

ثالثًا: حقائق واقعية

تعيش إسرائيل الآن المرحلة الأخيرة من عمرها في ظل مأزقها السياسي والأخلاقي والواقع الأمني والتحول العظيم في المنطقة، وسط الهاجس المتجذر في الوجدان الصهيوني بتحول الحلم الى كابوس، بعد أن سقط القناع عن الوجه الحقيقي للدولة التي كانت تتمترس دائمًا خلف وجه الضحية، وسقطت مقولة الجيش الذي لا يقهر، وبالتالي لم تعد واحة الديمقراطية في غابة العرب، وظهر لتلك الدولة أعداء من نوع آخر لم تعهدهم، وتهاوت أنظمة عميلة وأخرى في الطريق لاحقة،

---

(١) مسند أحمد (٢٨/ ١٥٤)، ح رقم: ١٦٩٧٥، وصححه شعيب. (٣٦/ ٦٥٧).

(٢) الخلافة وإمكانية عودتها قبل ظهور المهدي عليه السلام ـ سعد عاشور، و نسيم ياسين، (ص:٢٥).

(٣) مسند أحمد (٢٩/ ٣١٠)، ح رقم: ١٧٧٧٥، وصححه شعيب.

(٤) صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب: هذان خصمان اختصموا، ح رقم: ٢٩٢١، (٤/ ٢٢٣٨).

إنها جزئية إساءة الوجوه في مرحلة نهاية الوجود المحتوم، والانهيار القادم لدولة رسمها المخططون الحالمون لتكون من النيل الى الفرات، لتنحسر اليوم وتتقزم بين الجدار والبحر، ولتجد خاصرتها القاتلة بين طولكرم وشاطيء بحر أم خالد "نتانيا" لا تزيد عن أحد عشر كيلو مترًا، إنه الوعد الرباني بزوال هذا الكيان وإستخلاف المستضعفين في الأرض". ويظهر هذا في النقاط الآتية:

أ. شيخوخة إسرائيل: إن فلسطين الأرض الوقفية التي فتحها عمر بن الخطاب في العام الخامس عشر للهجرة، لم يوجد عبر التاريخ الاسلامي أنها عاشت تحت الاحتلال أكثر من ١٠٠ عام، ومعنى ذلك أن فلسطين ترزح تحت الظلم وجبروته منذ أن دخل اللنبي قائد الجيوش البريطانية مدينة القدس يوم ٩ ديسمبر عام ١٩١٧، وقال كلمته المشهورة: الآن انتهت الحروب الصليبية، فمنذ ذلك التاريخ نرى أن الظلم يقع على فلسطين منذ ٩٤ عامًا بالتقويم الميلادي، أي ٩٦ عامًا بالتقويم الهجري، وفي أطوار الدولة الخمسة عند ابن خلدون سُيكتفى فقط بالحديث عن الطور الخامس: طور الإسراف والتبذير، إسراف في كل شيء، ويكون صاحب الدولة في هذا الدور متلفًا لما جمعه أسلافه، كما فعل شارون(١).

ب. معادلة الأجيال: يعلم علماء المسلمين أنه حتى يتغير الجيل يُحتاج الى أربعين عامًا، والناظر لمعادلة الأجيال هنا يجد: أنه في عام ١٩٠٨م خُلع السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان حاميًا لفلسطين، ولقد ظهر بعد السلطان جيل لم يكن قادرًا على حمل الأمانة،أرادها قومية عربية، وشارك المستعمر في القضاء على دولة الخلافة، كانوا يبحثون عن دولة قومية عربية فأعطاهم الاستعمار دولاً مشتتة تقاتل بعضها، وكان لابد من جيل للتغير لم يظهر، فكان لابد من انحدار آخر وسقوط آخر، فسقطت فلسطين بعد أربعين عامًا ١٩٤٨ سقوطًا مروعًا، لم يتعلم الناس الدرس، وظهر المقاتلون دون راية موحدة وبأسماء مختلفة، وتشتت الطرق وتزاحمت الأفكار، وسقطت بقية فلسطين عام ١٩٦٧، في وقت بدأت فيه الذرية الطيبة الأصيلة تتقلب في ظهور الرجال منذ هزيمة النكبة، وصولاًإلى المجاهدين الأشداء الذين انطلقوا بعد أربعين عامًا من جيل الهزيمة، لكن بعد جيل النكبة بـ ٤٠ عامًا انتهى جيل الهزيمة الثاني، وظهر جيل جديد بانطلاق الانتفاضة الأولى وانطلاق المقاومة الإسلامية في فلسطين، إذًا فالمعادلة تنحصر في الأعوام: (١٩٠٨ إلى ١٩٤٨ إلى ١٩٨٨)، وبين هذه وتلك ٤٠ عامًا؛ أي:إننا احتجنا للتغيير في جيلين، ولا ننكر أن طائفة الحق كانت طوال الوقت موجودة، وكانت تعمل على التغيير ووضع لبناته، وعليه فإن جيل النصر الآن موجود،

(١) انظر: تجسيد الوهم، دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية ـ قدري حفني، (ص:١٨٩).

ويخوض المعركة تلو المعركة التي ستتوج بنصر مؤكد، فالجيل الضعيف الذليل الذي صنع النكبة انتهى، والجيل الذي عاش النكسة انتهى، وظهر الجيل الرباني الفريد(١).

ت. سلسة الإخفاقات. تغيرت الصورة الجميلة لإسرائيل، صورة الضحية وواحة السلام والديمقراطية في منطقة الدكتاتوريات العربية، وأذابت حرارة الدماء الزكية للضحايا الذين قتلتهم وشردتهم هذه الدولة المارقة المكياج عن الوجه القبيح لجبروت الاحتلال، وأصبحت إسرائيل توصف بالغرب بالكابوس أو النكتة السيئة، وتشبه بالمصاب بالبرص وسط حالة الاشمئزاز والاستخفاف، فمن قلب البيت الأبيض في الدولة الأكثر تأييدًا لإسرائيل، خرجت دعوات تدعوإلى عودة اليهود إلى أماكنهم الأصلية، ومن قلب الأمم المتحدة تقر سفيرة إسرائيل أن سمعة دولتها في المنظمة الدولية تدهورت حتى وصلت مستوًى خطيرًا في الآونة الأخيرة، وتتحدث عن الأسباب، وتقول: عملية الرصاص المصبوب وتقرير غولدستون(٢) والحصار على غزة إضافة إلى الهجوم الإسرائيلي على قافلة أسطول الحرية؛ كلها ساهمت في تشويه صورة إسرائيل، وزيادة حدة الانتقادات لها، حتى من قبل دول صديقة، وفي بريطانيا وأستراليا وإيرلندا والكثير من الدول الغربية الأخرى بدأت تخرج عشرات المناهضة لدولة الاحتلال وعدوانها على الفلسطينيين(٣).

ث. حروب إسرائيل.إن حروب اسرائيل التي تخوضها هي شعور داخلي بعدم الثقة بالنفس، مع حالة الشعور بالضياع التي تحياها منذ قيامها على أنقاض وأشلاء الشعب الفلسطيني، يرافقها عدم الثقة بالغير والشعور بالخطر الحقيقي على الوجود، ومن خلال استعراض حروب إسرائيل الرئيسة على العرب والفلسطينيين؛يتبين أنه لم يمرَّ عقد من الزمن على هذا الكيان دون حرب، وفي العقدين الأخيرين تتقارب المدة بين كل حرب وأخرى، مما يؤذن بحرب النهايةبإذن الله تعالى(٤).

ج. تهاوي ذراع إسرائيل الأمني الداخلي والإقليمي. لقد نجحت "إسرائيل" ولمدة عقود في استخدام أنظمة عربية عميلة لحمايتها في البحر الديمغرافي العربي الذي كان كغثاء السيل، لكن تغيرًا دراماتيكيًا يحصل الآن بعد تهاوي بعض الأنظمة، حيث انتصرت إرادة الحياة على جبروت الحكام الطغاة، ذلك كله يأتي في إطار التغيير في المنطقة(٥).

---

(١) إسرائيل البداية والنهاية ـ مصطفى محمود، (ص:٩٧).

(٢) لجنة تقصي الحقائق، شكلها مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، يترأسها القاضي الأفريقي ريتشارد غولدستون، انظر تفصيل الحديث عنها في: ويكبيديا http://ar.wikipedia.org/

(٣) انظر: المسئولية الدولية عن جرائم الحرب الإسرائيلية ـ سامح الوادية، (ص:١١٤).

(٤) انظر: الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية ـ بني موريس، ترجمة: الياس فرحات، (ص:٣٥٢).

(٥) انظر: سياسة عملية السلام ـ هاroold ساوندرز، ترجمة: حسين عبد الفتاح، (ص:١٥٦).

المطلب الثالث

البدائل المرشحة لخلافة دولة يهود

إذا كان القرن التاسع عشر قرن المسيحية، والقرن العشرون قرن اليهودية وقيام دولة إسرائيل وانتصارها على بضع وعشرين دولة عربية، وبضع وأربعين دولة إسلامية، فإن القرن الحادي والعشرين هو قرن الإسلام.

أي إذا نظرنا إلى الإسلام دينًا بين الدينين الشهيرين: اليهودية، والمسيحية، أو إذا نظرنا إليه باعتبار نظامه بين النظامين العالميين: الرأسمالية، والشيوعية، فإن الإسلام يتميز بأنه نسيج وحده، ويحمل عناصر الخلود في طبيعته، والإحياء لأمته، والانتشار لدعوته، مع مسيس حاجة العالم إليه، بوصفه رسالة التوازن الوحيدة التي يفتقر إليها الإنسان[1]، وسيتم استعراض التفاصيل التي تبين ذلك:

١. من قارن بين حال الأمة منذ قرن مضى وحالها اليوم؛ سيجد أن أوضاعها تغيرت إلى حد كبير إلى ما هو أحسن وأمثل، وهذا أمر يلاحظه ويشهد به كل مراقب يقظ للأحداث، في كل جانب من جوانب الحياة،وعلى مختلف الأصعدة والمستويات، الفكرية والأخلاقية والسلوكية، ومما يبين ذلك شهادة رجل غربي مثقف وهو د. هوفمان[2]، حيث يقول:"قد يكون من المفيد أن نفحص العالم كما هو الآن، فماذا نرى إذا فركنا أعيننا قليلاً؟ هل يتقدم الإسلام حقيقة أم أنه إذا تركنا المظاهر ينحدر؟ يجب على المرء أن يعرف كيف كانت الحال بمكة والمدينة في القرن السابق ليتعرف على التقدم الحادث، لدينا أوصاف يعتمد عليها من الحجاج الغربيين أمثال بروكارت، وريتشارد بيرتون، وهيترش فون مالتزان، حيث اتفق الثلاثة على تدهور حالة الأماكن المقدسة: القذارة، انعدام الأمن، انتشار الخرافات. وصدق أو لا تصدق شرب الخمر، والدعارة حول الحرم، بل وحتى داخله أحيانًا! لم تقم الصلاة بانتظام، حتى بين الحجاج، الذي هبط عددهم إلى ٧٠ألفًا عام ١٨١٤م، ثم إلى ٣٠ ألفًا عام ١٨٦٠م، ومن يحج أو يعتمر اليوم يجد التقدم هائلاً عن حالة القرن الماضي، فقد تم توسيع الحرم المكي والحرم المدني بجمال، والذين يحجون الآن طبقًا لحصص محددة لكل دولة لا تتعداها، وتممنع الكحوليات، أما السرقات فقليلة، وبالنسبة للنساء فلا يدخلن البلاد منفردات، والصلاة على مدار الساعة أمام أنظار العالم". والخلاصة أن ذلك التطوير نظر إليه كتهديد أصولي؛ مما جعل الإسلام يحتل القمة في ما يشغل الإعلام العالمي في الربع الأخير من القرن الحالي[3].

---

(١) انظر: مؤتمر واقع ومستقبل حركات الإسلام السياسي في الوطن العربي، (ص:٨٣).

(٢) مراد هوفمان، مفكر ألماني مسلم،ولد عام١٩٣١م، وله العديد من المؤلفات، انظر ترجمته في: http://ar.wikipedia.org يوم السبت ٢٠١٥/٥/٢٣م .

(٣) انظر: مستقبل الإسلام، أحمد النيفر، وأبو يعرب المرزوقي، وبرهان غليون، (ص:٢٥٦).

٢. لا يتوقع أحد أن يختفي الإسلام، ولكن أن يمتد بل وينفجر ! ويضع جنرالات الناتو في حسبانهم أن أكثر المواجهات العسكرية احتمالاً في المستقبل لن تكون بين الشرق والغرب، ولكن بين الشمال والجنوب، فالإسلام هو العدو المتنامي المرتقب، ويرجع بهذا الخوف المسلمون المهاجرون عند عودتهم لبلادهم، حيث أصبح تعداد المسلمين في كل من ألمانيا والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بالملايين(١).

٣. في التوقعات المستقبلية المذهلة لمحمد أسد في كتابه الهائل المشهور "الإسلام في مفترق الطرق"(٢) تكلم عن صعود الإسلام مقابل انحطاط الحضارة الغربية المادية، التي تشمل الاتحاد السوفييتي، حيث رأى أسد الحرب العالمية الثانية كصراع لا مفر منه بين القوى المادية في الحضارة الغربية، وتوقع أن يجلب هذا التناحر انحطاط الحضارة الغربية المادية حتى يتطلع الغرب إلى الحقيقة الروحية،وتصبح الدعوة الناجحة للإسلام ممكنة، وقد بدأت تلك الرؤيا غير دقيقة لمدة ستين عامًا، فبعد الحرب العالمية الثانية بدلاً من أن ينهار الغرب، انقسم إلى معسكرين ظهر أنهما يوازنان بعضهما البعض لعصور قادمة، واليوم بعد إفلاس النظام والعقيدة الشيوعية منذ ١٩٩٠م، وعلامات الخطر بأزمة روحية أخلاقية في الغرب، تمر فيها المسيحية بتغيير في المشروع، وما كان يسمى (مشروع التحديث) يتساقط أمام أعيننا، بدأ منظرو وعلماء الغرب يشكون إذا كانت افتراضاتهم الأساسية صحيحة(٣).

٤. لم تذهب ثمرات البعث الإسلامي وحركات الإحياء والتجديد صيحة في واد أو نفخة في رماد، بل أنشأت بفضل الله صحوة إسلامية كبرى في سائر ديار العرب والإسلام، بل حتى خارج ديار الإسلام، حيث الأقليات والجاليات الإسلامية في الغرب والشرق، صحوة أيقظت العقول والقلوب والعزائم، وأعادت للناس الثقة بالإسلام، والأمل في انتصاره، مما حذا بالقوى المعادية للإسلام أن تكيد لها، وتتآمر عليها، وهذا دليل على قوة التيار الإسلامي، وصلاحيته لقيادة الحياة، أجل إن الصهيونية وحليفتها الصليبية تخططان لضرب الإسلام وصحوته، وتمدان التيارات المعادية بكل أسباب القوة والانتشار والنفوذ، لكننا إذا تعمقنا في تقدير وزن القوى التي لنا والتي علينا؛ وجدنا كفة التيار الإسلامي بحمد الله أرجح وأثقل في الميزان، فنحن بالإسلام نملك رصيدًا ضخمًا لا تملكه دعوة أخرى وافدة من هنا أو هناك، (إنها قوة الجماهير المؤمنة بربها وقرآنها ونبيها)، ونملك كذلك قوة المنهج (قوة الإسلام) عقيدة وعبادة وأخلاق وأحكام، فلا

---

(١) انظر: مستقبل العالم الإسلامي: تحديات في عالم متغير: تقرير ارتيادي استراتيجي سنوي يصدر عن مجلة البيان، (ص:٣١٣).

(٢) انظر: الإسلام على مفترق الطرق ـ محمد اسد، ترجمة: صالح الحصين، (٢١-٣٥).

(٣) انظر: الإسلام عام ٢٠٠٠م ـ لمراد هوفمان ترجمة عادل المعلم، (ص:١٥-١٨).

طغيان لفرد على مجتمع، كما هي الرأسمالية، ولا لمجتمع على فرد، كما هي الماركسية، بل توازن وتكامل بلا طغيان ولا إخسار في الميزان[١].

٥. القوى التي تملكها الأمة المسلمة ومنها القوة البشرية: فنحن اليوم ما يزيد على المليار والربع، نعم العبرة بالكيف لا بالكم، ولكن الكم له أهمية أيضًا، وهاهم الغربيون في تقاريرهم يخافون من تزايد أعداد المسلمين، في حين يعانون هم منذ مدة من تناقص النسل عندهم بصورة أصبحت تفزعهم ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف:٨٦]، وثاني هذه القوى القوة المادية والاقتصادية: فنحن نمتلك من المعادن والثروات المذخورة في باطن الأرض وظاهرها، والثروات المائية والبحرية ما لا تملكه أمة أخرى، ويكفي أن لدينا معظم مخزون العالم من النفط، وموقعنا الجغرافي له قيمة كبيرة استراتيجية وحضارية، فهو ملتقى القارات ومنبع الحضارات ومهبط الرسالات، وثالث هذه القوى هي القوة الروحية: قوة رسالة الإسلام العامة الخالدة، التي ختم الله بها النبوات والرسالات، فهي رسالة ربانية، شاملة، عالمية، واقعية، وسطية، والعالم أحوج ما يكون إلى هذه الرسالة، لإنقاذه من المادية المسرفة، ومن النفعية المجحفة، ومن الإباحية القاتلة، ومن عصر الخوف والقلق والاكتئاب واليأس إلى عصر الأمن والسكينة والبهجة والأمل[٢].

٦. إن الأجانب الدارسين لطبيعة أمتنا ومذخور الطاقات في شعوبنا يدركون حقيقة ما نملك، جاء في كتاب (وجهة الإسلام)[٣]: "إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة تدعو إلى الدهشة، فهي تنفجر انفجارًا قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها، ما يدعو إلى الاسترابة في أمرها، إن الحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة، لا ينقصها إلا صلاح الدين من جديد، وكتب الرحالة الألماني باول شمتز: إن مقومات القوى في الشرق الإسلامي تنحصر في عوامل ثلاثة: في قوة الإسلام كدين، وفي وفرة مصادر الثروة الطبيعية، وفي خصوبة النسل البشري لدى المسلمين، فإذا اجتمعت هذه القوى الثلاث فتآخى المسلمون على وحدة العقيدة، وغطت ثروتهم الطبيعية حاجة تزايد عددهم، كان الخطر الإسلامي خطرًا منذرًا بفناء أوروبا، وبسيادة عالمية في منطقة هي مركز العالم كله"[٤].

---

(١) انظر: الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي الإسلامي ـ يوسف القرضاوي، (ص: ٩٩-١١٥)، والصحوة الإسلامية في عيون مختلفة ــ نعمان السامرائي، (ص:٨٩).

(٢) انظر: القوة في الإسلام ـ سيد سابق، (ص: ١١١).

(٣) وجهة الإسلام، نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي ـ تأليف: هـ.ا. ر. جب، و ل. ماسينيون، ولفتنانت كولونل فرار، ترجمة، محمد عبد الهادي، (ص: ٢٣٨)

(٤) انظر: الإسلام قوة الغد العالمية ـ بأول شمتز، (ص: ٢١٤).

٧. إن المحن الشداد التي تصب على رؤس المسلمين، والضربات القاسية التي تنهال عليهم من هنا وهناك، دليل على حياة وحركة وقوة، فإن الميت الهامد لا يضرب ولا يؤذى، إنما يضر ويؤذى الحي المتحرك المقاوم، إن الدعوة التي لا يضطهد أصحابها، ولا يؤذى دعاتها، دعوة تافهة أو ميتة، ثم إن المحن والاضطهادات برهان على حيوية المبدأ نفسه، وهي أبلغ معلم، وأعظم مربٍّ، تصفي النفوس بالشدة، وتمحص القلوب بالمحنة، وحسبنا قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾[آل عمران:١٣٩، ١٤١][(١)].

٨. المادية في الغرب قد تغلغلت في الفكر والسلوك والحياة، والتحلل والفساد الأخلاقي وصل إلى النخاع، والحضارة وفق سنن الله لا يمكن أن تستمر بلا أخلاق، والأخلاق لا يمكن أن تنمو إلا في ظلال الإيمان، ولقد رأينا ورأى العالم كله، كيف انهارت القوة العالمية الثانية وهي الاتحاد السوفيتي فجأة وبلا مقدمات تذكر، برغم ما يملك من ترسانة نووية ضخمة، وأسلحة استراتيجية جبارة، وقوة عسكرية واقتصادية هائلة، وما ذلك إلا لأن الخراب كان في الباطن لا في الظاهر، وفي المعنويات قبل الماديات، والغرب المنفرد الآن بالقوة والتأثير في الساحة العالمية ليس أحسن حالاً من نظيره السوفيتي[(٢)].

٩. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[الرعد:١١]، هذه السنة إذا طبقت على أهل الحضارة الغربية الذين مكن الله لهم الأرض وسخر لهم قواها وآتاهم من كل الثمرات وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، ووسع عليهم في الأرزاق فأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، خانوا أمانة القيادة والمسئولية وطغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، فهم أهل لأن يغيرهم الله، ويسحب القيادة منهم إلى غيرهم، وهم الذين تتغير أنفسهم من الشر إلى الخير، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الانحراف الى الاستقامة، ومن الفساد إلى الصلاح، ومن الكسل إلى العمل، ومن الرذيلة إلى الفضيلة، وهم المسلمون اليوم في عصر الصحوة الإسلامية [(٣)].

---

(١) انظر: مقال على شبكة الألوكة بعنوان: (المارد يتململ.. الحركات الإسلامية ونسائم الحرية)، http://www.alukah.net/culture/ يوم الخميس ٤/٦/٢٠١٥م .
(٢) الإنسان بين المادية والإسلام ـ محمد قطب، (ص:٦٣).
(٣) المبشرات بانتصار الإسلام ـ يوسف القرضاوي، (ص:٨٧).

وخلاصة القول[١]

وعد الآخرة حدث عظيم ضخم ينتظره عباد الله المؤمنون، فهو ليس معركة جزئية أو جانبية أو "قضية شرق أوسطية"، كما يظن بعض المكبوتين المستسلمين للأوضاع المزرية، إنها قضية عقدية، قضية الإسلام الكبرى، وما فلسطين إلا مقدمة من مقدمات وعد الآخرة.

ولاستقبال الموعود الإلهي (وعد الآخر) يجب أن تتوفر شروطه، فقبل أن يفي لأمة الإسلام الحجر والشجر ويخونها شجر الغرقد، ينبغي أن تبدل روح الجاهلية –أي اليهود– بروح الإسلام، وتعد العدة الكاملة، الروحية والمادية المتحزبة لله ﷻ؛ للتحرر من "حكم الجاهلية"، فتجتمع حبات عقدها الذي انفرط، ويلم شملها ويتوحد صفها على كلمة التوحيد وراية لا إله إلا الله ،لا على "حمية الجاهلية" و"النعرة القبلية" و"القومية المشتتة".

ينبغي أن تسود الأمة أخلاق الطهارة والنقاء والتوجه لله تعالى والدار الآخرة، لا ثقافة الفجور و"تبرج الجاهلية"، وينبغي أن يكون إيمان هذه الأمة المسلمة المستضعفة بالله وبركاته السماوية متناسقًا مع إيمانها بأسبابه الكونية وبسننه المطردة، منفتحًا ببصائر القلوب على الغيب والآخرة، خارقًا للعالم الحسي.

ولابد أن تعيد الأمة الوصلة بالسيرة النبوية الطاهرة، منها تستمد الخبرة والأسوة، ومنها تستقي الرحمة الحكمة، ومنها تتأسى في جهادها لاستقبال (وعد الآخرة)، كما جاهد النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، فاستقبلوا (وعد أولاهما) فكان النصر على أيديهم، وأذاق الله اليهود بأس العذاب.

بهذا تكون رحمة في الأرض بلسمًا يشفي النفوس المتعطشة إلى نور الإسلام، ويرفع الكرب عن المكروبين، ويرجع العزة للمستضعفين، ونارًا تحرق غرقد اليهودية الصهيونية الماسونية العالمية، وتستأصله من جذوره.

---

(١) انظر: مؤتمر استشراف مستقبل الصراع (٨٥٦/٢).

الخـــاتـــمـــة

وتشتمل على :

أولاً: أهم النتائج.

ثانياً: أهم التوصيات

الخاتمة

من خلال بحثي هذا توصلت إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وهي كالآتي:

أولاً: النتائج

١- سورة الإسراء من أكثر السور التي تعرضت لموضوعات العقيدة، وفصلتها بشكلٍ واضح.

٢- للتوحيد في سورة الإسراء مقاصد عظيمة، منها أنه السبب الأعظم في نيل رضا الله وثوابه، وأنه يمنع الخلود في النار، ويُسهل على العبد فعل الخيرات، كما أنه يُثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة.

٣- اشتملت سورة الإسراء على بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العُليا، وفي ذلك بيان أن أفضل أنواع التعبد لله تعالى، هو التعبد بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

٤- لأسماء الله الحسنى مقاصد عظيمة كفيلة بتهذيب سلوك الإنسان في كافة مناحي حياته، وبذلك يسعد في دنياه وفي آخرته.

٥- تحدثت السورة عن الشرك وبينت عاقبته الذميمة على المُشرك في الدنيا والآخرة.

٦- وضحت سورة الإسراء منهج القرآن في عرض قضايا العقيدة بمناهج دعوية ثلاثة، هي: المنهج العقلي، والمنهج العاطفي، والمنهج الحسي.

٧- تحدثت السورة عن عدد من الأنبياء والرُسل –عليهم السلام، وهم محمد ﷺ، وآدم، ونوح، وموسى، وداوود، وصالح –عليهم السلامُ جميعًا، كما بينت السورة حاجة الناس للرُسل، وذكرت مجموعةً من مهامهم.

٨- بينت السورة أفضلية الأنبياء بعضهم على بعض، وأن أفضل الرُسل والأنبياء والخلقِ أجمعين محمدٌ ﷺ صاحبُ المقامِ المحمود واللواء المعقود.

٩- بينت السورة تسلية الله ﷻ لرسوله الكريم ﷺ بمعجزة الإسراء والمعراج، حيث أراه الله من آياته الكبرى، كما برز من خلال السورة المقام والشرف العالي له ﷺ، من خلال وصفه بمقام العبودية لله تعالى.

١٠- بينت السورة تأييد الله تعالى لرسوله ﷺ بالمعجزة الخالدة معجزة القرآن الكريم.

١١- تحدثت السورة عن القرآن الكريم، وبينت مجموعة من خصائصه.

١٢- برز من خلالِ السورة عددٌ من وجوه إعجاز القرآنِ الكريم كالإعجازِ البيانيِّ، والإعجازِ التشريعي، والإعجازِ الغيبي، والإعجازِ العلمي، والإعجازِ التأثيري.

١٣- بينت السورة أن اليوم الآخر حقٌ لا ريبَ فيه، كما ذكرتْ تفاصيلَ ما يحدُثُ في هذا اليوم.

١٤- دحضت السورة مزاعم المشركين في إنكار البعث بالأدلة والبراهين والحُجج العقلية.

١٥- تحدثت السورة عن إفساد بني إسرائيل، وأنهم سيفسدون في الأرض مرتين، تكون المرة الثانية منها محفوفةً بالعُلوِ والتفوقِ.

١٦- بينت السورة قاعدة حاسمة وهي تجدد العقاب كلما تجدد الإفساد في الأرض من قِبل اليهود، تَجَلَّت في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨].

١٧- خِلافُ العلماءِ في تحديدِ زمن مرتي الإفساد لا يقدح في حتمية زوال دولة يهود، وانتهاء ظلم اليهود، وإفسادهم واغتصابهم لأرض فلسطين.

١٨- برز من خلال السورة أهمية المسجد الأقصى، والربط بينه وبين المسجد الحرام، وفي ذلك تحفيز لهمم المسلمين بأن يهبوا لتحريره من دنس الصهاينة الخاصبين.

١٩- نهاية دولة يهود حتمية قرآنية وسنة نبوية وإرهاصات واقعية، ونصر المؤمنينَ على اليهود آتٍ لا محالة طالَ الزمان أمْ قصُرْ.

٢٠- تميزت سورة الإسراء بطريقة عرض قصة بني إسرائيل حتى سميت بسورة بني إسرائيل، دون غيرها من السور التي تكرر فيها ذكر قصص لبني إسرائيل كسورة البقرة وآل عمران وغيرها من السور.

ثانيًا: التوصيات

١. الاهتمام بمادة العقيدة الإسلامية، وتزويد المدارس بمنهج مُستقل لها، على أن يتم تدريس هذا المنهاج في المراحل الأساسية للدراسة، وعدم الاكتفاء بتدريسها ضمن منهاج التربية الإسلامية فقط أو في القسم الشرعي في المدارس الثانوية فحسب، فالعقيدة لها الدور الأساس في تأسيس الجيل المسلم.

٢. تسليط الضوء على أسماء الله الحسنى وصفاته العُلا، والاهتمام بالحديث عنها في الخُطَب والمواعظ ودروس العلم، لما لها من دَور مهم في صقل شخصية المسلم، والتأثير على سلوكه.

٣. أُوصي الباحثين وطُلاب العلم بالتركيز على الاهتمام بدراسة القضايا العقدية في سور القرآن الكريم، والقيام بعمل سلسلة تشمل كافة سور القرآن الكريم.

وفي الختام:

أسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل المتواضع في ميزان حسناتي، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين ومحبي العلم، وأن يغفر لي ما وقعت فيه من خلل أو تقصير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهمَّ وسلم على المبعوث رحمة للعالمين.

الفهارس العامة

ويشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة الأنفال		
﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ ... ﴾	١٠	٢٩
﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾	١٢	٢٩٠
﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٢	٢٨٧
﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾	٦٥	٢٨٩
سورة التوبة		
﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾	١٢٨	٦١
سورة يونس		
﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ ... ﴾	٢٢	٢٠٢
﴿ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾	٢٥	٨٠
﴿ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾	٦١	٢٤٧
سورة هود		
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا ... ﴾	١٣	١٩٧
﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾	٤٠	١٢٣
﴿ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾	٧٣	٦٩
سورة يوسف		
﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ... ﴾	١١٠	١٨٣
سورة الرعد		
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾	١١	٣٠٧

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ... ﴾	٩	١٤، ٣٤، ٤٣، ١٠٤، ١٣٤
﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	١٠	١٠٧
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ...﴾	١٢	١٣، ٢٢، ١١٢، ٢٦٠
﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... ﴾	١٣	١٠٠، ١٠٨، ٢٣٩
﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ... ﴾	١٥	٤٣، ١٣٥، ٢٠٤، ٢٢٥
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ ... ﴾	١٦	١٠٨، ٢٧٢
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ ... ﴾	١٧	٥٤، ٦٣، ١٢٠
﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ ... ﴾	١٨	١٣٥، ٢٢٩، ٢٤٩
﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ ... ﴾	١٩	٣٤، ٤٢، ١٠٧، ٢٢٦
﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾	٢٠	٢٤، ٢٨، ٨٤
﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ ... ﴾	٢١	١٠٧، ٨٤
﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴾	٢٢	٣٤، ٣٦
﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ...﴾	٢٣	٢٧، ٢٨، ٣٧
﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا ... ﴾	٢٤	٥٤، ٢٠٢
﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ ... ﴾	٢٥	٥٩، ٧٣، ١٠٧

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾	٥٠	١٣٥
﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي ... ﴾	٥١	٩٧، ٢٢٥
﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ... ﴾	٥٣	١١٠، ١١٣، ١٣٢
﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا ... ﴾	٥٤	٢٧٢
﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ ... ﴾	٥٥	١٢٠، ١٢٧، ١٣٨
﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ ...﴾	٥٦	٩٦، ١٠٢
﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾	٥٧	٤١
﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا ... ﴾	٥٨	٤٢، ١٠٨
﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾	٥٩	١٠٤، ١٠٩، ١٢٠
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ... ﴾	٦٠	١٨٣
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ... ﴾	٦١	٢٦، ١٠٣، ٧٥، ١٠٩، ١٢٠
﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾	٦٣	٣٤
﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾	٦٤	١٠٠
﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾	٦٥	٢٦، ٢٨، ٤٢، ٦٤
﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ ... ﴾	٦٦	٢٥، ٦٠
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا ...﴾	٦٧	٢٦، ١١٢

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة المؤمنون		
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	١٤	٧٦
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا﴾	٤٤	١١٧
﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴾	٥٥	٢٨٢
﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٨٠	٢٢
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾	١١٥	٢٢٥
سورة النور		
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ...﴾	٥٥	١٨٣
سورة الفرقان		
﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾	٣٣	١٠١
﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ ... ﴾	٤٨	٢٠٣
سورة الشعراء		
﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ ... ﴾	٩٢	٢٤٥
قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾	٩٦	٣٥
سورة النمل		
﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	٩٣	٢١١
سورة القصص		
﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ ... ﴾	٣٥	١٢٦
﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾	٦٢	٢٤٥
﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ ...﴾	٧٠	٢٦٠

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	١١٩
﴿كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾	٨	٢٥٧
سورة الحاقة		
﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾	٥	٢٦٣
﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنا ... ﴾	٤٤	١٣٦
سورة القيامة		
﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾	٣	٢٥٥
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾	١٧	١٨٩
سورة الإنسان		
﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	٢	٤٨
سورة النازعات		
﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾	٩	٢٥٧
﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾	٢٧	٢١
سورة الانشقاق		
﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾	٨	٢٣٩
سورة البروج		
﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	٩	٦٨
سورة العصر		
﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	١ – ٢	٢٨٧

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		سورة الأعلى
٧٦	٢–٣	﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى *وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾
		سورة العلق
١٣٠	١–٥	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
		سورة الكوثر
٨٤	١	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً: فهرس الكتاب المقدس

م	طرف الفقرة	السفر	الإصحاح	رقم الفقرة
١.	"اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذُ أَمْسِ وَلاَ أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ، .."	الخروج	٤	١٠- ١٥
٢.	"اِصْعَدْ إِلَى جَبَلِ عَبَارِيمَ هذَا، جَبَلِ نَبُو الَّذِي فِي أَرْضِ مُوآبَ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، ..."	التثنية	٣٢	٤٩- ٥٢
٣.	"جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، ..."	التثنية	٣٣	٢- ٣
٤.	"فَأبتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا، وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ"	التكوين	٩	٢٠- ٢١
٥.	"فأبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ ...»	التكوين	٩	٢٢- ٢٥
٦.	"فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ الإِنْسَانَ"	التكوين	٢	٢٣- ٢٤
٧.	"قَالَ لِيَ الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، ..."	التثنية	١٨	١٧- ٢٠
٨.	"هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلهًا، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ"	التثنية	٣٢	٢١
٩.	"وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ،هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا،..."	التكوين	١٧	٢٠
١٠.	"وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ"	التكوين	١٠	٦
١١.	"وَكَانَ مُوسَى ابْنَ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَهَارُونُ ابْنَ ثَلاَثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً حِينَ كَلَّمَا فِرْعَوْنَ"	الخروج	٧	٧
١٢.	"وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ"	التثنية	٣٤	١٠
١٣.	"وَهؤُلاَءِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكُوا فِي أَرْضِ أَدُومَ، قَبْلَمَا مَلَكَ مَلِكٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ"	التكوين	٣٦	٣١
١٤.	فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ، وَدَفَنَهُ ..."	التثنية	٣٤	٥- ٦

رابعاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

خامساً: قائمة المصادر والمرجع

أولاً :القرآن الكريم

ثانياً : باقي المصادر والمراجع

١. أبجديات التصور الحركي ـ لفتحي يكن ـ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥

٢. الإتقان في علوم القرآن ـ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ـ ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٣. الآثار السلوكية لمعاني أسماء الله الحسنى _ جمع وترتيب رياض أدهمي _ قدم له فضيلة الشيخ عبد الرزاق الحلبي وفضيلة الشيخ نور الدين قرة علي _ المكتب الإسلامي _ بيروت _دمشق _ عمان ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ _١٩٩٩ م

٤. الأدلة العقلية والنقلية على أصول الإعتقاد ـ سعود بن عبد العزيز بن محمد العريفي ـ دار عالم الفوائد ـ المملكة العربية السعودية ـ ط١ـ ١٤١٩هـ

٥. إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية – لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

٦. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ـ أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني ـ المطبعة الكبرى الأميرية، مصرـ ط٧، ١٣٢٣ هـ

٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم= تفسير أبي السعود ـأبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ بدون رقم طبعة

٨. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، ط ٤ – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩

٩. أركان الإيمان ـ علي محمد الصلابي ـ دار التوزيع والنشر ـ القاهرة ـ مصر ـ ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م

١٠. استخراج الجدال من القرآن الكريم ـ ناصح الدين أبي الفرج عبد الرحمن الأنصاري(ابن الحنبلي) بدون طبعة ولا ناشر

١١. الإسراء والمعراج ـ دروس ونفحات ـ فضل حسن عباس ـ دار الفرقان ـ ط١ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

١٢. الإسراء والمعراج ـ للسيوطي ـ الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء ـ خرج أحاديثه أبو عبد الله القاضي ـ دار الحديث القاهرة ـ ١٤٠٩ـ بيروت لبنان ـ بدون رقم طبعة

١٣. الإسراء والمعراج وأثرهما في تثبيت العقيدة، رزق هيبة، دار غريب، القاهرة، بدون رقم طبعة

١٤. الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها. أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتبة الإسلامية ـ الطبعة: ٢٠٠٠م ١٤٢١هـ

١٥. إسرائيل البداية والنهاية، د. مصطفى محمود، دار أخبار اليوم، ١٩٩٧م بدون رقم طبعة

١٦. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام _ علي عبد الواحد وافي _ مكتبة نهضة مصر ـ بالفجّالة _ ط١ _ ١٣٨٤ هـ _ ١٩٦٤ م

١٧. الإسلام أصوله ومبادؤه ـ محمد بن عبد الله بن صالح السحيم ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ـ ط١، ١٤٢١هـ

١٨. الإسلام عام ٢٠٠٠م، لمراد هوفمان ترجمة عادل المعلم، دار الشروق القاهرة ١٩٩٥م

١٩. الإسلام على مفترق الطرق، محمد اسد، ترجمة: صالح الحصين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م

٢٠. الإسلام قوة الغد العالمية، بأول شمتز، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٣ـ بدون رقم طبعة

٢١. الإسلام ومعضلات الاقتصاد، لأبي يعلى المودودي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م ـ بدون رقم طبعة

٢٢. أسماء الله الحسنى، تاج الدين نوفل، ط١،دار الأمين،١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م

٢٣. أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة – د. عمر سليمان الأشقر – دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن – ط٦ – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣

٢٤. أسماء وصفات الله تعالى المركبة في القرآن الكريم ـ أحمد بن علي ـ بدون طبعة ولا دار للنشر

٢٥. الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي ـ ضبط النص وشرح مادته اللغوية: محمد حسن جبل ـ خرج أحاديثه وعلق عليه :

طارق أحمد محمد ـ أشرف عليه وقدم له مجدي فتحي السيد ـ أعد فهارسه وراجعه : قسم التحقيق بالدار ــ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ ط١ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م

٢٦. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ـ نخبة من العلماء ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ

٢٧. أصول الدعوة وطرقها٢ـ مناهج جامعة المدينة العالميةـ جامعة المدينة العالمية ـ بدون رقم طبعة

٢٨. أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس ـ دار الصميعي المملكة العربية السعودية ـ بدون رقم طبعة

٢٩. أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام أبو جعفر الطحاوي ـ مع منتخبات اختارها عبد المنعم صالح العلي العزي من شرح العلامة علي بن أبي العز الأذرعي ـ بدون رقم طبعة

٣٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي دارالفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان،١٤١٥، هـ – ١٩٩٥ م ـ بدون رقم طبعة

٣١. إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي، دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية ـ ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م

٣٢. اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، محمد بن عبد الرحمن الخميس، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ

٣٣. اعتقاد أئمة الحديث ـ أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني ت: محمد بن عبد الرحمن الخميس،دار العاصمة – الرياض، ط١، ١٤١٢هـ

٣٤. الإعجاز الطبي في القرآن ـ السيد الجميلي ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط٣، ١٩٨٦م

٣٥. الإعجاز الطبي في القرآن والسنة ـ محمد داوود الجزائري ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، لبنان ـ الطبعة الأخيرة ـ ٢٠٠٠م

٣٦. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـ سليمان الطراونة ـ دار الفرقان، عمان، الأردن ـ ط١ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

٣٧. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـ محمد سامي محمد علي ـ دار المحبة، دمشق ـ بدون رقم طبعة

٣٨. إعجاز القرآن ـ عبد القادر حسين ـ بدون طبعة ولا دار للنشر

٣٩. اعجاز القرآن الكريم ـ فضل حسن عباس ـ سناء فضل عباس ـ عمان ـ بدون رقم طبعة ـ ١٩٩١م

٤٠. إعجاز القرآن– للقاضي أبي بكر الباقلاني، ت: الأستاذ أبو بكر عبد الرازق – مكتبة مصر– الفجالة – القاهرة – بدون رقم طبعة – ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م

٤١. الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ـ مناهج جامعة المدينة العالمية ـ جامعة المدينة العالمية ـ بدون رقم طبعة

٤٢. الأعلام ـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، أيار/ مايو ٢٠٠٢م

٤٣. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (الكتاب نشر – أيضا – بعنوان: ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية) ـ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ت: حازم القاضي ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ـ ط٢، ١٤٢٢هـ

٤٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ـ ت: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م

٤٥. أعلام النبوة ـ للماوردي ـ أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ــ ط١ـ ١٤٠٩هـ

٤٦. الإعلام اليهودي المعاصر، يوسف أبو هلالة، مكتبة الرسالة، عمان، ١٩٨٧م بدون رقم طبعة

٤٧. الإعلام قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي، لمحمد سعد الدين، دار بيروت المحروسة، ١٩٩١م

٤٨. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ــ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ــ ت: محمد حامد الفقي،مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية ـ بدون رقم طبعة

٤٩. الاقتصاد في الاعتقاد ـ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين ـ ت: أحمد بن عطية بن علي الغامدي ـ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ـ ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م

٥٠. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرـ لمحمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان، ط٤، ١٩٨٧م

٥١. الإنتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية،سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين ،ت: سالم بن محمد القرني،مكتبة العبيكان – الرياض،ط١، ١٤١٩هـ

٥٢. الإنسان بين المادية والإسلام ـ محمد قطب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٤، ١٩٦٥م

٥٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١- ١٤١٨هـ

٥٤. أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية، محمود شيت خطاب، ط٣، ١٩٧٠م

٥٥. آيات من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـ جمال الدين حسين مهران ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ بدون رقم طبعة ـ ١٩٩٢م

٥٦. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد ـ ابن الوزير، محمد بن إبراهيم ـ دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٩٨٧م

٥٧. إيجاز البيان عن معاني القرآن ـ لمحمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين،ت: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١- ١٤١٥ هـ.

٥٨. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ـ لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٥٩. الإيمان أركانه،حقيقته، نواقضه، محمد نعيم ياسين ـ بدون طبعة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م

٦٠. الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ـ عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١ـ ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م

٦١. بحر العلوم ـ لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بدون طبعة

٦٢. البحر المحيط في التفسير ـ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت،ط ١٤٢٠هـ

٦٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي ـ ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان ـ الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ـ ١٤١٩ هـ ـ بدون رقم طبعة

٦٤. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ـ بدون رقم طبعة

٦٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، بدون رقم طبعة

٦٦. بنو إسرائيل في القرآن والسنة، لسيد طنطاوي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م بدون رقم طبعة

٦٧. بنو إسرائيل في ميزان القرآن، للبهي الخولي، دار القلم بدمشق، ط١، ٢٠٠٣م

٦٨. بنو إسرائيل والإفساد الأول والثاني والثالث ونهايتهم على أيدي أصحاب مملكة المسلمين الأبدية ـ خليل حسن جابر، دار المحجة البيضاء، ط٢، ٢٠٠٣م

٦٩. بيان المعاني ـ لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني، مطبعة الترقي – دمشق، ط١، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م

٧٠. بيت المقدس والمسجد الأقصى، لمحمد حسن شراب، دار القلم، بيروت، ١٩٩٤م ـ بدون رقم طبعة

٧١. تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ت :مجموعة من المحققين ـ دار الهداية ـ بدون رقم طبعة

٧٢. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ـ ت: عمر عبد السلام التدمري ـ دار الكتاب العربي، بيروت

٧٣. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ـ عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ـ دار الأندلس الخضراء ـ جدة ـ ط١ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م

٧٤. تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، ط٥، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م

٧٥. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني،ت: كمال يوسف الحوت،عالم الكتب – لبنان،ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

٧٦. التبيان شرح أركان الإيمان ـ د سعد عاشور، مكتبة آفاق ـ غزة ـ فلسطين ط٤ـ ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م

٧٧. التبيان في علوم القرآن ـ محمد علي الصابوني ـ دار الصابوني ـ ط٢ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م

٧٨. تجسيد الوهم، دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية ـ قدري حفني، مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية، القاهرة، ١٩٧١م

٧٩. تحرير ألفاظ التنبيه ـ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت: عبد الغني الدقر، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ

٨٠. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ـ الدار التونسية للنشر – تونس ـ بدون رقم طبعة

٨١. تحريم النظر في كتب الكلام ـ أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي ،ت: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية،عالم الكتب – السعودية – الرياض، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م

٨٢. التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية ـ فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي الدوسري،مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٣ـ ١٤١٣هـ

٨٣. تخريج العقيدة الطحاويةـ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المعروف بالطحاوي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت،ط٢، ١٤١٤ هـ

٨٤. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ـ ت: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم ـ مكتبة دار، الرياض ـ ط١، ١٤٢٥ هـ

٨٥. التربية البدنية في الإسلام ـ محمد الردع، المكتبة الأموية، دمشق، ط١، ١٩٧٠ ٠

٨٦. التربية القيادية ـ منير الغضبان ـ دار الوفاء، المنصورة ـ ط١ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م

٨٧. تسهيل العقيدة الإسلامية ـ عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، دار العصيمي ـ ط٢

٨٨. التسهيل لعلوم التنزيل ـ أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي ت: عبد الله الخالدي ـ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ـ ط١- ١٤١٦هـ

٨٩. التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق، القاهرة ـ ط١٦. ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م

٩٠. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور ـ محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني،ت:عبد المحسن بن حمد العباد البدر، مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط١، ١٤٢٤هـ

٩١. التعريفات ـ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ـ ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١ـ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

٩٢. تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ـ محمد بن صالح بن محمد العثيمين ـ ت: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ـ مكتبة أضواء السلف ـ ط٣ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م

٩٣. التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية ـ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ـ دار العاصمة ـ بدون رقم طبعة

٩٤. التعليقات على متن لمعة الاعتقاد ـ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين ـ اعتنى به :أبو أنس علي أبو لوز ـ دار الصميعي ـ ط١. ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م

٩٥. تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ـ ت: عبد السلام عبد الشافي محمد ـ دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط١ – ١٤٢٢ هـ

٩٦. تفسير أسماء الله الحسنى ـ إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ت:أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، بدون رقم طبعة

٩٧. تفسير أسماء الله الحسنى ـ أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، ت: عبيد بن علي العبيد،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،ط: العدد ١١٢ – السنة ٣٣ –١٤٢١هـ

٩٨. تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، د. زغلول النجار – مكتبة الشروق الدولية – القاهرة – ط١– ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م

٩٩. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ١٣٨٣ هـ بدون رقم طبعة

١٠٠. تفسير الشعراوي – الخواطر – محمد متولي الشعراوي – مطابع أخبار اليوم ـ١٩٩٧م بدون رقم طبعة

١٠١. تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن ـ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ـ ت: أحمد محمد شاكر ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

١٠٢. تفسير القرآ ن الحكيم ـ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م

١٠٣. تفسير القرآن العظيم ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ـ ت: سامي بن محمد سلامة ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

١٠٤. تفسير القرآن العظيم ـ لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم،ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط٣– ١٤١٩ هـ

١٠٥. تفسير القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ محمد بن صالح العثيمين ـ دار ابن الجوزي ـ ط٣ـ ١٤٣٥هـ

١٠٦. تفسير القرآن الكريم ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ـ ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ـ دار ومكتبة الهلال – بيروت ـ ط١ – ١٤١٠ هـ

١٠٧. التفسير القرآني للقرآن– عبد الكريم يونس الخطيب – دار الفكر العربي – القاهرة ـ بدون رقم طبعة

١٠٨. تفسير المراغي– أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م

١٠٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ـ د وهبة بن مصطفى الزحيلي،دار الفكر المعاصر – دمشق،ط٢، ١٤١٨ هـ

١١٠. التفسير الواضح ـ محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد – بيروت، ط١٠– ١٤١٣ هـ

١١١. التفسير الوسيط ـ وهبة بن مصطفى الزحيلي،دار الفكر – دمشق، ط١– ١٤٢٢ هـ ـ

١١٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم – محمد سيد طنطاوي – دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع– الفجالة، القاهرة – ط١ – فبراير ١٩٩٨

١١٣. تفسير عبد الرزاق ــ لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ

١١٤. تفسير مجاهد ـ لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، ت: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م

١١٥. تفسير يحيى بن سلام ـ ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

١١٦. تقريب التدمرية ــ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام ط١ ١٤١٩هـ

١١٧. تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام ـ د.محمد حسن محمد سبتان ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

١١٨. التمهيد لشرح كتاب التوحيد ــ دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طُبعت، دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

١١٩. التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة ــ أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي ،دار طيبة – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ

١٢٠. تهذيب اللغة ــ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت ،محمد عوض مرعب ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١، ٢٠٠١م

١٢١. توحيد الخالق ـ عبد المجيد عزيز الزنداني ـ دار السلام ـ دار المجتمع ـ ط١ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م

١٢٢. التوقيف على مهمات التعاريف ـ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ـ عالم الكتب – القاهرة ـ ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

١٢٣. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ــ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ،ت: زهير الشاويش،المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢ م

١٢٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، طـ١ـ ١٤٢٠ـ هـ -٢٠٠٠ م

١٢٥. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ــ أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي ــ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعوديةـ ط١، ١٤٢٢هـ

١٢٦. الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض ــ بدون رقم طبعة

١٢٧. جامع البيان في تأويل القرآن ــ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ـ ت: أحمد محمد شاكر ــ مؤسسة الرسالة ــ ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

١٢٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ــ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ــ ت: محمد زهير بن ناصر الناصر ــ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ـ ط١، ١٤٢٢هـ

١٢٩. الجامع في الحديث لابن وهب ـ أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي ـ ت: د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخيرـ دار ابن الجوزي – الرياض ــ ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

١٣٠. الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ـ ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة

١٣١. الجامع لأسماء الله الحسنى ـ ابن قيم الجوزية ـ القرطبي ـ ابن كثيرـ العلامة السعدي ـ دراسة وتحقيق : حامد أحمد الطاهر ــ دار الفجر للتراث ــ القاهرة ــ ط١، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م

١٣٢.الجدار العازل ـ صراع الدبلوماسية من مجلس الأمن إلى المحكمة الدولية ـ نبيل العربي، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠١٢ م

١٣٣.جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ـ عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان ـ مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية ـ ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

١٣٤.جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية،أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني، دار الصميعي، ط١- ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

١٣٥.الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ـ ت: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد ـ دار العاصمة، السعودية ـ ط٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

١٣٦.الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواءمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،دار المعرفة - المغرب، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

١٣٧.حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ـ المسمى تُحفة المريد على جوهرة التوحيد ـ حققه وعلق عليه وشرح غريب ألفاظه . علي جمعة محمد الشافعي ـ دار السلام، القاهرة، مصر ـ ط١. ١٤٢٢هـ. ٢٠٠٣م

١٣٨.حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ـ أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (نسبة إلى بني عدي، بالقرب من منفلوط) ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي ـ دار الفكر - بيروت ـ بدون رقم طبعة ـ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

١٣٩.حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك، الشهير بـ «بَحْرَق» دار المنهاج - جدة ـ ت: محمد غسان نصوح عزقول، ط١- ١٤١٩هـ

١٤٠.الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية، بني موريس، ترجمة: الياس فرحات، دار الحرف العربي، بيروت، ١٩٩٨م ـ بدون رقم طبعة

١٤١.حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ـ عبد الله بن صالح الفوزان، مكتبة الرشد، بدون رقم طبعة

١٤٢.الحق الواضح المبين _عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي _ دار ابن القيم _ ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ _ ١٩٨٧ م

١٤٣.حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينيةـ لصلاح الخالدي، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، ط٢، ١٩٩٥م

١٤٤.خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ـ محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة ،دار الفكر العربي القاهرة ١٤٢٥ هـ ـ بدون رقم طبعة

١٤٥.الخطر اليهودي، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م ـ بدون طبعة

١٤٦.درء تعارض العقل والنقل – تقي الدين أبوا لعباس– ت د. محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ – ١٩٩١م

١٤٧.دراسات في الأديان ـ د عماد الدين الشنطي ـ دار المنارة غزة ـ ط٢ـ ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م

١٤٨.دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ـ سعود بن عبد العزيز الخلف ـ مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ـ ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

١٤٩.دراسات في علوم القرآن ـ محمد بكر إسماعيل ـ دار المنار ـ ط٢، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م

١٥٠.دراسات في علوم القرآن الكريم ـ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ـ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ــ ط١٢، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

١٥١.درج الدرر في تفسير الآي والسور ـ لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

١٥٢.الدعوة إلى الله تعالى ـ عبد الرب نواب الدين آل نواب ـ دار القلم دمشق ـ الدار الشامية بيروت ـ ط١، ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م

١٥٣.دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون ـ عبد الله بن عبد القادر التليدي ـ دار ابن حزم، بيروت، لبنان ـ ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

١٥٤.دلائل النبوة ـ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ت: د. عبد المعطي قلعجي ـ دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث ـ ط١– ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

١٥٥.دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي ،اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

١٥٦.رحلة إلى الدار الآخرة ـ جمع وترتيب ـ محمود المصري ـ دار البيان الحديثة ـ القاهرة ـ ط١ـ ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

١٥٧.الرد على شبهات المستعينين بغير الله ـ أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى ـ مطبعة دار طيبة _ الرياض _ السويدي ـ ١٤٠٩ـ ١٩٨٩م ـ بدون رقم طبعة

١٥٨.رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي الجزائري ـ ت: أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية ط١ ـ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

١٥٩.الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط٤، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م

١٦٠.ركائز الإيمان ـ محمد قطب ـ دار الشروق ـ ط١ـ١٤٢٢هـ ،٢٠٠١م

١٦١.روح البيان – إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي، دار الفكر – بيروت ـ بدون رقم طبعة

١٦٢.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ـ ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤١٥ هـ

١٦٣.الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت ـ بدون رقم طبعة

١٦٤.زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتاب العربي – بيروت ـ ط١– ١٤٢٢ هـ

١٦٥.زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ـ ط٢٧، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م

١٦٦.زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ـ دار الفكر العربي ـ بدون رقم طبعة

١٦٧.زوال إسرائيل ٢٠٢٢م، نبوءة أم صدف رقمية، مكتبة البقاع الحديثة، لبنان، ط٣، ٢٠٠٢م

١٦٨.زوال دولة إسرائيل حتمية قرآنية، للشيخ أسعد بيوض التميمي، الأهلية، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م

١٦٩.سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ـ ت: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ـ بدون رقم طبعة

١٧٠.السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي ـ حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي ـ أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط ـ قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ مؤسسة الرسالة – بيروت ـ ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

١٧١.سياسة عملية السلام، هاroوولد ساوندرز، ترجمة: حسين عبد الفتاح، معهد المشاريع الأمريكي، أمريكا، ١٩٨٥م

١٧٢.سيدنا محمد أعظم الخلق، فوزي إبراهيم ـ ط١ـ الجيزة ـ دار الفاروق للاستثمارات الثقافية ـ ٢٠٠٦ ـ ط١.

١٧٣.سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد الذهبي – دار الحديث – القاهرة بدون رقم طبعة، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م

١٧٤.السيرة النبوية، دروس وعبر، مصطفى بن حسني السباعي ـ المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م

١٧٥.السيرة النبوية، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي ـ دار ابن كثير – دمشق ط١٢– ١٤٢٥ هـ

١٧٦.السيرة النبوية، محمد عبد القادر أبو فارس ـ دار الفرقان ـ إربد ـ ط٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م

١٧٧.السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد أبو شُهبة ،دار القلم – دمشق، ط٨– ١٤٢٧ هـ

١٧٨.السيرة النبوية لابن هشام ـ عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م

١٧٩.شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ت :أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط٣ـ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

١٨٠.الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تاريخ وسمات ومصير، لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٨م

١٨١. شرح الأصول الثلاثة ـ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١- ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

١٨٢.شرح العقيدة الأصفهانية ـ تقي الدين أبو العباس ابن تيمية ـ ت محمد بن رياض الأحمد ـ

١٨٣.شرح العقيدة السفارينية - الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية،محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٦ هـ

١٨٤.شرح العقيدة الطحاوية ـ صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي ـ ت: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي ـ مؤسسة الرسالة - بيروت ـ ط١٠، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

١٨٥.شرح العقيدة الطحاوية ـ عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك ـ إعداد عبد الرحمن بن صالح السديس ـ دار التدمرية ـ ط٢، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م

١٨٦.شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنّةَ ـ د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان

١٨٧.شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف،دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر ط٣، ١٤١٥ هـ

١٨٨.شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ،دار الثريا للنشر، ط٤، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

١٨٩.شرح صحيح البخاري _ ابن بطال أبو الحسن علي _ ت : أبو تميم ياسر بن إبراهيم _ مكتبة الرشد _ السعودية ، الرياض _ ط ٢ ، ١٤٢٣ هـ _ ٢٠٠٣ م

١٩٠.شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي - حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامدأشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.

١٩١.الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ـ دار ابن حزم ـ بدون رقم طبعة

١٩٢.شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ـ دار المعرفة، بيروت، لبنان . بدون رقم طبعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

١٩٣.الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة ـ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ـ مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية ـ ط١١- العدد الرابع- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م

١٩٤.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ـ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين – بيروت، ط ٤هـ – ١٩٨٧م

١٩٥.الصحوة الإسلامية في عيون مختلفة ـ نعمان السامرائي، دار المنارة، جدة، ١٩٩٢م ـ بدون رقم طبعة

١٩٦.الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي الإسلامي ـ يوسف القرضاوي، الدوحة، ١٩٨٨م ـ بدون رقم طبعة

١٩٧.صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ـ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ـ ت: شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة – بيروت ـ ط٢، ١٤١٤ – ١٩٩٣

١٩٨. صحيح ابن خزيمة ـ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري ـ ت: د. محمد مصطفى الأعظمي ـ المكتب الإسلامي – بيروت

١٩٩.صحيح الجامع الصغير وزياداته ـ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ـ المكتب الإسلامي

٢٠٠.الصحيح من الإسراء والمعراج، خير الدين وانلي _ دار ابن الأثير، دار ابن حزم، ط١ ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م

٢٠١.الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه،أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ

٢٠٢. صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ـ علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الدرر السنية – دار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م

٢٠٣. صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م

٢٠٤. طريق الهجرتين وباب السعادتين،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ

٢٠٥. العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ـ ت: خالد بن عثمان السبت،إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد،دار عالم الفوائد مكة المكرمة، ط٢ـ، ١٤٢٦ هـ

٢٠٦. العقائد الإسلامية ـ سيد سابق ـ دار سابق ـ بدون رقم طبعة

٢٠٧. العقيدة الإسلامية وأُسسها _ عبد الرحمن حنبكة الميداني ـ دار القلم، دمشق، بيروت ـ ط٢،١٣٩٩هـ ،١٩٧٩م

٢٠٨. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ـ محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، ط١ـ ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م

٢٠٩. عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ـ بدون طبعة ولا دار للنشر

٢١٠. عقيدة السلف وأصحاب الحديث _ أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني _ ت : أبي عبد الله عبد الرحمن الشميري _ تقديم يحيى بن علي الحجوري _ دار عمر بن الخطاب _ مصر _ القاهرة _ ط ١ _ ١٤٢٨ هـ _ ٢٠٠٧ م

٢١١. عقيدة المؤمن _ أبو بكر الجزائري _ دار العقيدة _ القاهرة _ مكتبة العلوم والحكم السعودية _ بدون رقم طبعة

٢١٢. علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح – دمشق،ط١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م

٢١٣. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العينى ،دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ بدون رقم طبعة

٢١٤. العمل الجماعي، محاسنة وجوانب النقص فيه ـ لعبد الوهاب الديلمي، دار الهجرة، صنعاء، ط١، ١٩٩١م

٢١٥. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ــ ت :د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ،دار ومكتبة الهلال

٢١٦. غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق ت: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى – مكة المكرمة ـ ط١، ١٤٠٥هـ

٢١٧. الفتاوى الكبرى لابن تيمية ـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ،دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م

٢١٨. فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي – قسم العقيدة،عبد الرزاق عفيفي ،بدون رقم طبعة

٢١٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري،أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ـ قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب،عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ بدون رقم طبعة

٢٢٠. فتح القدير ــ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ـ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ـ ط١– ١٤١٤ هـ

٢٢١. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد– عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، ط ٧، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م

٢٢٢. فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ،دار الوطن للنشر، الرياض، بدون رقم طبعة

٢٢٣. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية ـ حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ـ مكتبة دار البيان، دمشق . ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م

٢٢٤. فقه الأسماء الحسنى ــ عبد الرزاق بن محسن البدر ـــ دار التوحيد، الرياض ــ ط١، ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م

٢٢٥. فقه السيرة ــ محمد الغزالي السقا، دار القلم – دمشق ـ ط١، ١٤٢٧ هـ

٢٢٦.فقه السيرة النبوية ـ محمد سعيد البوطي ـ دار السلام للطباعة والنشر ـ ط١٩ـ ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م

٢٢٧.فقه السيرة النبوية ـ منير محمد الغضبان ـ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط١ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م

٢٢٨.فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم ـ علي الصلابي، ط١، ٢٠٠٦م

٢٢٩.فقه قراءة القرآن الكريم ـ أبو خالد سعيد عبد الجليل يوسف صخر المصري، مكتبة القدسى – القاهرة بدون رقم طبعة

٢٣٠.في ظلال القرآن ـ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ،دار الشروق – بيروت– القاهرة ط١٧– ١٤١٢ هـ

٢٣١.القاموس المحيط ــ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٢٣٢.القدس بين رؤيتين ــ هل تحسم النبوءات الصراع، دراسة مقارنة بين الرؤية القرآنية والاسلامية والرؤية التوراتية الصهيونية حول القدس والمقدسات الاسلامية والمسيحية في فلسطين، لحظسن مصطفى الباش، دار قتيبة، دمشق، ١٩٩٧م

٢٣٣.القدس قضية كل مسلم ــ ليوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م

٢٣٤.القرآن العظيم هدايته وإعجازه ـ محمد الصادق إبراهيم عرجون ـ دار القلم، دمشق ـ الدار الشامية، بيروت ـ ط٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م

٢٣٥.القرآن وإعجازه العلمي ــ محمد إسماعيل إبراهيم،دار الفكر العربي – دار الثقافة العربية للطباعة ـ بدون رقم طبعة

٢٣٦.قضايا شرق أوسطية/ مستقبل الدولة اليهودية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ١٩٩٩م بدون رقم طبعة

٢٣٧.القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م

٢٣٨.القوة في الإسلام، سيد سابق، الفتح للإعلام العربي، مصر، ١٩٠٠م ــ بدون رقم طبعة

٢٣٩. القول السديد في مقاصد التوحيد ـ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ اعتنى به وخرج أحاديثه د.المرتضى الزين أحمد ـ مجموعة التحف النفائس الدولية ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ ط١ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م

٢٤٠. القول المفيد على كتاب التوحيد ـ محمد بن صالح بن محمد العثيمين ـ دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ـ ط٢، محرم ١٤٢٤هـ

٢٤١. القيادة والجندية في الإسلام، لمحمد الوكيل، دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٩٨٨م

٢٤٢. القيامة الصغرى ـ عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي،دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٤، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م

٢٤٣. القيامة الكبرى ـ عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ـ دار النفائس، الأردن ـ ط٦، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م

٢٤٤. الكتاب المقدس ....

٢٤٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي – بيروت ط٣– ١٤٠٧ هـ

٢٤٦. كشف المشكل من حديث الصحيحين،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: علي حسين البواب،دار الوطن – الرياض، بدون رقم طبعة

٢٤٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ـ لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢م

٢٤٨. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ـ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي ت: عدنان درويش – محمد المصري،مؤسسة الرسالة – بيروت ـ بدون رقم طبعة

٢٤٩. اللباب في علوم الكتاب ـ لابن عادل الدمشقي، ت: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م

٢٥٠. لسان العرب ـ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ،دار صادر – بيروت،ط٣– ١٤١٤ هـ

٢٥١.لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق،ط٢- ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

٢٥٢.ماذا بعد حرب رمضان ـ أحمد صدقي الدجاني، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٧٤م ـ بدون رقم طبعة

٢٥٣.المال والإعلام في الفكر اليهودي والممارسة الصهيونية، لعثمان بك زاده، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩م بدون رقم طبعة

٢٥٤.مباحث في إعجاز القرآن . د مصطفى مسلم . دار القلم – دمشق . ط٣، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٢٥٥.مباحث في علوم القرآن ــ مناع بن خليل القطان ــ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

٢٥٦.المبشرات بانتصار الإسلام ـ يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٤م

٢٥٧.المجتمع اليهودي، زكي شنوده، مكتبة الخانجي، القاهرة بدون رقم طبعة

٢٥٨.مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ت :عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

٢٥٩.مجموعة الرسائل والمسائل ـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ـ علق عليه : السيد محمد رشيد رضا ـ لجنة التراث العربي ـ بدون رقم طبعة

٢٦٠.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١- ١٤٢٢ هـ

٢٦١.المحكم والمحيط الأعظم – أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت عبد الحمليد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١، ١٤٢١، ٢٠٠٠م

٢٦٢.مختار الصحاح ـ زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ـ ت: يوسف الشيخ محمد ـ المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ــ ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

٢٦٣.مختصر إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الهندي ـ ت: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٥هـ

٢٦٤.مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية،أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان ،ط١٢، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م

٢٦٥.مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية – اختصره محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان – ت: سيد إبراهيم – دار الحديث، القاهرة – مصر – ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

٢٦٦.مختصر العلو للعلي العظيم ـ للذهبي،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي :حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني،المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١٢هـ–١٩٩١م

٢٦٧.المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، ت: سامي مكي العاني، دار البشير – عمان، ط١، ١٩٩٣م

٢٦٨.مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية ـ عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين ــ مكتبة الرشد ـ ط٢، ١٤٢٤هـ

٢٦٩.مختصر معارج القبول،أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة، مكتبة الكوثر – الرياض، ١٤١٨ هـ ـ ط٥، ١٤١٨ هـ

٢٧٠.المخصص، لابن سيده، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٩٦م

٢٧١.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت،ط٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م

٢٧٢.مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي ـ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ــ حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ــ راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ــ دار الكلم الطيب، بيروت ــ ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٢٧٣.مدخل إلى الاقتصاد الإسلامي ـ لعبد العزيز هيكل، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م ـ بدون طبعة

٢٧٤.المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، لمحمد محفوظ، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨١م بدون رقم طبعة

٢٧٥.المدخل إلى علم الدعوة ـ أبو الفتح البيانوني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٣ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م

٢٧٦.المدخل لدراسة التوراة والعهد الجديد _ محمد علي البار ـ دار القلم، دمشق ـ الدار الشامية، بيروت ـ ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م

٢٧٧.مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ـ عثمان جمعة ضميرية، تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي،مكتبة السوادي للتوزيع، ط٢،١٤١٧هـ-١٩٩٦م

٢٧٨.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين ،دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م

٢٧٩.المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع ـ ت: مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠

٢٨٠.المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ـ عبد الكريم زيدان ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م

٢٨١.مستقبل الإسلام، أحمد النيفر، وأبو يعرب المرزوقي، وبرهان غليون، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٤م ـ بدون رقم طبعة

٢٨٢.مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ـ ت: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢٨٣.مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ـ ت: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ـ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

٢٨٤.مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) ـ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي ـ ت: حسين سليم أسد الداراني ـ دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ـ ط١، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م

٢٨٥.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٨٦.المسئولية الدولية عن جرائم الحرب الإسرائيلية، سامح الوادية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠٠٩م ـ بدون رقم طبعة

٢٨٧.مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ـ لمالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م

٢٨٨.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ـ أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس ـ المكتبة العلمية – بيروت ـ بدون رقم طبعة

٢٨٩.مصطلحات في كتب العقائد ـ محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، درا بن خزيمة، ط١

٢٩٠.مع الطب في القرآن الكريم ـ عبد الحميد دياب، أحمد قرقوز ـ مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ـ ط١٤٠٢،٢هـ ـ ١٩٨٢م

٢٩١.معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ـ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ـ ت : عمر بن محمود أبو عمر ـ دار ابن القيم – الدمام ــ ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م

٢٩٢.معالم التنزيل في تفسير القرآن ــ لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي،ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ

٢٩٣.معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٩م

٢٩٤.معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م

٢٩٥.المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة – أحمد عمر أبو شوقة – دار الكتب الوطنية – ليبيا – ٢٠٠٣م، بدون رقم طبعة

٢٩٦.المعجزة القرآنية، الإعجاز العلمي والغيبي ـ محمد حسن هيتو ـ مؤسسة الرسالة ـ ط٣ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م

٢٩٧.المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ـ دار الفكر العربي ــ بدون رقم طبعة

٢٩٨.معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية ـ الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ـ جمهورية مصر العربية ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م

٢٩٩.معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

٣٠٠.المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن، د. محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م بدون رقم طبعة

٣٠١.المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءته، د. أحمد مختار عمر، مؤسسة التراث، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م

٣٠٢.المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم ـ نبيل عبد السلام هارون، دار النشر للجامعات، مصر، ١٩٩٧م، بدون طبعة

٣٠٣.معجم مقاييس اللغة ـ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ـ ت :سلام محمد هارون ،دار الفكر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

٣٠٤.معنى لا إله إلا الله ـ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي ت :علي محيي الدين علي القرة راغي، دار الاعتصام – القاهرة، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

٣٠٥.المغرب في ترتيب المعرب ـ ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ ـ دار الكتاب العربي، بدون طبعة وبدون تاريخ

٣٠٦.مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ـ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ ط٣– ١٤٢٠ هـ

٣٠٧.مفاتيح النصر على أعداء الله وأعداء رسوله، لمحمد آل مجاهد، ط١، ٢٠٠٦م

٣٠٨.المفردات في غريب القرآن ـ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، ت:صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١– ١٤١٢ هـ

٣٠٩.المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع الإسلامي ـ لسيد عبد الله حسين، دار السلام، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦م

٣١٠.مقارنة الأديان _ طارق خليل السعدي _ دار العلوم العربية _ بيروت لبنان _ ط١ _١٤٢٥ هـ _ ٢٠٠٥ م

٣١١.مقارنة الأديان اليهودية _ أحمد شلبي _ ط ٨ ، ١٩٨٨ م

٣١٢.المقدمات الأساسية في علوم القرآن،عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، مركز البحوث الإسلامية ليدز- بريطانيا- ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

٣١٣.المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى،أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ت: بسام عبد الوهاب الجابي،الجفان والجابي – قبرص،ط١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م

٣١٤.مقومات النصر في ضوء القرآن الكريم والسنة ـ لأحمد أبو الشباب، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م

٣١٥.الملل والنحل ـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ـ مؤسسة الحلبي ـ بدون رقم طبعة

٣١٦.من أوجه إعجاز القرآن الكريم ـ نبيل بن محمد آل إسماعيل ـ دار ابن حزم، بيروت، لبنان ـ ط١ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م

٣١٧.من عجائب الدعاء، لخالد الربعي، دار القاسم، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م

٣١٨.من هو اليهودي، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م

٣١٩.مناهج الجدل في القرآن الكريم ـ زاهر بن عواض الألمعي ـ بدون رقم طبعة ولا دار للنشر

٣٢٠.مناهج الجدل في القرآن الكريم ـ زاهر بن عواض الألمعي ـ بدون طبعة ولا دار للنشر

٣٢١.منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب،عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر ـ بدون طبعة ولا دار للنشر

٣٢٢.منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي:ت محمد رشاد سالم،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

٣٢٣.المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ بدون رقم طبعة

٣٢٤.منهج التربية الإسلامية ـ محمد بن قطب بن إبراهيم ـ دار الشروق ـ ط١٦

٣٢٥.منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، دار ماجد عسيري، ط١، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م

٣٢٦.منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام،د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

٣٢٧.المنهج القرآني والظاهرة العلمية ـ حاتم فايز البشتاوي ـ دار الفرقان، الأردن ـ بدون رقم طبعة ـ ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

٣٢٨.منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات،محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الدار السلفية – الكويت، ط٤، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

٣٢٩.موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة – المدينة المنورة، ط ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م

٣٣٠.الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،الندوة العالمية للشباب الإسلامي،إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠ هـ

٣٣١.موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ،أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي،المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب ـ بدون رقم طبعة

٣٣٢.النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ـ محمد بن عبد الله دراز ـ اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية ـ قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ـ دار القلم للنشر والتوزيع ـ طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م

٣٣٣.نبذة في العقيدة الإسلامية ـ محمد بن صالح العثيمين، دار الثقة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

٣٣٤.النبوات ـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ـ ت: عبد العزيز بن صالح الطويان ـ أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ـ ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

٣٣٥.النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ـ أحمد عبد الوهاب ـ مكتبة وهبة، بدون رقم طبعة

٣٣٦.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ـ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ـ بدون رقم طبعة

٣٣٧.نفحات من الدراسات الإسلامية ـ لعبد الحميد كشك، المكتب المصري. بدون طبعة

٣٣٨.النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ـ بدون رقم طبعة

٣٣٩.نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، من ومتى وكيف، دراسة تحليلية في القرآن والسنة والتوراة والإنجيل، ط٣، حقوق النشر للمؤلف

٣٤٠.النهاية في غريب الحديث والأثر ــ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ـ المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ــ ت: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي

٣٤١.هامش التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، ط١، ١٤٣٠ هـ

٣٤٢.هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ـ ت:محمد أحمد الحاج ـ دار القلم– الدار الشامية، جدة – السعودية ـ ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م

٣٤٣.الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي،ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

٣٤٤.هذا الحبيب محمد رسول الله يا محب ـ أبو بكر الجزائري ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ بدون رقم طبعة

٣٤٥.هذا هو القرآن العظيم ـ محمد بن موسى الشريف ـ حقوق الطبع محفوظة، ط١ـ ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م بتاريخ ١٤/ ٣/ ٢٠١٥

٣٤٦.وجهة الإسلام، نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، تأليف: هـ.ا. ر. جب، و ل. ماسينيون، ولفتنانت كولونل فرار، ترجمة، محمد عبد الهادي، ط١، المطبعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٤م

٣٤٧.الوحدة الإسلامية ــ لمحمد أبو زهرة، دار الرائد العربي، بيروت، بدون طبعة

٣٤٨.وليتربوا ما علوا تتبيرا بشرى المؤمنين بالنصر العظيم على اليهود الغاصبين، دار النفائس، الأردن، ط١، ٢٠١٠م

٣٤٩.اليهود واليهودية في العصور القديمة: بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات، ترجمة: رشاد الشامي، المكتب المصري، القاهرة، ٢٠٠١ ـ بدون رقم طبعة

٣٥٠.اليهودية بين النظرية والتطبيق _ علي خليل _ اتحاد الكُتّاب العرب ١٩٩٧ م _ بدون طبعة

٣٥١.اليهودية واليهود ـ علي عبد الواحد وافي ـ دار نهضة مصر ـ الفجالة ـ القاهرة ـ بدون طبعة

٣٥٢.اليوم الآخر ـ أحداث وعبر ـ إيمان بنت عبد اللطيف الكردي ـ دار الزمان ـ المدينة المنورة – ط١– ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

٣٥٣.اليوم الآخر من الموت إلى الخلود ـ أحمد جابر العمصي ـ مكتبة ومطبعة دار المنارة ط٢ـ ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

رابعاً– المجلات:

٣٥٤.الايمان بالبعث بعد الفناء_ للشيخ أحمد محي الدين العجوز ـ مقال منشور في مجلة الوعي الاسلامي_ العدد ٢٦٤_ذو الحجة ١٤٠٦هـ ـ وهي مجلة تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

٣٥٥.الخلافة وإمكانية عودتها قبل ظهور المهدي عليه السلام، د.سعد عاشور، و د.نسيم ياسين، مجلة الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٤م

٣٥٦.القوة هي الحل، كوبي نيف، مجلة معاريف، ٢٠٠٨/٥/٥م.

٣٥٧.مجلة البحوث الإسلامية _ العدد الثاني : من شوال الى ربيع الأول لسنة ١٣٩٥هـ

٣٥٨.مستقبل العالم الإسلامي: تحديات في عالم متغير: تقرير ارتيادي، استراتيجي، سنوي، يصدر عن مجلة البيان، الرياض، ٢٠٠٣م

٣٥٩.مظاهر الفساد وآثاره في ضوء القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الخامس عشر – العدد الثاني ٢٠٠٧ م

٣٦٠.مؤتمر استشراف مستقبل الصراع الإسلامي الصهيوني في فلسطين ـ كلية أصول الدين ـ الجامعة الإسلامية ـ ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٤م

٣٦١.مؤتمر واقع ومستقبل حركات الإسلام السياسي في الوطن العربي، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ٢٠١١م

٣٦٢.وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ـ اليوم الدراسي لقسم التفسير وعلوم القرآن ـ كلية أصول الدين ـ الجامعة الإسلامية ـ غزة ٢٠١٠/٣/٢٥م

سادساً- فهرس الموضوعات

ملخص البحث

تهدف الدراسة إلى إبراز بعض القضايا العقدية في سورة الإسراء وجمعها في بحث واحد بعنوان: "قضايا العقيدة في سورة الإسراء وأثرها على الفرد والمجتمع"، وقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، كلٍ منها مقسم إلى مباحث ومطالب، وخاتمة، وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومنهج الدراسة، وعمل الباحث في البحث، والدراسات السابقة للموضوع.

وفي التمهيد تم التعريف بالسورة مع ذكر أبرز الموضوعات التي تحدثت عنها.

وأما الفصل الأول: فكان الحديث فيه عن القضايا المتعلقة بالإلهيات كالتوحيد وأنواعه الثلاثة، وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ثم بينت منهج القرآن في بيانها، ومقاصد كل نوع من أنواعه، ثم تحدثت عن منهج القرآن في عرض قضايا العقيدة المتنوعة في السورة من خلال مناهج دعوية ثلاثة هي: المنهج العقلي، والمنهج العاطفي، والمنهج الحسي.

وفي الفصل الثاني: تم تناول القضايا المتعلقة بالنبوات في سورة الإسراء، من خلال الحديث عن الأنبياء والرسل المذكورين في السورة، مع بيان التفاضل بينهم، ثم ذكر مهامهم، ثم كان الحديث عن معجزة الإسراء والمعراج وما يتعلق بها، وبيان مقاصد هذه المعجزة العظيمة، ثم الحديث عن القرآن الكريم، وبيان وجوه الإعجاز فيه.

وأما الفصل الثالث: فكان الحديث فيه عن القضايا المتعلقة بالغيبيات، كالإيمان باليوم الآخر، وتحدثت عما يحصل في هذا اليوم من خلال آيات السورة، ثم بينتُ مقاصد الإيمان باليوم الآخر، ثم كان الحديث عن شبهات المنكرين للبعث والرد عليهم من خلال السورة.

وفي الفصل الرابع: تم الحديث عن إفساد بني إسرائيل ونهاية دولتهم، وأن هذه النهاية حتمية قرآنية وسنة نبوية وإرهاصات واقعية، ثم تحدثت عن البديل الذي سيخلف هذه الدولة البغيضة الظالمة.

وأما في الخاتمة فكان الحديث عن أبرز النتائج والتوصيات، وأخيرًا كانت الفهارس العامة للبحث.

Abstract

The aim of this study is to find out some faith issues in Surat al-Israa and collect them in one research entitled, " The faith issues in Surat al- Israa and its effect on the individual and society."

This research contained an introduction, a prologue and four chapters, each one is divided into sections, demands and a conclusion, these chapters illustrated the main results and recommendations.

The introduction tackled the importance of the topic, the reason behind its choice, the method of study, what the researcher did in the research and the previous study for the topic.

The prologue pointed out the definition of Surat al-Israa through mentioning the essential topic involved in the Surat.

Chapter one dealt with the issues related to the Tawheed, which has three kinds. The affirmation that Allah Al-mighty is the creator and the dominant of everything, to believe in Allah and not to associate any thing with Him, to believe in the good attributes and the best qualities of Allah which have no resemblance.

The research pointed out the method of the Quran in illustrating them, tackling the aims of each type and dealing with the different faith issues in Surat al-Israa through three ways for call which are the intellectual, the affectionate, and the sensitive method.

Chapter two dealt with the matters related to the prophets and messengers mentioned in the Surat. It also mentioned the preference among them and their tasks.

The chapter tackled the miracle of "The night journey," what's related to it and the purpose of this great miracle. It also illustrated the sorts of the miracles mentioned in the Quran.

Chapter three spoke about the issues related to the unseen things such as the belief in the last day "The day of judgment" and what will happen in it through the verses of the Surat.

I also mentioned the aims of the belief in the last day "The day of judgment", the allegations of those who deny the resurrection and the response to them through Surat al-Israa.

Chapter four tackled the corruption of the Israeli people and the end of their state. This end is fixed in the Quran and the tradition of the Prophet Mohammed (peace be upon him), their real signs and the substitute for this wicked and the unjust state.

The conclusion pointed out the essential results, recommendations and finally the general index for this research.